صفات رب العالمين

في الكتاب الحكيم وسنة النبي الكريم

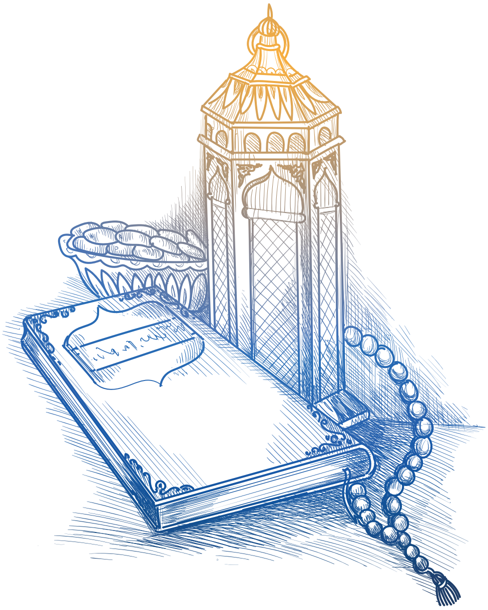

ماهر مقدم

صفات رب العالمين

في الكتاب الحكيم وسنة النبي الكريم

حقوق الطبع محفوظة

إلا لمـــــن أراد طبعــــــه، وتوزيعــــــه مجانًـــــا
بـــــدون حـــــذف، أو إضـــــافة، أو تغيـــــير
فلـــــه ذلـــــك، وجـــــزاه الله خـــــيرًا

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ ـ ٢٠١٤م

مكتبة الإمام الذهبي

للنشر والتوزيع

❖ الكويت - حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦ فاكس: ٢٢٦١٢٠٠٤ - الساخن: ٩٤٤٠٥٥٥٩ - ص.ب: ١٠٧٥ حولي - الرمز البريدي ٣٢٠١١ الكويت

❖ فرع حولي - شارع المثنى - تلفون: ٢٢٦١٥٠٤٦

❖ فرع المباركية - مقابل مسجد ابن بحر - ت: ٢٢٤٩٠٦٠٤

❖ فرع الفحيحيل البرج الأخضر شارع الدبوس - ت: ٢٥٤٥٦٠٦٩

❖ فرع المصاحف - ت: ٢٢٦٢٩٠٧٨

❖ الجملة والتوزيع الخيري - ت ٩٤٤٠٥٥٥٩

(٢) السلسلة الذَّهبية في شرح صفات ربنا الجليلة

(الوَسِيط)

صفات رب العالمين

في الكتاب الحكيم وسنَّة النبي الكريم

تقديم وتقريظ

الشيخ العلامة محدث العصر

شعيب الأرنؤوط

أ . د . بسام خضر الشطي

رئيس قسم العقيدة والدعوة بكلية الشريعة بجامعة الكويت

تأليف

ماهر مقدم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ العلامة المحدِّث

شعيب الأرنؤوط

أطال الله عمره على خير

الحمد لله ، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله ، وبعد ..

فإنَّ من فضل الله علينا أن وفَّقنا إلى طرح التقليد جانباً، والعودة لكتاب الله تعالى وسُنَّة نبيِّنا محمد ﷺ نتفهَّم منهما أمور ديننا ودُنيانا، ونُصحِّح مسار كثير من الأحكام التي كانت ولا زالت في عصر الجمود والتقليد، وهذه الطريقة المحمودة هي التي ينبغي أن يخلص إليها طالب العلم المجد والنَّابه في تتبُّع الدليل الصحيح، فيجمع بين صحيح المنقول، بصريح المعقول.

وقد وفَّق الله أخينا الشيخ ماهر المقدم إلى التزام هذا المنهج والأخذ به والتعويل عليه في كل ما يكتب من الدراسات العلمية الإسلامية، التي تهم عامة المسلمين على اختلاف طبقاتهم العلمية والمعرفية، بحيث يستفيد من دراساته الجادة العامي والمثقف وطالب العلم؛ وذلك لأنها مفيدة في بابها، وتدلُّ على همَّة مُجدَّة، ونفس شغوفة في البحث والاستفادة، فتحرَّى من الأحكام أوضحها، ومن الأحاديث أصحها، ومن الأقوال أعدلها، فيطمئن القارئ أياً كان إلى ما يكتب من مسائل علمية ودراسة قيمة.

ويجدر بطلاب العلم أن يفيدوا من دراساته التي قام بها بجدٍّ وحرص واهتمام، بذل فيها جهداً كبيراً، ووقتاً طويلاً ، والناظر فيها يلحظ ذلك سريعاً، وهذا يدلُّ على صدقه في البحث والإفادة النافعة لإخوانه طلبة العلم، وكنت قد

اطلعتُ له على مجموعة طيبة من التآليف، تتناول مسائل أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى، اعتنى بها جمعاً ودراسة على معتقد أهل السنة والجماعة، بما يوافق مذهب السلف الصالح الذي هو أعلم وأسلم وأحكم وأقوم، وقد قدَّمت له بعضها مما ظهر لي فيها من النفع والفائدة للمسلمين، جزاه الله خيراً.

وهذا الكتاب الذي نكتب له مقدمة وجيزة، «**صفات رب العالمين في الكتاب الحكيم وسنة النبي الأمين**» اطلعت عليه، وقرأه عليَّ صاحبنا المفضال الوفي الأثير الأستاذ أبو العالية الجوراني، وسرني كثيراً أن وجدت فيه تأصيل المسائل بالكتاب والسنة الصحيحة، والكتابة بأسلوب سهل ميسور، بعيدة عن التدقيق والتشديد الذي يقيمه اليوم من لا يحسن فهم العقيدة الإسلامية الصحيحة، فيُدخل نفسه وتلامذته في ضلالات ومتاهات المنطق الصوري القديم والفلسفة التي لم تأت في الكتاب والسنة النبوية الصحيحة، فهذا الكتاب بحمد الله بمقدور أي مسلم أن يفهم هذه المسائل العقدية بكل سهولة، فيأخذ بيده لبرَّ الأمان بحمد الله تعالى.

فجزى الله خير الجزاء، الأستاذ المقدم على هذه الدراسة القيمة، وأعظم له الأجر والمثوبة، وجعل ما يكتب مما ينفع الإسلام والمسلمين.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملاه

شعيب الأرنؤوط

١٤٣٥هـ

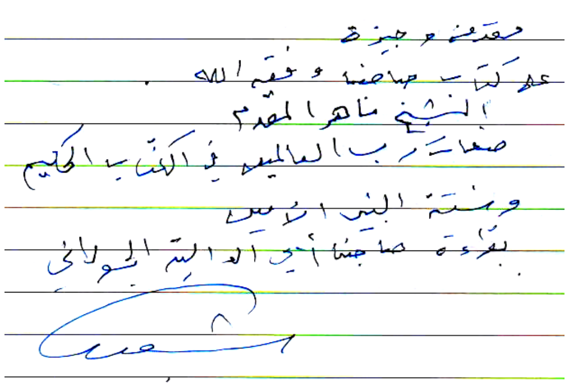

تقديم
الأستاذ الدكتور / بسام خضر الشطي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، ومن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين وبعد،

فإن العلم بالله عز وجل وأسمائه الحسنى وصفاته العلا أشرف العلوم وأعلاها وأزكاها وأنفعها وأعظمها وأهمها على الإطلاق.

فالله سبحانه وتعالى موصوف بصفات الكمال، ومنعوت بنعوت الجلال، ومنزَّه عن العيوب والنقائص والمثال، وتمت كلماته صدقًا وعدلاً، ووسعت الخليقة أفعاله عدلاً وحكمة ورحمة وإحسانًا وفضلاً.

والله عز وجل خلق العالم ليَعرف عبادُه كمال قدرته وإحاطة علمه، ويستلزم معرفة أسمائه وصفاته وتوحيده، وأصل أصول الإيمان بالله معرفة أسماء الله عز وجل وصفاته، حتى يبلغ العبد درجة اليقين، وبحسب معرفته بربه يكون رسوخ إيمانه في قلبه ليزداد محبة وخشية وخوفًا ورجاءً وإخلاص العمل لله سبحانه، وهذا عين سعادة العبد.

قال رسول الله ﷺ: «**يا شداد بن أوس! إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة، فاكنز هؤلاء الكلمات: اللَّهُمَّ! إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك من خير ما تعلم،**

وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم؛ إنك أنت علام الغيوب» رواه الطبراني في الكبير ٧١٣٥، وجوَّد إسناده العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في (الصحيحة) ٣٢٢٨.

وحيث أن الأخ الفاضل ماهر عبد الحميد مقدم؛ قدَّم لي كتابه المعنون: صفات رب العالمين في الكتاب الحكيم وسنة النبي الأمين ﷺ ضمن السلسلة الذهبية في شرح صفات ربنا الجليلة، وقد قرأت الكتاب وألفيته متميزًا في جمعه وأسلوبه ودقة استشهاداته، ونسقه وتألقه، وهي إضافة جديدة إلى المكتبة الإسلامية لا سيما في أنفس العلوم (العقيدة) فنسأل الله له التوفيق والسداد، وأن يبارك الله في جهوده ويضاعف مثوبته.. والحمد لله رب العالمين.

كتبه الأستاذ الدكتور / **بسام خضر الشطي**

الأستاذ بقسم العقيدة والدعوة ـ بكلية الشريعة

جامعة الكويت

فجر الاثنين ١٤/١/١٤٣٥هـ

١٨/١١/٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، ومن سَيِّئات أعمالِنا، مَن يهد الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

«أما بعد: فإن خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد - ﷺ -، وشَرَّ الأمور محدَثاتُها، وكلَّ بدعة ضَلالة[1]، وكلَّ ضَلالة في النار»[2].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

---

(١) مسلم (٨٦٧).

(٢) هذه الزيادة أخرجها البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/٢١٤)، وصححه الألباني في «صحيح النسائي» (١٤٠٤)، وانظر «السلسلة الصحيحة» (٣/١)، وانظر «صحيح الجامع» (١٣٥٣).

الحمد لله الذي هَدانا لمعرفتِه، حمدًا كثيرًا طَيِّبًا لا يُعدّ ولا يُحصى، كما يُحِبُّ رَبُّنا ويرضى، الحمد لله كما عَرَّفَنا بأسمائه، وصِفاته، وأفعالِه، ولم يحجبنا عنها كسائر عِباده.

اعلم رحمني الله تعالى وإيَّاك: أنَّ أجلَّ العُلوم، وأشرفها، وأعظمها، وأرفعها على الإطلاق، هو العلم بالله تعالى بِصِفاته العُلا، وأسمائه الحسنى، وأفعالِه الهدى، إذْ إن شرفَ العِلم تابِع لِشَرف المعلوم، وأي معلوم يا عبد الله أعظم، وأجلّ، وأكمل من العلم به سبحانه، بما يستحقُّ من الكمال العلا، الذي ليس له حدٌّ ولا مُنْتَهى.

يقول محمد عبد الرؤوف المُناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «... ولا شكّ أن أعظمَ المَدْلولات، ذات الله تعالى، وصِفاته، وأشرف العلوم، وأعلاها قَدْرًا، وأرفعها مَنارًا، وأبقاها ذُخْرًا، هو العلم الإلهي الباحث عن ذاتِه تَقَدَّس، وصفاته الذاتية والسلبية، والثبوتِيَّة، وما يدلُّ عليها من صنائعه، وأفعالِه»(١).

فهو أصلُ العُلوم، فكل علمٍ تابع للعلمِ به، مفتقر في تحقيق ذاتِه إليه، فمَنْ عرفَ الله عرفَ ما سِواه، ومَنْ جهل رَبَّه فهو لِما سِواه أجهلُ، فعَلى أساس العلم الصحيح بالله، وأسمائِه، وصفاتِه، يقوم الإيمان الصحيح والتوحيد الخالِص، وتنبني مَطالِب الرسالة جميعها، فلا حياة للقلوب، ولا نعيم، ولا سُرور، ولا أمان، ولا طمأنينة إلّا بأن تعرف رَبَّها ومعبودَها وفاطرَها، ويكون أحبّ إليها مِمّا سِواه، والإنسان بدون الإيمان بالله لا يمكنُه أن يَنالَ معرفة، ولا هِداية، وبدون اهتدائِه إلى رَبِّه لا يكون إلّا شَقِيًّا معذَّبًا، كما هو حالُ الكافرين.

(١) «فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النَّذير» (١/٥١١).

كذلك فإنَّ مَن في قلبه أدنى حياة، أو محبة لِرَبِّه، وإرادة لِوجهه وشوق إلى لِقائه، فطلبُه لِهذا الباب، وحِرصه على معرفته، وازدياده من التبصر فيه، وسؤاله، واستكشافه عنه، هو أكبر مقاصدِه، وأعظم مَطالبِه، وأجلّ غاياته، فهذا هو الكَمال الذي لا كَمال للعبد بِدونه، وله خُلِقَ الخلقُ، ولأجله نزل الوحي، وأرسلت الرسل، وقامت السموات والأرض...، وهو بِحَقٍّ أفضل ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العُقول، وليس القلوب الصحيحة، والنفوس المطمئنة إلى شيء من الأشياء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، ولا فرحها بشيء أعظم من فَرَحِها بالظَّفر بمعرفة الحَقِّ به(١).

فالعلم بها أهمُّ من أن تعلم الجَنَّة، والنار وما أشبه ذلك (من الغَيْبِيّات التي أخبر الله عنها)، لأنه لا يمكن للإنسان (أن) يعبد الله تعالى وهو لا يعرف أسماءَه، ولا صفاته، كيف يَعبُدُ؟ أيعبد شيئًا مَجْهولًا(٢).

فمعرفة الله تعالى هي أصلُ العبوديات كلها، الظاهرة والباطنة، الحِسيَّة والمعنوية، والعِلميّة والعَمليَّة: من المَحَبَّة، والخوف، والرَّجاء، والتوكل، والإجلال، والتعظيم وغيرها، لأن «الإيمان بالصفات ومعرفتها، وإثبات حقائِقِها، وتعلق القلبِ بها، وشهوده لها، هو مبدأ الطريق، ووسطه، وغايتُه، وهو روحُ السالكين، وحاديهم إلى الوُصول، ومحرك عزماتهم إذا فتروا، ومثير هممهم إذا قصروا، فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصِّفات»(٣)، لأن أصل المعرفة مكنونة في القلب، والقلب مَلِكُ الأركان في الأبدان، فكلُّها

---

(١) انظر: «الفتوى الحموية الكبرى» (٢٨).

(٢) «الدرة العثيمينية بشرح فتح رَبّ البرية بتلخيص الحموية» للعلامة ابن عثيمين (٦١).

(٣) انظر: «مدارج السالكين» (١/٣٥٠)، و«مفتاح دار السعادة» (٢/٥١٠).

تابعة له، ولهذا كان القلب محلَّ نَظَر الرَّبِّ، لأن «أصل العبوديَّة هو عبودية القلب، وبحسب قوة معرفتِه بالله تعالى يكون نصيبه من وصف العبودية، وشعوره بالحلاوة الإيمانية، وتحققه بأنواع العِبادة وارتقائه بصاحبِه في دَرَجات العُبودية إلى مَراتب المُحسنين، المقربين السابقين بالخَيْرات»[١]، لأن لكلِّ صفة من صفات رَبِّ العالمين لها عبودية خاصَّة بها، وعلى هذا: كلَّما ازداد العبد معرفة بأوصاف الرَّبِّ، تنويعًا، وبسطًا، ومعنًى، وآثارًا، زادت عُبوديته لله تعالى وحده، وهذا غاية الغايات، ومنتهى المُرادات.

ولهذا «ينبغي أن نبحثَ عن صِفات الله تبارك وتَعالى، سواء الصِّفات التي ليس لها أسماء، والصِّفات التي تضمنتها الأسماء، فابحث، لأنَّك كلَّما ازددت معرفة بالله، وأسمائه، وصِفاته، ازددتَ يَقينًا»[٢]، وهو أعلى دَرَجات الإيمان، الذي يُوصِلك إلى أعالي الجِنان.

واعلم وفَّقَكَ الله للهدى، أن تعلُّمَ ومُدارسةَ صِفات رَبِّ الورى، والبحث والجِدَّ في تحصيلها، له لَذَّةٌ ومتعة ومنفعة، واللهِ لا يعلمها إلّا رَبُّنا جَلَّ جَلَالُهُ فهي نعمة ما بعدها نعمة، وقد وصف ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بوصف ما أجمله، قال: «فيا له من سَفَرٍ ما أبركه، وأروحه، وأعظم ثمرته، وربحه، وأجلّ منفعته، وأحسن عاقبته، سفرٌ هو حياةُ الأرواح، ومفتاح السَّعادة، وغنيمة العُقول والألباب، لا كالسَّفَر الذي هو قطعة من العذاب»[٣].

والله إنه أعظم نعيم عاجل في هذه الدّار، قبل يوم القرار، لِمَن وفَّقه الله

---

(١) «تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات». فوز بنت عبد اللطيف كردي (٢٤٤).

(٢) «تفسير سورة المائدة» لابن عثيمين (٤/٤٦٨).

(٣) «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (٢/٣٠).

لِحُبِّها، والعمل بِمُقْتَضاها بالليل والنّهار، في الحضر وفي الأسفار، فهي الحياة الحقيقية التي ليس لها مَثيل، ولا عديل في الحياة الدنيوية.

۞ أهمية الموضوع، وسَبَبُ اختيارِه:

إنَّ أهمية صِفات رَبِّ العالمين لا حَدَّ لقدرها، وعظم شأنها، لأنها «أعظم ما يخطر بالبال، أو يدور بالخَيال»[(١)]، وإنما يتقرَّب العبد من الرب على قَدْر عِلْمه، واستطاعته، ومهما نوه فهو غَيْضٌ من فَيْض، ومما يدل على أهمية هذا الموضوع:

(١) إنَّ معرفةَ صفات الله تعالى أصلُ التوحيد، وأساسه الذي يستلزم أنواعَ التوحيد كلها، ويتضمَّنها، يقول العلامة عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصل التوحيد: إثباتُ ما أثبتَه الله تعالى لِنَفْسِه، أو أثبته له رسولُه ﷺ من الأسماء الحسنى، ومعرفة ما احتوَتْ عليه من المَعاني الجَليلة، والمَعارف الجَميلة...»[(٢)]. ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الإيمان بأسماء الله الحسنى[(٣)] ومعرفتها يتضمن أنواع التوحيد الثلاثة...»[(٤)].

(٢) إن معرفتها هو أصل الإيمان وقاعدته، وينبوعه، وأوَّله، وأوسطه، وآخره.

وقد تواترَت النُّصوص على أن أفضلَ الأعمال: الإيمان بالله تعالى، فمن الأدلة: عن عبد الله بن حبشي الخثعمي، أن النبي ﷺ سُئِلَ: أيُّ العَمَل أفضل؟ قال: «إيمانٌ لا شَكَّ فيه»[(٥)].

---

(١) «طريق الهجرتين» لابن قيم الجوزية (١١٣).

(٢) «الحق الواضح المبين» للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٢١).

(٣) الأسماء الحسنى متضمنة للصفات العلا، فكل اسم يتضمن صفة كما سيأتي.

(٤) «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» (٤١).

(٥) صححه الألباني في «صحيح النسائي» (٢٥٢٦) وفي «السلسلة الصحيحة» للألباني (١٥٠٤).

(٣) معرفة الله تعالى بصِفاته هو أشرف العلوم على الإطلاق في هذه الدار، فمن أخذَ بزمامِه أخذ بأصلِ كلِّ علمٍ، ومنشئه، ومُنْتَهاه، لِعِظَم تعلُّقه، ومَدْلوله، على ذات الله: رَبُّ العالمين، قَيُّوم السموات والأرضين، المَلِكُ، الإله، العَظيم، الحقُّ المُبين.

(٤) إنَّ معرفة الله تعالى بصفاته هو الطريق الأمثل والأكمل الذي لا يسير عليه إلّا الكُمَّل من خَلْقِه إلى عُبودِيَّتِه، من جميع أنواعِها، وأفرادها، ومراتبها، قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، فذَكَرَ رُبوبيته، والتي هي من أعظم أوصافِه في مطلع الآية، ثم جاء «بالاستفهام بمعنى النفي،... فهذا بُرهانٌ قاطع على أنه هو المستحق لإفراده بالعُبوديَّة، وأنَّ عبادته حقٌّ، وعبادة ما سِواه باطل، فلهذا أمرَ بِعِبادتِه وحدهُ، والاصطبار لها، وعلَّل ذلك: بِكَماله، وانفراده بالعَظَمَة، والأسماء الحسنى»[(١)].

(٥) إن محبة صفات الله سبحانه والتعلُّق بها موصلة إلى أسمى المطالب، وأعلى الغايات، وهي: الجنّات: «فقد بشر ﷺ الرجل الذي كان يحب سورة الإخلاص: أحبها لأنها صفة الرحمن، فقال ﷺ: «حبك إياها أدخلك الجنة» وفي لفظ: «أخبروه أن الله يحبه»[(٢)]، فدلَّ على أن من أحب صفات الله تعالى: أحبه الله، وأدخله الجنة»[(٣)].

وبالجملة فكلَّما كان العبد أعرفَ بِصفات الرَّبِّ، كان لله تعالى أخشعَ، وأتقى، وكان في ازدياد في العلم والهُدى، والمعارف الرَّبانِيَّة، والحقائق اليقينية الإيمانية، والأحوال التعبُّدية، الظاهرة والباطنة.

---

(١) «تفسير السعدي» (٤٩٨).

(٢) البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣)، وصحيح الترمذي (٢٩٠١).

(٣) «مفتاح دار السعادة» (١/٢٩٢).

۞ خطة البحث:

ـ بدأت بِمقدمَّة بَيَّنْتُ فيها أهميةَ الموضوع.

ـ ثم ذكرتُ مُلخَّصًا في أهمية الصِّفات.

ـ عرَّفتُ معنى الصِّفة لغة واصطلاحًا.

ـ ثم ذكرتُ قواعد الصِّفات العُلا[1]، مبتدئًا بِذِكْر أهمية القواعد والأصول، وقد ذكرت خمس عشرة قاعدة، وختمت فيها بِقاعدة عامَّة واسعة في تقسيم صِفات رَبِّ العالمين.

ـ وقد قَسَّمْتُ الصِّفات بالتفصيل إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: الصفات الثبوتِيَّة، **وهي نوعان**: الذاتية، والفعلية.

فبدأت بالصِّفات الذّاتية، وقد ذكرتُ قواعد وضَوابط لهذا النوع، ثم شرعت في الكلام عن الذّات الإلهية، وعلاقة الذات بالصِّفات.

ثم الصفات الذاتية بالتفصيل: أذكر الصِّفةَ، ثم الدَّليل الشرعي عليها، ثم المعنى في اللغة، ثم المعنى في الشرع، بشرح وسط بلا تطويل ممل، ولا إيجاز مخلّ.

القسم الثاني من الصِّفات الثبوتيَّة، وهي: الفعلية، **وهي نوعان**: مقيَّدة، ومطلقة.

وقد ذكرتُ القواعد والضوابط لهذا القسم، ثم شرعت في الكلام عن الصفات الفعلية المقيَّدة بالتفصيل.

---

(١) غير القواعد والضوابط عند كل قسم من الصفات.

ثم انتقلت إلى النوع الثاني من الصفات الفعلية، وهي: المطلقة، فذكرت قواعدها، وضوابطها، وألحقت بذلك التفصيل.

ثم القسم الثالث من الصفات: وهي الصفات المتضمنة لنوعي الصفات الثبوتية، فهي ذاتية من جهة، وفعلية من جهة أخرى.

فبينت لذلك ومثلت بأمثلة، ثم أتيت على ذكرها بالتفصيل فتتبعتها صفة صفة، على نحو ما يسَّر الله تعالى.

ثم ذكرتُ القسم الرابع وهو الأخير من الصِّفات، وهي: الصفات المنفية، فذكرتُ القواعد والتعاريف لهذا النوع.

* * *

۞ منهجي في تصنيف هذا الكتاب:

أولًا: أُحِبُّ أن أنوِّهَ بأنني قد اقتصرت على ذكر الصفات غير المُشتَقَّة من الأسماء الحسنى في مادَّة الكتاب.

ثانيًا: إنَّني لم أتطرَّق إلى الخِلافات العقديَّة التي قد حصلَتْ بين أهل السُّنَّة ومُخالفيهم من التأويلات والانحرافات، بل عرَضْتُ عقيدةَ أهل السُّنَّة المُوافِقَة الكتاب والحكمة، إذ المقصد من مادَّة الكتاب أن تصلَ إلى القارئ غضَّةً طريَّة كما نزلَتْ في الكتاب والسنَّة، لِيَعيش القارئ في رِحاب المَعاني الجَليلة، وما تقتضي من الآثار والمَنافع الرشيدة، في حياته المَعاشِيَّة والشرعِيَّة.

ثالثًا: أنَّني أختارُ المَعاني اللُّغَوِيَّة لِمادَّة كتابِنا مكتفيًا بالمعنى المراد منها دون التوسع لِلمَعاني للكلمة الأخرى، إلّا إذا احتاجَ الأمر.

رابعًا: إنَّني لم أستقص كلَّ الصِّفات في الأقسام الأربعة، إلا الصفات الذّاتية، والفعلية المُقيَّدة، والمنفية، فقد اخترت غالِبَها، أما الفعلية المطلقة، فهي أكثر من ذلك بأضعاف كثيرة(١).

خامِسًا: لم أتوسَّع في تخريج الأحاديث، بل ذكرتُ الصحيح منها، فإذا كان في الصحيحين أكتفي بذِكْرِهما، وإذا كان في غيرِهما ذكرتُ مَنْ صَحَّحَها.

وخِتامًا، فهذا جهدي، جهد عبدٍ ضَعيف، قصير الباع، قليل الفقه والعلم، ومع هذا فإنِّي أرجو اللهَ ﷻ أن يقبلَه مِنِّي، على قدر نِيَّتي، وأن يجعلَه جهدًا نافعًا طَيِّبًا مبارَكًا فيه، أنتفع به وإخواني المسلمين في أجَلِّ وأعظمِ مَسائل الدِّين في حق معبودِنا، وإلهنا، ومحبوبنا، ومُرَبِّينا، وسيدِنا، الله رب العالمين.

فإنْ أحسنتُ فإنه من فَضْلِ الله عليَّ، وإن أسأْتُ فمِنْ نفسي ومن الشيطان، والله سبحانه ورسوله ﷺ منه براء.

واعلم يا عبد الله أنَّ الموضوع الجَليل الجَميل العَظيم لا يُعْطَى حقَّه كما ينبغي، لا مِنِّي خاصة، ولا من غيري، ولكن نتقرَّب على قدر الطاقة إلى الله سبحانه عسى أن يكون لنا حَظًّا في خدمة هذا الدين القويم، الذي شَرَّفَنا به رَبُّ السموات وربُّ الأرضين، لَعَلَّنا أن نكونَ مع الرَّكب أصحاب الصِّراط المستقيم، الذين أنعم الله عليهم، من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، فنحشَر معهم يوم الدِّين ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩].

---

(١) لأنه كما تقدم لم أدخل الصفات الغير مشتقة من الأسماء، والأمر الآخر أن هذه سلسلة من ثلاثة أقسام: البسيط، والوسيط، وجمع الجوامع يسّر الله إخراجها بإذنه ومشيئته.

وأسألُ الله رَبَّ العرش الكريم العظيم، أن يرزُقَ كاتبه، ومُسَطِّرَه، وناشره، وبائعَه، ومشتريه، وطابعه، والمُساهم في إخراجِه، مرافقةَ نَبِيِّنا الأمين محمد بن عبد الله ﷺ في أعالي جَنّات النَّعيم، عروس الجِنان «الفِرْدَوْس الأعلى»، اللّهُمَّ آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

✍ وكتبه

ماهر بن عبد الحميد بن مقدم

عفى الله عنه وعن والدَيْه وجميع المسلمين

الأحد ١٨ ذي الحجة ١٤٣٤هـ

الموافق ٢٢/١٠ / ٢٠١٣م

معنى الصفات لغة واصطلاحًا

❁ **معنى الصفة لغة:** وصف الشيء له وعليه: إذا حَلّاه، فالوصف: تحلية الشيء، وهي الأمارة اللازمة للشيء. ويقال: استوصف الطبيبَ لِدائه: سأله أن يَصِفَ له ما يعالج به، والصفة: كالعلم، والجهل، والسَّواد، والبَياض[(١)].

❁ **معنى الصفة اصطلاحًا:** هي المعنى القائم بالله تبارك وتَعالى مِمّا وصف به نفسَه، أو وصفه به رسولُه ﷺ، من صِفات الذّات والفعل، مِمّا يدل على الكمال المُطلق له تعالى، وتنزيهه عن كل نقص، ونَظير، ومَثيل، من كل وجه على الإطلاق[(٢)].

القواعد والأصول العامَّة في صِفات اللّٰه سبحانه

اعلم رحمني الله وإياك: أنَّ معرفة قواعد العلوم وإتقانها، له فوائد عظيمة، وآثار جليلة، وذلك: أن القواعد يسهل حِفظُها، فإذا حُفِظَت وفُهِمَت يمكن التفريعُ عليها، فالأصول والقواعد للعُلوم بمنزلة الأساس لِلبُنْيان، والأصول للأشجار، لا ثبات لها إلّا بها، والأصول تنبَني عليها الفُروع، والفروع تثبت وتقوى بالأُصول، وبالقواعد والأصول يثبت العلم ويقوى وينمى نَماءً مطردًا، وبها تعرف مآخذ الأصول، وبها يحصل الفرقان بين المسائل التي تشتبه كثيرًا[(٣)]، ومَنْ كان مُعْتنيًا بالفروع دون الأصول فإنه يفوته الفروعُ والأصول، وقد قيل: «مَنْ حُرِم الأصول، حُرِمَ الوُصول»، يعني: أنه لا يصل إلى غاية[(٤)]، فهي الحصن

(١) «لسان العرب» (٩/٣٥٦)، و«معجم مقاييس اللغة» (٦/١١٥)، و«مختار» «الصحاح» (٣٧٤).
(٢) اخترت هذا التعريف لِشُموله مع بعض التصرف فيه من كتاب «الماتريدية وموقفهم من الأسماء والصِّفات» (٢/٤١٧).
(٣) انظر: «طريق الوصول إلى العلم المأمول» لعبد الرحمن السعدي (٤).
(٤) «شرح أصول في التفسير» لابن عثيمين (٢٩).

الحَصين مِنَ الوُقوع في الزَّلَل في أهمِّ مهمّات الدِّين القَويم، وهو توحيد أسماء وصفات رَبِّ العالَمين.

۞ القاعدة الأولى: (صفات الله تعالى كلُّها صِفات كَمال لا نقص فيها بوجهٍ من الوجوه، وليس له فيها شَبيه ولا مثال).

هذه القاعدة من القواعد المُسَلَّمَة المستقرَّة في الفطر السَّليمة، «أن الكمال ثابت لله تعالى، بل الثّابت له: هو أقصى ما يكون من الأكمليَّة، بحيث لا يكون وجود كَمال لا نقصَ فيه إلّا وهو ثابت للرَّبِّ تعالى، يستحقُّه بنفسه المقدَّسَة»[(١)].

فما مِن كمال تفرضه الأذهانُ، ويُقدِّره المُقدِّرون، إلّا والله تعالى أعظم من ذلك، فهو سبحانه لم يبق صفة كَمال إلّا اتَّصف بها، ووصف بِغايتها، بحث لا تُحيط الخَلائق ببعض تلك الصفات بِقلوبهم، ولا تعبر عنها بِألسنتِهم، بل لو اجتمعَ كُلُّ الخليقة إنسهم وجِنّهم، من أولهم وآخرهم، على أنْ يُحيطوا بصفة واحدة من صِفاته، لم يكن لهم قدرة، ولا وسع على الإحاطة بها، فكيف بها كلّها؟[(٢)].

۞ القاعدة الثانية: (صفات الله تَعالى توقيفية).

صفات الله تعالى بكل أنواعِها وأقسامِها توقيفية؛ أي: أنَّ مرجعَ إثباتها هو الكتاب والسنة، فلا تُؤْخَذ بالاجتِهاد ولا بِالقِياس، لأنَّ صفات رَبِّنا سبحانه من الغَيْب، بل هو أعظم الغَيب، وقد استأثر الله تعالى الغيبَ عنده وحدَه، وعلى هذا فلا تُعلَم ولا تثبتُ إلّا عن طريق وَحْيِه.

قال إمام أهل السُّنَّة أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نعبدُ اللهَ بِصِفاته كما وصف

(١) انظر: «الرسالة الأكملية» لابن تيمية (٧١/٦) ضمن رسائل مودعة في مجموع فتاوى شيخ الإسلام.
(٢) انظر: ««بدائع الفوائد»» (٦٣/١)، و«تفسير السعدي» (٣٣٥)، و«فتح الرحيم الملك» (٢٣).

به نفسَه، قد أجمل الصفةَ لِنفسه، ولا نتعدَّى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسَه، ولا نتعدَّى ذلك»[(١)].

ضابط: يُلحق بهذه القاعدة ضابط وهو: «كُلُّ ما رُوِيَ موقوفًا عن الصحابة في بابِ الصِّفات فحكمُه حكمُ المرفوع».

لأن الصحابة رضوان الله عليهم كلُّهم عُدول، وعلى هذا: فكلُّ ما نقل عنهم في باب الغَيْبِيّات، وبالأخصِّ في الصِّفات، فهو في حُكْمِ الرَّفع؛ أي: أنه من قول النبي ﷺ، لأنَّه لا مَجالَ للاجتهاد والرَّأي في هذا الباب العَظيم.

قال الإمام الجليل الآجري رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ أهلَ الحقِّ يَصفون الله عَزَّوَجَلَّ بِما وصف به نفسَه، وبما وصفَه به رسولُه ﷺ، وبما وصفه به الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم»[(٢)].

ومن أمثلة ما رُوِيَ عن الصحابة في باب الصِّفات: «الكرسيُّ»، فقد ثبت عن ابن عَبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّهما قالا في معنى الآية: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]: «**الكرسيُّ موضِعُ القَدَمَيْن**»[(٣)].

وكذلك ما ثبت عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «**خلقَ الله تعالى أربعة أشياء بيده...، ثم قال لِسائر الخلق: كُنْ فيكون**»[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٣/٣٢٦)، وانظر: كلام الآجري في «الشريعة» (٢٩١)، وابن قدامه في «ذَمِّ التأويل» (١٠)، والخطابي في «شأن الدعاء» (١١١)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/٤٦٣).

(٢) «الشريعة» (٢٩١).

(٣) رواه الحاكم (٢/٢٨٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في «مختصر العلو» للذهبي (١٥٢)، وقال الأزهري رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الرواية اتفق أهل الرواية على صِحَّتِها»، «تهذيب اللغة» (١٠/٥٤).

(٤) رواه الدارمي في «الرد على المريسي» (١/٢٦١)، والآجري في «الشريعة» (١٩١)، وقال الألباني في «مختصر العلو» للذهبي: إسناده صحيح على شرط مسلم (١٠٥).

۞ القاعــدة الثالثــة: (الواجــبُ إجــراءُ نُصــوص الصِّــفات على ظاهرِهــا، على الحَقيقة)[1].

هذه القاعدة من أعظم القواعد التي بَنى عليها أهلُ السنة والجماعة في فَهْم النُّصوص عامة، والصفات خاصة، وهي في الحقيقة قاعدتَيْن قرنتا في قاعدة واحدة اختصارًا.

* **القاعدة الأولى:** (الواجب حملُ نُصوص الصِّفات على ظاهرها)؛ أي: أن النصوص يجبُ أن تُفَسَّر على حسب ما يَقتضيه ظاهر اللفظ (وإن لم يُفهم المعنى)، ولا يجوز العُدولُ عن ذلك إلّا بِدَليل (صريح) واضح جَلِيٍّ يجب الرجوع إليه، وهذا أصلٌ أصيل يجب أن يُحمَلَ عليه خطاب الشارع الحكيم، وخاصة في باب الأسماء والصِّفات، حتى لا يقع العبد في التأويل الفاسِد، وما يترتب عليه من هدم أهمِّ المَقاصِد، وأجل المَطالب.

* **والشقّ الثاني من القاعدة:** (يجب حملُ نصوص الصفاتِ على الحَقيقة لا على المَجاز)، وهي كسابقتِها في الأهمية، إذْ فيها تأصيل في فهم نُصوص الكتاب والسنة على مُراد الشارع، وعدم الخُروج عن مُرادِه، والحقيقة في الاصطلاح: هي كلُّ لفظ بقي على موضعه، ولم ينتقل إلى غيرِه، وقسيمُها المَجاز، وهو استعمال الكلمة في غيرِ ما وُضِعَتْ له، لِعلاقة بينهما، مع قرينة صارِفة عن المعنى الحَقيقي[2].

فالمقصود بالحَقيقة هُنا: هو المعنى المُتَبادِر إلى الذِّهن من ظاهر اللفظ في

---

(١) انظر هذه القاعدة في: «الحقيقة والمجاز» (٢٠/٤٤١)، و«التسعينية» لابن تيمية (٢/٥٤٦)، و«أضواء البَيان» (٣/١٠٠)، و«القواعد المثلى» (١٧٠)، و«منهج الاستدلال» (١/٣٩٣)، و«قواعد الترجيح عند المفسرين» للحربي (١/١٣٧) (٢/٣٨٧).

(٢) «قواعد الترجيح» (٢/٣٨٨).

أصل معناه؛ أي: إثبات الصفة على الحقيقة كما جاءت في النَّصّ الشرعي، دون تأويلٍ ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تعطيل، لأنَّ هذا هو الأصل في الكلام، أنه يحمل على حقيقته، وبهذا جاء القرآن، وسنة خير الأنام ﷺ، قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحَمل كلام الله تعالى، وكلام نبيّه ﷺ على الحقيقة أولى بِذَوي الدِّين والحَقِّ، لأنه يقصُّ الحق، وقوله الحق...»[(١)].

وعلى هذا فنقول: الله مُتَّصِف بالحياة على الحَقيقة[(٢)]، والسمع على الحَقيقة، واليدين على الحقيقة، والعينين على الحقيقة.

۞ القاعدة الرابعة: (الصِّفاتُ معلومةٌ لَنا باعتبار، مجهولة لنا باعتبار آخر، باعتبار المعنى: معلومة، وباعتبار الكيفِيَّة: مجهولة)[(٣)].

هذه القاعدة هي الأسّ والأصل الأعظم، في فهم أجلِّ علم، فهي سفينة النَّجاة إلى سلوك طريق الهدى، كما اقْتَفاهُ الرَّعيلُ الأول، ومعنى قوله: (الصفات معلومة باعتبار المعنى)؛ أي: أن معانيها مفهومة في أصل المعنى اللُّغوي، لأنَّ رَبَّنا سبحانه خاطبَنا باللسان العربي المُبين، في كتابه الحكيم، وأمَرَنا بتدبُّرِه وتَعَقُّلِه واتِّباعه، ومن رحمة الله تعالى علينا أن جعلَ نُصوص الصفات في غاية الإحكام، يفهمُها كلُّ الأنام، فلا تشكل على أحد منهم على مَرِّ الزَّمان، بِخلاف آيات الأحكام، قد تشكل على بعض الناس، فلا يفهمها إلّا الأعلام.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ شرحَ الله له صدرَه، ونَوَّر له قلبَه: يعلم أنَّ

---

(١) «التمهيد» (١٦/٥)، وانظر أقوال أهل العلم في التنصيص على هذه القاعدة في: «قواعد الترجيح» (٣٩٢/٢ ـ ٣٩٥).

(٢) سيأتي في القاعدة (التاسعة) سبب ذِكْر السلف لِهذه الكلمة في إثبات الصفات.

(٣) انظر هذه القاعدة في: «مجموع الفتاوى» (٢٠٧/٣)، و«درء تعارض العقل والنقل» (١٦٧/٣)، و«بيان تلبيس الجهمية» (١٣٢/١)، و«الصواعق المرسلة» (٢١٠/١)، و«القواعد المثلى» (١٧٣).

دلالتها (أي: نصوص الصفات) على معانيها أظهر من دلالة كثيرٍ من آيات الأحكام على مَعانيها، ولهذا آيات الأحكام لا يَكاد يفهم مَعانيها إلّا الخاصة من النّاس، وأما آيات الأسماء والصِّفات فيشترِكُ في فَهْمِها الخاصّ والعام، أعني: فهم أصل المعنى لا فهم الكُنْه والكيفِيَّة»[١]، ثم ذَكَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ إشكال بعض الصحابة في بعض آيات الأحكام، ولم يثبت عن أحدٍ منهم استشكل مسألة من مسائل الصِّفات.

وما ذاك إلّا لِعِظَم شأنها، وعُلو منزلتِها، فلا يستغني عنها أحدٌ كائنًا من كان، في القِيام بحُسن العبودية لله سبحانه على الدوام.

ومعنى (باعتبار الكيفية مجهولة): الكيفية من الكيف، وهو السؤال عن الهَيئة والصُّورة، وطلب حقيقة الشيء وكُنْهه، وهذا في حَقِّ رَبِّنا العظيم مُحالٌ، لأن العلم بكيفية الصفة فرع على العلم بكيفية الموصوف، لأنَّ الشيء لا تدرك كيفيته إلّا بِمُشاهدته، أو بِمُشاهدة مثيله، أو بالخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق مُنْتَفِيَة في كيفية صِفات الله تعالى، فتكون الكيفية مجهولة بالنسبة لنا لا نعلمُها[٢].

قال الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الكلامُ في الصِّفات فرعٌ على الكلام في الذّات، وإثباتُ الذّات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثباتُ صِفاته...»[٣].

۞ مسألة مُهِمَّة:

كونُنا لا نعلم كيفية صِفات رَبِّنا سبحانه، هذا لا يعني أنَّها ليس لها كيفية، بل لها كيفية اختص بعلمِها جَلَّ وَعَلَا، ولهذا يجب أن يُعْلَمَ أنَّ لِصِفات رَبِّنا

---

(١) «الصواعق المرسلة» (١/٢١٠).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٦/٣٩٩).

(٣) «الحجة في بيان المحجة» (١/١٨٩).

الجليل كيفية تَليق به، وقد قطع الأطماع عنا في معرفتها، كما جاء عن السَّلَف في قولهم: «أَمِرُّوها كما جاءَت بِلا كَيْفٍ»[(١)].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينزلُ كيفَ شاء بِعِلمه، وقُدرتِه، أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلْمًا»[(٢)].

۞ القاعدة الخامسة: (طريقة القرآن والسنة في أسماء الله تعالى وصِفاته: الإثبات المفصل والنَّفي المجمل)[(٣)].

الله ﷻ موصوفٌ بالصفات الثبوتية؛ أي: الصفات الكَمالية الوجودية، وموصوف بالصفات المَنْفِيَّة؛ أي: ينفي عنه كل صفة نقص وعيب وذَمّ، كما سيأتي في أنواع الصِّفات.

قال شيخ الإسلام: «من أبلغ العلوم الضرورية: أنَّ الطريقة التي بعثَ الله تعالى بها أنبياءَه ورسلَه، وأنزلَ بها كتبَه، مشتملةٌ على الإثبات المفصل، والنَّفي المجمل، والله تعالى يُثبتُ الصفات على وجه التفصيل، وينفي عنه على طريقة الإجمال، والتشبيه، والتَّمْثيل»[(٤)].

ومعنى الإثبات مُفَصَّلًا: تعيين الصفات وتحديدها، في ذِكْر كل صفة معينة مخصصة، لا مجملة في لفظ عام، كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الأنعام: ١٣]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ...﴾ [سورة الإخلاص]، وهكذا.

---

(١) انظر هذه الرِّوايات عن الأئمة الأعلام في: «الشريعة» للآجري (٧٢٠)، والدارقطني في كتابه «الصفات» (٦٧)، و«الأسماء والصفات» للبيهقي (٨٦٥)، و«العُلُو» للذهبي (٣٨٤).

(٢) رواه اللالكائي في «شرح أصول أهل السنة» (٣/٥٠٢)، وابن بطة في «الإبانة» (٣/٢٤٢).

(٣) انظر هذه القاعدة في: «مجموع الفَتاوى» (٢/٤٧٨) (٣/٣٥)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٥/١٦٣)، و«الصواعق المرسلة» (٤/١٣٦٩).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٦/٣٧).

وأما النفي المُجْمَل، فإن المُراد منه: أن ينفى عن الله تعالى العُيوب والنقائص على سبيل الإجمال، دون ذِكْر الصفة المُعَيَّنة، كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ونحوها من الآيات الدالَّة على نفي ما لا يليق بالله نَفْيًا مطلقًا، مثل: «نفي المُماثلة» و«نفي المسامَاة»، ولم ينف المُماثلة في شيء معين كأن يقول: «لا سمي له في علمِه، أو في قدرته، وهكذا».

وسيأتي إنْ شاء الله في أقسام الصفات أنَّ الصفات المنفية قد تأتي مفصلة لأسباب تُذكر ـ إن شاء الله ـ في موضعها.

وأما سبب مَجيء صفات الإثبات بالتفصيل: لأنَّها هي الأصل، والمقصود الأعظم، فإنَّ المدحَ والثَّناء يكون غالِبًا في الإثبات، أما النَّفي فيأتي وسيلة وتتميمًا لهذا الأصل(١).

۞ القاعدة السادسة: (القول في بعضِ الصفات كالقول في البعض الآخر)(٢):

هذه قاعدة عظيمة في تحقيق المفهوم الصحيح في الإيمان بالصِّفات كلِّها، وعدم التفريق بين بعضِها، لأنها جاءت من مِشكاةٍ واحدة من وَحْيَ الكتاب والسنة، فمن آمن بسمع الله تعالى، وبصره، فينبغي أن يؤمن كذلك بعيني الله تعالى، ويديه، ومن آمن بإرادة الله تعالى، وقدرته، يلزمُه أن يؤمن بأصابع الله تعالى، وساقِه، ومن آمن بِحَياة الله وقَيُّومِيَّتِه، فعليه أن يؤمنَ كذلك باستواء الله على عرشِه، ونزوله إلى السماء الدنيا؛ وهكذا بقية الصفات، فإن الأدلة السنية لم تُفرِّق بين صفةٍ وأخرى، لأنَّ الموصوف بها واحد، ليس له مَثيل ولا شَبيه،

(١) انظر: «شرح الواسطية» لابن السعدي (١/٢٥٧)، و«توضيح الكافية» له (١١٦).
(٢) «التدمرية» (١٥).

فإن من الأصول التي جاءَت بها الشريعة المطهَّرة: وجوب التسوية بين المُتَماثِلات، وعدم التفريق بينها، وعلى هذا فينبغي للعبدِ أن لا يستوحِش صفةً جاءت في الكتاب والسنة، أو جاءت في السنة دون الكتاب، أو في الكتاب دون السنة، فمن وقع في نفسِه شيءٌ من ذلك، عليه أن يستعيذَ بالله تعالى من سوء الظَّنِّ والخيال الباطِل، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصفة الثابتة لله تعالى مُضافة إليه، لا يتوهم فيها شيء من خَصائص المخلوقين، لا في لفظِها، ولا في ثُبوت معناها، وكل من نَفى عن الرَّبِّ صفةً من صِفاته لهذا الخيال الباطل: لزمَه نفيُ جميعِ صفات كَماله، لأنه لا يعقل منها إلا صفة المخلوق، بل ويلزمه نفيُ ذاته، لأنه لا يعقل من الذَّوات إلا الذَّوات المخلوقة، ومعلوم أنَّ الرَّبَّ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لا يشبهه شيء منها»[(١)]، إلا في المُسَمَّيات عند الإطلاق، وأما عند الإضافَة فتخص كل واحد بما يليقُ به.

ولقد ذَمَّ الله تعالى مَنْ آمن ببعضِ الكتاب وكفر ببعض، ومن كان كذلك فهو كافرٌ بالجميع، قال رَبُّ العالمين: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖ...﴾ [البقرة: ٨٥].

وما أحسن ما قاله الإمام الشنقيطي في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]: «إنَّ السمعَ والبصر من حيث هما سمع وبصر، يتصفُ بهما جميع (المخلوقات)، فكأن الله تعالى يُشير للخلق ألّا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره، بادِّعاء أنَّ الحوادث تسمع وتُبصر، وأن ذلك تشبيه»[(٢)].

(١) «جلاء الأفهام» (٢٧٥).

(٢) «منهج ودِراسات لآيات الأسماء والصفات» (٤).

۞ القاعدة السابعة: (القول في الصِّفات كالقول في الذَّات)[١].

هذه القاعدة الجَليلة تنصُّ على أنَّ الكلام في الصفات، فرعٌ على الكلام في الذَّات، يحتذى حذوُه، ويتبع فيه مثالُه، فكما أنَّ الله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١] لا في ذاتِه، ولا في صِفاته، ولا في أفعالِه، فإذا كان له ذات حقيقية لا تُماثِلُ الذَّوات، فالذَّات متَّصِفة بصِفات حقيقية لا تُماثِل صِفات سائر الذَّوات، لأن صِفاته تعالى الجليلة، تبعٌ لِذاته العَلِيَّة.

۞ القاعدة الثامنة: (باب الصفات أوسعُ من باب الأسماء)[٢].

صفات الله تعالى أوسع، وأكثر من أسمائه الحُسنى، لا العكس، وذلك لأنَّ كلَّ اسمٍ متضمنٌ لصفة، وليس بالعكس، فمن أسمائه (الرحمن)، متضمِّن لصفة الرحمة، ومن أسمائه (العزيز) متضمن لصفة العِزَّة...، أما صِفاته، فإنه تعالى موصوف بـ (المجيء) و(الإتيان)، و(الأخذ)، و(الإمساك)، و(البطش)، و(الاستواء على العرش)، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تُحْصَى، ولا يُسَمَّى بالجائي، والآخذ، والممسك، والمستوي، ولأن من الصِّفات ما يتعلَّق بأفعال الله تعالى، وأفعالَه لا منتهى لها، كما أنَّ أقوالَه لا مُنْتَهى لها[٣].

۞ القاعدة التاسعة: (المَعاني الصحيحة في باب الإخبار عن الله تعالى وصِفاته).

توحيد الأسماء والصفات يتعلَّق به ثلاثة مَباحث:

(١) الأسماء.

---

(١) انظر هذه القاعدة في: «الحجة في بيان المحجة» (١/١٧٤)، و«مجموع الفَتاوى» (١٦/٤٢٢).
(٢) انظر هذه القاعدة في: ««بدائع الفوائد»» (١/١٣٤).
(٣) انظر: «شرح القواعد المثلى» لابن عثيمين (١٢٢).

(٢) الصفات.

(٣) الإخبار عن الله تعالى.

فالأول والثاني توقيفي، أما الثالث: فليس توقيفِيًّا، بمعنى: أنه يجوز أن يخبر عن الله بما لم يأت بالكتاب، ولا في السُّنَّة، وعلى هذا «فالأخبار أوسع من باب الأسماء والصِّفات»[(١)].

۞ الشروط الصحيحة في الإخبار عن الله تعالى:

(١) أن لا يكون الإخبار باسم سيِّئ، وإن كان باسم حسن فحسن.

(٢) أو باسم ليس بسيئ، وإن لم يحكم بحسنه[(٢)]، كلفظ (الشيء) و(الموجود)، و(القديم)، و(القائم بنفسه)، وغيرها من الألفاظ التي يخبر به عن الله تعالى، ولا يدخل في أسمائه، ولا في صفاته[(٣)]، فلا يُدعى ولا يُتوسّل بها إلى الله تعالى في الدنيا، كقول الداعي: يا موجود، يا شيء، يا قديم.

❊ ما ورد في السنةِ من باب الإخبار عن الله تعالى[(٤)]:

(١) الإخبار عن الله تعالى بأنه (شخص)[(٥)].

(٢) الإخبار عن الله تعالى بأنه (شيء)[(٦)].

---

(١) «بدائع الفوائد» (١/٢٨٤).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/١٤٢).

(٣) المصدر السابق (٩/٣٠١)، و«مدارج السالكين» (٣/٤١٥).

(٤) «الاحتجاج بالآثار السَّلفيَّة على إثبات الصفات الإلهية» (١١٤).

(٥) البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (٣٧٥٧).

(٦) قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩]، قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه في (كتاب التوحيد): (٢١/باب ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾: فسمى الله نفسَه شيئًا ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾، وسمى النبي القرآن شيئًا وهو صفة من صِفات الله، وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨]،=

* ما جاء عن السلف من باب الإخبار عن الله تعالى:

من أمثلة ذلك:

(١) الله فوق العرش (بِذاته). نطق أهلُ السنة والجَماعة بهذا القول في إثبات استواء الله تعالى على عرشِه لَمّا قالت المُعَطِّلَة: استواؤه على عرشه من باب المجاز لا الحقيقة[(١)].

(٢) الحدّ لله تعالى.

(٣) البينونة.

قال عبد الله بن المُبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نعرفُ رَبَّنا عَزَّوَجَلَّ فوقَ سبع سموات على العَرْش، بائِنًا من خلقه (بحدّ)، ولا نقولُ كما قالت الجهمية: هاهنا، وأشار بيده إلى الأرض»[(٢)].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثبتَ عن أئمَّة السلف أنَّهم قالوا: (لله حدٌّ)، وأن ذلك لا يعلمه غيره، وأنه مباينٌ لخلقِه، وفي ذلك لأهلِ السُّنَّة مُصنّفات»[(٣)].

(٤) على الحقيقة.

هذه المَقولة تواتَرَت أيضًا عند أئمة الهُدى، وذلك في رَدِّهم على أهلِ الأهواء والبدع الذين أَوَّلُوا الصفات عن حَقيقتِها، وادَّعَوْا فيها المَجاز، وبهذه الشبهة الباطِلَة والتي هي أوهنُ من بيت العنكبوت ـ نَفَوْا عن الله تعالى أغلبَ الصفات.

= ثم ذكر بسنده (٧٤١٧) حديث سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ لرجل: «**أمعكَ شيءٌ من القرآن؟**» قال: نعم، معي سورة كذا...

(١) انظر هذه الآثار في: «الاحتجاج بالآثار السلفية» (١١٥).

(٢) «السنة» لعبد الله بن أحمد (٢٢٠).

(٣) «بيان تلبيس الجهمية» (٣/٤٩١)، وانظر: (١/٤٤٣).

وأمثلة رُدود أهل السنة بهذه المقولة كثيرة لا تُحْصَى، نذكرُ بعضًا منها:

قال شيخ المفسِّرين الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنْ قالَ لنا قائل: فما الصَّواب من القول في مَعاني هذه الصفات التي ذكرت، وجاء بعضُها في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ووَحْيِه، وجاء ببعضها رسولُ الله ﷺ؟ قيل: الصواب هذا القول عندنا: أنْ نثبتَ حقائِقَها على ما نعرف من جهة الإثبات، ونفي التشبيه»[١].

قال الإمام أبو عمر الطلمنكي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال أهل السنة في قوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]: إنَّ الاستواء من الله على عرشِه على الحَقيقة لا على المَجاز»[٢].

وقال الإمام ابن عبد البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أهلُ السنةِ مُجْمِعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحَقيقة لا على المَجاز، إلّا أنَّهم لا يُكيفون شيئًا من ذلك»[٣].

۞ القاعدة العاشرة: (صفاتُ الله تعالى تتفاضل فيما بَيْنَها)[٤].

من الأصول المُقَرَّرَة عند أهل السنة والجماعة: أن أسماءَ الله تعالى الحسنى وصفاته العُلا تتفاضَل فيما بينها، ولا يقتضي هذا التَّفاضُل نقصًا فيها، بل كل فردٍ منها يدلُّ على أقصى ما يمكن من الأكمليَّة المُطْلَقة، وهذه الأفضلية اختصَّ بها رَبُّ البَرِيَّة لوجهٍ من وجوه الأفضلية، التي لا يعلمُها إلّا هو سبحانه، من ذلك (الرحمة)، قال ﷺ: **«لَمّا قضى اللهُ الخَلقَ كتب في كتابه، فهو عنده فوق**

---

(١) «التبصير في معالم الدِّين» (١٤١).

(٢) رواه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (٢/٣٦٤).

(٣) «التمهيد» (٧/١٣٥).

(٤) «بدائع الفوائد» (١/١٦٧).

العَرْش: إنَّ رحمتي غَلَبَتْ غَضَبي»، وفي رواية: «**سبقت غضبي**»[(١)].

وجاء في دُعاء النبي ﷺ في السُّجود: «**اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِرِضاكَ من سَخَطِك، وبِمُعافاتك من عُقوبتِك، وأعوذُ بكَ منكَ...**»[(٢)]. «ومعلوم أنَّ المُستعاذ به أفضلُ من المُستَعاذ منه»[(٣)].

بل إنَّ التفاضلَ يقع في الصفة الواحدة، كما في صفة اليدَيْن في الحديث: «**يمينُ الله ملآى لا يَغيضُها نفقةٌ، سَحّاء الليل والنَّهار، أرأيتم ما أنفقَ منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يَمينِه، وبيده الأخرى القبض، يرفعُ ويخفِضُ**»[(٤)].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فبَيَّن النبي ﷺ أنَّ الفضلَ بيده اليُمْنى، والعدل بيده الأخرى، ومعلوم أنه مع أن كلتا يديه يمين، فالفضل أعلى من العَدْل، وهو سبحانه كل رحمةٍ منه فضلٌ، وكل نقمة منه عدلٌ، ورحمته أفضلُ من نقمتِه»[(٥)].

ومن الأدلَّة في التَّفاضل في الصفة الواحدة: قول النبي ﷺ: «**أحبُّ البِلاد إلى الله مَساجِدُها، وأبغضُ البلادِ إلى الله أسواقُها**»[(٦)].

و«أحب» و«أبغض» صيغة تفضيل «يمنع المُشاركة في الرتبة، لأن اسم التفضيل يجعلُ المفضل في قمَّة الوصف»[(٧)].

---

(١) البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٢) مسلم (٤٨٦).

(٣) «جواب أهل العلم والإيمان» (٩٠).

(٤) البخاري (٧٤١٩)، ومسلم (٩٩٣).

(٥) «جواب أهل العلم» (٩٢).

(٦) مسلم (٦٧١).

(٧) «شرح سورة النساء» لابن عثيمين (١/٢٣٠) (٢/٤٧).

وقولنا (صفات الله تتفاضَل فيما بينَها)؛ أي: في المعنى والمَدْلول، أما من حيث نِسبتُها إلى الباري جلَّ شأنُه فواحدة، إذْ كلٌّ منها يدلُّ على الكمال والجَمال»[1].

۞ القاعدة الحادية عشر: (دلالَة الكتاب والسُّنَّة على ثُبوت الصفة: ثلاث طرق)[2].

«**الطريق الأول**: دلالة الأسماء عليها، لأن كلَّ اسم متضمِّن لِصفة، مثل الغفور: متضمن للمغفرة، والسميع: متضمن للسَّمْع، ونحو ذلك.

الطريق الثاني: التصريح بالصِّفة؛ أي: أن ينصّ عليها، مثل: الوجه، واليدين، والعينين، والبطش، ومثل: الانتقام.

الطريق الثالث: التصريح بفعلٍ أو وصف دالٍّ عليها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السَّماء الدُّنيا، والمَجيء لِلفَصْل بين العِباد يوم القيامة»[3].

وإضافة على ما سبق يمكن أن نُضيفَ في إثبات الصفة وتحقيقها في سنة المصطفى «ثلاثة أقسام: إمّا بالقول، أو الفعل، أو بالإقرار:

(أ) إما بالقول: فكثير، مثل قوله ﷺ في يمينه: «**لا ومُقَلِّب القُلوب**»[4].

(ب) وإما بالفعل: فهو أقلّ من القول، مثل إشارته إلى السماء يستشهد الله على إقرار أمته بالبَلاغ، وهذا في حَجَّة الوداع في عرفة، (خطب الناس وقال: «**ألا هَلْ بَلَّغْت؟**» قالوا: نعم، ثلاث مَرّات، قال: «**اللّهُمَّ اشْهَدْ**»، يرفع

---

(١) «القواعد الكليَّة للأسماء والصفات» (٢٥٩).

(٢) «شرح القواعد المثلى» (١٥٥)، و«شرح العقيدة الواسطية» (١/٢٦٣) لابن عثيمين.

(٣) المصادر السابقة.

(٤) البخاري (٦٦٢٨).

إصبعه إلى السَّماء وينكتها إلى النّاس)[(١)]، فرفع إصبعه إلى السَّماء، هذا وصف الله تعالى بالعُلُوِّ عن طريق الفعل.

وأحيانًا يذكر الرسول ﷺ الصفةَ من صفات الله بالقول، ويؤكدُها بالفعل، وذلك حينما تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، (فوضعَ إبهامَه على أُذُنِه اليُمْنى، والتي تَليها على عينه)[(٢)].

وهذا إثبات للسمع والبصر بالقول، والفعل. وعلى هذا: إنَّ إثبات الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لِلصِّفات يكون بالقول، ويكون بالفعل، مجتمعين ومنفردين.

(ت) وإمّا بالإقرار: فهو قليل بالنسبة لِما قبله، مثل إقرار الجارية التي سألها: «أين الله؟» فقالت: في السماء، فأقرَّها، وقال: «أَعْتِقْها»[(٣)].

وكإقراره الحبر من اليهود الذي جاء وقال للرسول ﷺ: (إنّا نجدُ أنَّ الله يجعل السموات على إصبع، والثرى على إصبع...) إلى آخر الحديث، فضحك النبي ﷺ تصديقًا لقوله[(٤)]، وهذا إقرار»[(٥)].

۞ القاعدة الثانية عشر: (المُضافُ إلى الله تعالى نوعان: أعيان، وصِفات).

ليس كل ما يُضاف إلى الله تعالى فهو صفة له، بل هناك إضافة مخلوق، وإضافة صفة إلى موصوف، فالإضافة إلى الله تعالى نوعان:

النوع الأول: إضافة ملك وتشريف، وضابطُها: أن كلَّ ما يُضاف إلى الله

---

(١) مسلم (١٢١٨).

(٢) «صحيح أبي داود» (٤٧٣٨).

(٣) مسلم (٥٣٧).

(٤) البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٥) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/١٨٧ـ١٧٨).

تعالى ويكون عينًا قائمة بنفسها، بائن عن الله تعالى، فهو إضافة ملك وتشريف، لأنه مخلوق، مثل: «بيت الله» «ناقة الله»، أو إضافة عامة يشترك فيها المخلوق، مثل: «خلق الله».

النوع الثاني: إضافة صفة إلى الله تعالى، وضابطُها: كل ما يُضاف إلى الله تعالى غير بائن عنه، ولا يقوم بنفسه، فهو صفة لله سبحانه، لأن الصفة لا تقوم بنفسها، بل لا بدَّ لها من موصوف تقوم به[1]، مثل: وجه الله، وأصابع الله، وساق الله، وسمع الله....

۞ القاعدة الثالثة عشر: (جَواز الحلف بصِفات الله تعالى، والاستعاذَة بها).

دلَّت الأدلة السنية من الكتاب والسنة النبوية على جَواز الحَلْف بصِفات الله تعالى، والاستعاذة بها، سواء كانت صفات ذاتيَّة، أو فعليَّة.

فمن الأدلَّة: قول إبليس: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٢]، والعِزَّة صفة ذاتية، وفعلية[2].

وفي حديث الإفك، وفيه: «... فقام أسيد بن الحضير رضي الله عنه فقال: كذبت لعمر الله، لنقتُلَنَّه...»[3]، قال البيهقي رحمه الله: «فحلَفَ كلُّ واحدٍ منهما ـ أي: سعد بن عُبادة وأسيد بن الحضير ـ بحياة الله وبِبَقائه، والنبي ﷺ يسمع»[4].

وحياته سبحانه وبقاؤه من الصفات الذاتية.

وقد بوَّبَ الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه «باب الحلف بعِزَّة الله،

---

(١) انظر: «نقض عثمان على المريسي» (٣١٨)، و«مجموع الفتاوى» (٩/٢٩٠)، (١٧/١٥١).
(٢) انظر: كتابنا «الجامع» أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها (١٣٥).
(٣) البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).
(٤) «الاعتقاد» (٨٣)، و«الأسماء والصفات» للبيهقي (١/٣٦٩).

وصِفاته، وكلامه...».

ومن الاستعاذة بصِفاته تعالى كما تقدم في دُعاء النبي ﷺ في السجود: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ برِضاك من سخطك، وبِمُعافاتك من عقوبتك**...» وهذه استعاذة بالصفات الفِعْلية.

ومن الاستعاذة بصفاته تعالى الذّاتية والفعلية معاً، صفة الكلام، كما في الحديث: «**أما إنَّكَ لو قلتَ حينَ أمْسَيْت: أعوذُ بكلمات الله التامّات من شَرِّ ما خَلَقَ**»[1].

۞ القاعدة الرابعة عشر: «مشروعية إثبات الصفات مع الإشارة إليها بِما هو محسوس معهود»[2].

ثبت في وقائع كثيرة في سنة خير البريَّة ﷺ القولية، والفعلية، والتقريرية، على إثبات الصفات العَلِيَّة، مع الإشارة إليها بالأمور الحِسِّيَّة المشاهدة الجليّة، «وذلك لِبيان إثبات حقيقة الصفة لله سبحانه»[3]، فإنَّ في الإشارة مع الإيضاح بالكلام، فيه زيادة في ترسيخ المعاني في الأفهام، وإن ذلك ليس فيه تشبيهًا ولا تَمْثيلًا، بل دلَّ على أنه سنة ينبغي أن يقتدى بها من خير الأنام ﷺ.

«فرسول الله كان أعلم الناس بِتَفاضل الأسماء والصفات وحقائقها، وكان أفصح الناس في التعبير عنها، وإيضاحها، وكشفها بكل طريق كما يفعله

---

(١) مسلم (٢٧٠٩).

(٢) «الاحتجاج بالآثار السلفية» (٩٤) لـ عادل بن عبد الله آل حمدان.

(٣) المصدر السابق.

بإشارته، وحاله، من باب تحقيق الصفة، لا من باب التشبيه، والتَّمْثيل»[(١)].

وقد نقلت بعضَ ذلك من فعل النبي ﷺ في القاعدة الحادية عشر: (دلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة طرق)، فارجع إليه غير مأمور.

ومن الآثار الدالَّة على ذلك: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال: قال هكذا، يعني: (أنه أخرج طرف الخنصر)[(٢)].

وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «**يأخذُ الجبّارُ سمواته وأرضه بيده**» وقبض بيده فجعلَ يقبضها ويبسطها «**ثم يقول: أنا الجبّارُ، أينَ الجبّارون؟ أين المتكبِّرون؟!**»، قال: (ويتميل رسولُ الله ﷺ عن يَمينه وعن يَساره، حتى نظرتُ إلى المنبر يتحركُ من أسفل شيءٍ منه، حتى إني أقولُ: أساقطٌ هو برسول الله؟!)[(٣)].

قال ابن القيم رحمه الله: «ولَمّا أخبرهم رسولُ الله ﷺ، جعلَ يقبض يديه ويبسطهما، تحقيقًا للصفة لا تشبيهًا لها، كما قرأ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ ووضع يديه على عينيه وأُذُنيه، تحقيقًا لِصفة السمع والبصر، وأنَّهما حقيقة لا مَجاز»[(٤)].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (ما رفع رسولُ الله ﷺ رأسه إلى السماء إلا قال: «**يا مُصَرِّف القُلوبِ ثَبِّت قلبي على طاعَتِك**»[(٥)] ورفعه ﷺ رأسَه

(١) «مختصر الصواعق المرسلة» (٤/١٤٢٠).
(٢) انظر تخريجه في: صفة (الخنصر).
(٣) مسلم (٢٧٨٨).
(٤) «مختصر الصواعق المرسلة» (٣/٩٤٨).
(٥) رواه أحمد في المسند (٩٤٢٠)، وصحح إسنادَه محققو المسند (١٥/٢٤٦).

إلى السماء تحقيقًا، وتأكيدًا لإثبات صفة العُلُوِّ الذاتية لِرَبِّنا سبحانه.

❁ القاعدة الخامسة عشر: (تنقسم صِفاتُ رَبِّنا العظيم إلى ستة أنواع تحت ثلاث تقسيمات)[1].

من الاستقراء في أدلَّة الكتاب، وسنة خير العِباد ﷺ، أن صفات رَبِّنا الجَليل ترجعُ إلى ستة أنواع، ويندرج تحتها ثلاث تقسيمات، وهذا التقسيم هو على طريقة أهل السنة والجَماعة:

* التقسيم الأول: «باعتبار ما تشتمل عليه الصفات من المَعاني الوُجودية والعدمية»، فهي بهذا الاعتبار نوعان:

- النوع الأول: الصفات الثبوتية: وهي الصفات التي تدلُّ على معنًى وجودي، وهي: ما أثبته الله تعالى لِنَفسه في كتابه، أو أثبته رسوله ﷺ، أو أصحابه رضي الله عنهم من صفات الكمال المُطلَق له تعالى، مع تضمنه تنزيهه عما يُضادّ كمالَها من العُيوب والنقائص، مثل: الوجه، واليدَيْن، والعينَيْن، والقدمَيْن، والسَّمع، والعُلو.

- النوع الثاني: الصفات المَنْفِيَّة: وهي التي نَفاها الله تعالى عن نفسِه في كتابه، أو في سنة خير عباده[2]، أو عن أصحابه، مع تضمن ثبوت كمال ضده، مثل: نفي الموت، المتضمن لِكمال حياتِه، ونفي التعب، المتضمن لِكمال قدرتِه، ونفي الخوف، المتضمن لِكمال عِزَّتِه وجَبَروته.

* التقسيم الثاني: «باعتبار تعلُّقها بِمَشيئة الله تعالى وعدمه»، فهي بهذا

---

(١) انظر: «الماتريدية وموقفهم من الأسماء والصفات الإلهية» د. شمس الدين الأفغاني (٢/٤٢٠).

(٢) سيأتي ذكر أنواعها، وقواعدها في موضعه في هذا الكتاب.

الاعتبار أربعة أنواع:

- النوع الأول: ذاتية: وهي التي لا تنفكُّ عن الله تعالى أزلًا وأبدًا، ولا تتعلق بِمَشيئته وفعله، مثل: عُلُوه، وأصَابعه، وسَاقِه، وخِبْرَته.

- النوع الثاني: فعلية[(١)]: وتُسَمَّى الصفات الاختيارية، أو الأفعال الاختيارية أيضًا، وهي التي تتعلق بِمَشيئته سبحانه، إنْ شاء فعلَها، وإنْ شاءَ لم يفعلْها، كاستوائه على عرشِه، ونزوله إلى السماء الدُّنيا كل ليلة، وعَجَبه، وضحكه، ورِضاه.

- النوع الثالث: ذاتية باعتبار، وفعلية باعتبار، كصفة الخلق: فهي باعتبار الأصل والنوع: ذاتية، أزلية، أبدية، فهو لم يتصف بها بعد أن لم يكن متصفًا بها، وأما من جهة أفرادِها فهي متجددة تحصل شيئًا فشيئًا، فخلق العرش وقته متقدمٌ على خلق السموات والأرض، وهكذا خلقهما متقدم على خلق آدم، وما يخلقه الله تعالى من مخلوقات حينًا بعد حينٍ يتجدد على حسب ما تقتضيه حكمته الباهرة، ومشيئته النّافِذة، وقدرته الواسعة.

- (والنوع الرابع: صفات متضمنة لنوعي الصفات الثبوتية معاً، فهي متضمنة لِصفات الذات[(٢)] من حيث عدم تعلقها بالمَشيئة، وفعلية متعلقة بالمَشيئة، مثل صفة الكرم: فهي ذاتية بمعنى السعة، والكَمال، والنّزاهة عن النقائص والمَذامّ، فهو تعالى متصف بهذه الأفراد من الكمال على الدوام، وفعلية: ما يصدر منه من العَطاء، والإنعام، فهو صفة فعل، لأن بذلَ الآلاء والأفضال يتعلَّق بِمَشيئته، وإرادته سبحانه وتعالى)[(٣)].

---

(١) سيأتي ذكر أنواعها، وبعض قواعدها، وضوابطها، في القسم الثاني من الصفات.

(٢) ليس المقصود من صفات الذات ما يلزم للذات، إذ إن جميع الصفات ملازم للذات لا ينفك عنها بحالٍ.

(٣) مثل: صفة العِزَّة، فهو بمعنى أنه: المنيع الذي لا يصل إليه، والغالب الذي لا يغلب فهو بهذه المعاني من صفات الذات، وبمعنى أنه يعز من يشاء فهو من صفات الفعل لأن الإعزاز متعدٍ يتعلق بمشيئته وإرادته.

* **التقسيم الثالث:** «باعتبار طريق إثباتِها»، فهي بهذا الاعتبار على نوعَيْن:

- **النوع الأول:** خَبَرِيّة سمعية، وعقلية معًا: وهي التي يشترك في إثباتِها الدَّليل الشرعي، والعقلي، والفطري، وهي أكثر صفات الرَّبِّ تعالى، بل أغلب الصفات الثُّبوتية يشترك فيها الدَّليلان السمعي والعقلي، كالحياة، والقُدْرة، والعُلوّ، والسّمع...

- **النوع الثاني:** خبرية، سمعية، وتسمى: النقلية، والشرعية، وهي التي لا سبيل إلى إثباتِها إلّا السمع والخبر عن الله تعالى، أو عن رسوله ﷺ، بيد أنَّ العقل الصحيح الصريح لا يُعارِضُها، بل يؤيدها، نحو: وَجْهُ الله الكريم، ويَدَيْه، وعَيْنَيه، وسَاقه، وقَدَمه، وقبضته، واستوائه على عرشِه، ومَجيئه يوم القيامة[1].

*** *** ***

(١) انظر: «الفقه الأكبر» لأبي حنيفة (٢٥)، و«مجموع الفتاوى» (٣٥/١، ٨٣، ٨٨) (٧١/٦، ٢١٧، ٢٤٤)، و«درء التعارض» (٣٢١/٣) (٢٣/٤)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (١٢٧)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢٩٦/٢)، و«الكافية» (١١٦)، و«القواعد المثلى» (٢١)، و«تقريب التدمرية» (١٦)، و«شرح الواسطية» لابن عثيمين (٣٢٩/١)، و«القواعد الكلية للأسماء والصفات» د. إبراهيم البريكان (٨٨، ٩٢)، و«الصفات الإلهية» للتميمي (٦٩)، و«الصفات الإلهية» لأمان (٢٠٧)، و«الماتريدية» د. شمس الدين الأفغاني (٤٢٠ ـ ٤٢٣).

«ذاتُ الله» سبحانه العَلِيَّة

إنَّ الإيمانَ بالله تبارك وتَعالى إنَّما يعني الإيمانَ بالذّات الجَليلة المقدَّسة الواجبة الوجود، وجودًا حقيقيًّا، (الذي ليس لها ابتداء، وليس لها انتهاءٌ على الآباد)، والإيمان بصِفاته العُلا، وأسمائه الحسنى معًا، وعندما يقول المؤمن: آمنتُ بالله تعالى إنَّما يعني هذا الإيمان الشامل (الكامل)، أي: الإيمان بِذات لا تشبهُ الذَّوات، مُتَّصِفة (بجميع) صِفات الكمال المُطلَق، التي لا تُعدّ، ولا تحدّ، ولا تُحصى، الذي لا يُشاركه فيها أحدٌ، فلا تشبه ذاتُه ذَواتَ خلقِه، ولا تشبه صِفاتُه صِفات خلقِه، بل لِصفاته [وذاتِه] حَقائق، ولِصفات خلقِه حقائق، وإلى هذا المعني يُشير رسول الهدى ﷺ: «**لا أحصي ثَناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسِك**[1]»[2].

فإن النُّفوس مفطورةٌ مجبولة بِفِطرتِها السليمة أنَّ لله تبارك وتَعالى ذاتًا عليَّة عظيمة، متصفة بأعلى أوصاف الكمال، مُنزَّهة عن كلّ النّقائص والمعايب، والمَذام.

فـ«ذات الله عَزَّوَجَلَّ موصوفة بالعلم (والحقيقة)، غير مُدْرَكة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في الحياة الدُّنيوية، وهو موجودٌ بِحَقائق الإيمان على الإيقان، بلا إحاطة إدراك بها، بل هو أعلمُ سبحانه بِذاتِه، فهو موصوف غير مجهولٍ، وموجود غير مدرك، ومرئي غير مُحاط به، لِقربه كأنك تراه، يسمع ويَرى، وهو العليّ الأعلى، وعلى العرش استوى تبارك وتَعالى، ظاهرٌ في ملكه وقدرته، وقد حجب عن الخلق كُنْهَ ذاتِه العُلا، ودلَّهم عليه بآياته (الكبرى)، فالقلوب

(١) مسلم (٤٨٦).

(٢) «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة» للدكتور محمد بن أسامة الجامي (٦٩، ٣٤١).

تعرفه، والعقول لا تكيفه، وهو بكل شيءٍ مُحيط، وهو على كل شيءٍ قدير[(١)].

فالله تبارك وتعالى لم يكلف أحدًا من عِباده معرفةَ كُنْهِ ذاته المُقدَّسة وكيفيتها، وقطع سبيلَ الوُصول إليها، حيث حجب جلَّ وعَلا علمَ كيفية ذاته عن العِباد، وحالَ بينهم وبين معرفة كُنهها، لأنه ﷻ أكبر من أن يُحاطَ به علمًا، وأجلّ، وأعظم، ولأن القُوى البَشريَّة عاجزة عن تحمل عظمة ذلك[(٢)].

العلاقة بين الصفات والذّات

تقدم بيان أن لِرَبِّنا سبحانه ذاتًا تليق بِكماله وجَلاله، موصوفة بالصِّفات العُلا، وأن الإيمان به وحده: هو الإيمان بكلِّ ذلك «فانطِلاقًا من هذا الإيمان الشامل، فإن العلاقة بين الصِّفات والذّات علاقة التلازم ضرورة أن الإيمانَ يستلزم الإيمان بالصِّفات، وكذلك العكس، لأنه لا يتصور وجودُ «ذات» مجردة عن الصفات، ولا يُتصوّر وجود صِفات بدون ذات قائمة فيها، فإنَّ صِفات الله تعالى مُلازمة لِذاته سبحانه، ولا تنفكُّ عنها، وهذا هو المفهوم الصحيح الذي كان قد فهمه سَلَفُ هذه الأمة»[(٣)] الموافق لِما في الكتاب والسُّنَّة.

الدَّلِيلُ مِنَ الشَّرْعِ

جاءت لفظةُ (ذات) في سنة النبي ﷺ في قوله، وتقريره: في قوله: قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«لم يكذب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلّا ثلاث كذبات: ثنتين منهُنَّ في ذات**

(١) «التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجلّ وصفاته على الاتفاق والتفرد»، تأليف الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق الأصفهاني (٢٦٠). وانظر: «الحُجَّة في بيان المَحَجَّة» (١/١٧١).

(٢) «الصواعق المُرسَلة» (٤/٤٢٧)، و«مدارج السالكين» (٣/٣٥٣).

(٣) «الصفات الإلهية» (٣٤١). وانظر: «مجموع الفَتاوى» (٥/٣٣٨).

الله عَزَّوَجَلَّ...»[(١)]، وفي تقريره: كما في قِصَّة مقتل خُبيب الأنصاري رضي الله عنه الذي قال حين أراد المشركون قتلَه:

«ولستُ أُبالي حينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... على أيِّ شقٍّ كانَ في الله مَصْرَعي

وذلك في ذاتِ الإله، وإنْ يَشَأْ ... يُبارِك على أوصالِ شلوٍ مُمَزَّع»[(٢)]

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

أصل لفظة (ذات) هو تأنيث (ذو)، بمعنى: صاحب، فذات كذا: صاحبة كذا، وذات الشيء، بمعنى: نفسه، أو حقيقته، ولهذا لا يقال ذات الشيء إلّا لِما له صِفات، ونعوت تُضاف إليه، فكأنه يقول: صاحبة هذه الصفات والنعوت[(٣)].

** ** **

(١) البخاري (٣٣٥).

(٢) البخاري (٣٠٤٥).

(٣) «المفردات» (٣٣٣)، و«القاموس المُحيط» (٤٧٦)، و«بدائع الفوائد» (٢/٧).

الصفات الثبوتية

هذا القسم الأول من صِفات رَبِّنا العظيم، وهي الصفات الثبوتية، وهي: الصفات الذاتية، والفعلية، وقبل ذِكْر أفرادِها نذكر بعضَ القواعد والضوابط لها.

قد تقدم معناها: أنها هي الصفات التي وصف الله تعالى بِها نفسَه، ووصفه بها رسوله ﷺ من أوصاف الكمال والعُلا، وهي: صفات المجد، والثَّناء، والمدح، والحمد، والعُلو، والعَظَمَة، والجَلال، وغيرها الذي لا يُحْصَى، فيعلم أن له فيها الكمال المُطلَق الذي يمكن التعبيرُ عن عَظَمَتِه، وكُنْهِه، وأن له من ذلك الكمال غايته، ومُنْتَهاه، وأكمله، وهذا النوع هو المقصود الأعظم من التوحيد الذي جاء به النبيون والمرسلون، ولِهذا جاءت في الغالب بالتفصيل، لأنه كلَّما كثر الإخبار عنها، وتنوَّعَت دلالَتُها، ظهر من كَمال الموصوف بها ما هو أكثر، ما لم يكن معلومًا من قبل، ولهذا كان هذا النوع أكثر بكثير من الصِّفات المَنْفِيَّة كما سيأتي عند ذِكْرِها[(١)].

القواعد والضوابط

ضابط: الصفات الذاتية: هي الصفات التي لم يزل ولا يزال يتصف الله سبحانه بها، فهي مُلازمة لِذاته العُلا، لا تنفكُّ عنه بأيِّ حالٍ من الأحوال، فهو موصوف تعالى بها أزلًا، وموصوف بها أمدًا وأبدًا، وليس لها تعلق بِمَشيئته، وإرادته.

فالله تعالى لم يزل له يَدَان، ووجْه، وعَيْنَان، لم تحدث له صفة بعد أن لم

(١) انظر: «توضيح الكافية الشافية»» (١١٥)، و«الحق الواضح» (٧)، و«شرح القواعد المثلى» (١٢٤، ١٣٤)، و«تقريب التدمرية» لابن عثيمين (١٦، ٣٣).

يكن متصف بها، ولن ينفكَّ عنه شيء منها في الحال، ولا في الاستقبال[(١)].

وسأذكر بإذنه تعالى في قسم الصفات الفعلية الفرقَ بينهما.

۞ القاعدة الأولى: (الصفات الثبوية (كلها) صِفات مَدْحٍ وكمال، فكُلَّما كثرت وتنوَّعَت دلالتها ظهر من كَمال الموصوف بها ما هو أكثر)[(٢)].

الصفات الثبوتية بنوعَيْها الذاتية والفعلية تدلُّ على المدح، والثناء، والكمال المطلَق من كلِّ وجهٍ، ولهِذا جاءت في الكتاب والسنة وفيرة وعديدة ومتنوعة، كما سيأتي عند ذِكْرها بالتفصيل، «ولهذا كانت (هذه الصفات) التي أخبر الله بها عن نفسِه أكثر بكثير من الصفات السلبيَّة كما هو معلوم»[(٣)] لِتَضَمُّنِها معاني وجودية وحقيقية جَليلة تدلُّ على كمالَيْن لا يتناهَيان لِرَبِّنا سبحانه، الأول: من جهة عددها وأنواعها، وأفرادها من الكثرة التي لا تُحْصَى[(٤)]. والثاني: من حيث دلالتها على المعاني الواسعة، بحيث لا يستطيع أحدٌ إحصاءَ واحد منها، أما الصفات المنفيَّة فعددها محصور[(٥)]، غير ذلك: إن الصفات المنفية كما سيأتي جاءت لِحِفظ هذا النوع، فهي وسيلة وتتميم لها.

---

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (١٢٧)، و«مجموع الفتاوى» (٦/٦٨)، و«الكواشف الجليلة» (٢٥٨)، و«شرح الواسطية» لابن السعدي (١/٣٢٨)، ولابن عثيمين (١/١٨٣).

(٢) «القواعد المثلى» (٢٤).

(٣) المصدر السابق.

(٤) لأن كل اسم يتضمنُ صفة لا العكس، وأسماؤه تعالى لا تُحْصى، فما ظَنُّك بصِفاته العُلا.

(٥) وقد أحصيت غالبها في مؤلف قد سميته «الصفات المنفية في الكتاب وفي السنة النبوية» وهو تحت الطبع، أسأل الله تعالى أن يُسَهِّلَ إخراجَه، وقد زدت في هذا الكتاب الكثير من هذه الصفات في القسم الرابع.

❁ القاعدة الثانية: (ثُبوت الكمال لله تعالى يستلزم نفيَ نقيضه)[١].

هذه القاعدة العظيمة عقلية، وفطرية، موافِقة لِما في الكتاب والسنة، وقد دَلَّت هذه القاعدة على أن «الكمال الثابت لله عَزَّوَجَلَّ الذي هو أقصى ما يمكن من الأكملية بحيث لا يكون وجود كَمال إلّا وهو متصف به سبحانه، وثبوت الكمال لله تعالى مستلزم نفي نقيضِه»[٢] من صفات النقص، والعَيْب، والذَّمّ، وأن هذا يجري على جميع صِفاته الذاتية، والفعلية، فمثلًا في الصفات الذاتية: إن ثبوت الحياة يستلزم نفيَ الموت، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز، وثبوت القوة والمَتانة يستلزم نفي الضعف، وثبوت العينين يستلزم نفي العور، والبصر، وثبوت السمع يستلزم نفي الصمم، وثبوت اليدين والرجلين يستلزم نفي الجُذام، والخَدْج[٣]، والقطع، وثبوت العُلوِّ يستلزمُ نفي أن يكون داخلَ العالم.

ومن الصفات الفعلية: إن ثبوت الجود والكرم يستلزم نفيَ البخل، وثبوت العدل يستلزم نفيَ الظُّلم، وثبوت الحفظ يستلزمُ نفي الإهمال والضَّياع.

ومن الصفات الفعلية الذاتية: الكلام، فثبوتُه يستلزم نفي البُكْم عنه سبحانه، وثبوت الصدق يستلزم نفيَ الكذب، وهكذا بقية صِفاته تعالى العُلا، والله أعلم.

❊❊ ❊❊ ❊❊

---

(١) انظر هذه القاعدة في: «الرسالة الأكملية» لابن تيمية (٧١/٦)، و«الصواعق المرسلة» (١٤٧/١) (٩١٤/٣)، (١٤٤٣/٤)، و«مدارج السالكين» (٤٦٦/٣)، و«الصلاة وحكم تاركها» (١٧٢).

(٢) «الرسالة الأكملية» (١٤٤٣/٤).

(٣) الخَدْجُ: النقص. جاء في القاموس المحيط (رجلٌ مُخْدَجُ اليد): ناقصها (٣٥٢).

القسم الأول: الصفات الذاتية

(١) صفة الكمال (الوَجْهُ) ذو الجلال والإكرام

القُرْآنُ الكَرِيمُ

قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧]. وقال سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

١ ـ قال ﷺ: «... إنك لن تخلف فتعمل عملًا تبتغي به وَجْهَ الله، إلّا ازددت به درجة، ورفعة..»(١).

٢ ـ وفي حديث الثلاثة الذين حُبسوا في الغار، فكان كل واحد منهم يقول: «اللّهُمَّ إنْ كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهكَ ففَرِّجْ عنا ما نحن فيه»(٢).

٣ ـ كان رسول الله ﷺ إذا دخلَ المسجدَ قال: «أعوذُ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسُلْطانه القديم من الشَّيطان الرَّجيم»(٣).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

جاءت الأدلَّة الوفيرة في الكتاب والسنة النبوية في إثبات صفة الوجه

(١) البخاري (٦٧٣٣)، ومسلم (١٦٢٨).
(٢) البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣).
(٣) «صحيح أبي داود» (٤٦٦).

الذّاتية، والتي لا تنفكُّ عن الله تعالى بأيِّ حالٍ، موصوف بها على الدَّيمُومِيَّة.

وصف ربُّنا سبحانه وَجْهَهُ الذي هو أحسن الوجوه، وأجمل الوجوه، وأنور الوجوه بوصفه بـ«ذي الجلال والإكرام» الذي لا يستحقُّ هذه الصفة غير وجهه سبحانه كما في قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[(١)].

وقوله سبحانه: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾ معناه: صاحب العظمة، والكبرياء، والسُّلطان.

﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾: مصدر من أكرم، ويصح أن يكون بمعنى: المُكرِم، والمُكَرم، فالله تبارك وتعالى مُكْرَم، وإكرامه تعالى القيام بطاعتِه، فهو لجلاله، وكمال سُلطانه وعظمته أهل لأن يكرم، ويُثنى عليه سبحانه، فإكرام الله عَزَّوَجَلَّ أن نَقْدُرَه حقَّ قدرِه، وأن نُعَظِّمَه حق تعظيمه، ويكون بتوحيده، وتسبيحه، وعبادته. وهو تعالى مُكْرِم لِمَن يستحق الإكرام من خَلْقه، بما أعد لهم من الثَّواب[(٢)].

يُستفاد من تخصيص البقاء لوجه الله تبارك وتعالى، وهلاك ما دونه من المخلوقات، أمران:

الأول: بقاء الله عَزَّوَجَلَّ، لأنه إذا بقيت صفة من صفات الله الذاتية، فالله عَزَّوَجَلَّ باق.

الثاني: أن يُقال هنا خصص الوجه؛ لِجَلاله، وإكرامه، وعظمته، وتشريفه بذلك، لكون المخلوقات تقصد وَجْهَ العظيم، فيكون هذا أبلغ في نفس المخلوق[(٣)].

(١) انظر: «كتاب التوحيد» و«إثبات صِفات الرَّبّ عز وجلّ»، لإمام الأئمة أبي بكر بن خزيمة (٢٤/١، ٥١). وانظر: «الاعتقاد» للإمام البيهقي (٨٩).

(٢) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (٥٣٠/١). و«الواسطية» للسلمان (٥٢٤/١) ضمن كتاب «المختارات السلفية من شروح العقيدة الواسطية» جمع وترتيب: مصطفى أمين عطا الله.

(٣) «اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية» لِمعالي الشيخ صالح آل الشيخ (٤٠٥/١).

حجاب وجهه ﷻ

احتجب وَجْهُ ربّنا العظيم عن خَلْقه بحجابين: **الأول**: بالنور، **الثاني**: بالكبرياء، فمن الأول: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله لا يَنام، ولا ينبغي له أن ينامَ، يخفض القسطَ ويرفعُه، يرفع إليه عملُ الليل قبل عمل النَّهار، وعمل النَّهار قبل عمل الليل، حِجابُه النُّور**»، وفي رواية: «النار»، «**لو كَشَفَه لأحرقت سُبُحات وَجْهِه ما انتهى إليه بصرُه**»[(١)].

قوله: (**الحجاب**) أصله: المنع، والسّتر، وهذا الحجاب هو: المانع من إدراك العباد له سبحانه، وجاء وصف هذا الحجاب أنه (نور) أو (نار)، وأنه لو كشف هذا الحجاب لأحرق نوره عَزَّوَجَلَّ السماوات والأرض.

والسُّبُحاتُ: بضم السين، والباء، ورفع التاء في آخره، جمع سُبحة، وهي: جمال الوجه، وبهاؤه، وحُسنه، وجلاله، ونوره[(٢)].

فدَلَّ على أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى محتجب عن الخلق بحُجُبٍ عظيمة من النُّور، لا يعلم قدرها إلا الله تعالى.

وهذا يدلُّ على أنه لا يمكن لأحد أن يتصور كيفية صِفات الله تعالى أبدًا، لأنه إذا كانت الحُجُب العظيمة، وهي حُجُب ليست كالسموات والأرض،

---

(١) مسلم (١٧٩).

(٢) شرح النووي لِصحيح مسلم (١٨/٢)، والنهاية (٣٣٢/٢)، و«مجموع الفتاوى» (٦/١٠)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (١٩٠/٢)، و«كتاب رد الإمام الدارمي على بشر المريسي» (٧٥٢/٢).

بل هي أوسع منهما، لو كشفها الله تعالى لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، فسُبحان الله العظيم! عظمة عظيمة! ما يدركها الإنسان لا تفكيرًا، ولا تصويرًا[(١)]. فما الظن بجَلال ذلك الوجه الكريم، وعظمته، وكبريائه، وكماله، وجلاله[(٢)].

۞ الاحتجاب الثاني: الكبرياء:

قال رسول الله ﷺ: «... **جنتان من فضةٍ آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلّا رِداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**»[(٣)].

دلَّ هذا الحديث والذي قبله أن الله تبارك وتَعالى يحتجب (عن عباده بالنور والكبرياء[(٤)].

۞ النَّظر إلى وجه الله تبارك وتعالى هو أعظمُ وأعلى نعيمٍ في الجِنان:

عن صُهيب بن سنان أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس ٢٦]، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، ودخلَ أهلُ النّارِ النّارَ، نادى منادٍ: يا أهلَ الجنَّة، إنَّ لكم عندَ الله موعدًا يريدُ أنْ يُنْجِزَكموه، قال: فيقال: ما هو؟ ألَمْ يُبيِّض وجوهَنا، ويُثقل موازيننا، وأدخلنا الجنة، وأجارَنا من النّارِ؟! قال: فيُكشَفُ الحجابُ، فيتجلَّى لهم تبارك وتعالى**» ثم قال ﷺ: «**والذي نفسي بِيَدِهِ ما أعْطاهم شيئًا هو أحبّ إليهم، ولا**

---

(١) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٢٨٢/١).
(٢) «الصواعق المرسلة» (١٠٨٢/٣).
(٣) البخاري (٤٨٧٨، ٤٨٧٩، ٧٤٤٤)، ومسلم (١٨٠).
(٤) «التوحيد» لابن منده (٤٧٣).

أقرّ لأعينهم من النَّظَرِ إلى وجه الله تبارك وتَعالى»(١).

ولهذا كان سيد الأولين والآخرين يسأل رَبَّ العالمين أن يرزُقَه التَّلَذُّذ في النظر إلى وجهه الجميل، الذي لا أجملَ ولا أحسن ولا أكمل منه على الإطلاق.

عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سمع رسولَ الله ﷺ يدعو يقول: «...**وأسألك لَذَّةَ النَّظَرِ إلى وجهك، والشَّوقَ إلى لِقائك»**(٢).

قال إمام الأئمة ابن خُزَيْمة رَحِمَهُ اللَّهُ: «ففي مسألة النبي ﷺ رَبّه لَذَّة النظر إلى وجهه أبين بيان، وأوضح وضوح أن لله عَزَّوَجَلَّ وجهًا يتلَذَّذ بالنظر إليه، من منّ الله جل وعلا عليه وتفضَّلَ بالنَّظر إلى وجهِه»(٣).

(٢) صفة الكمال (اليَدان) الكريمتان العظيمتان

أجمع أهلُ السُّنة والجماعة على الإيمان بأنَّ لِرَبِّنا سبحانه يدان كريمتان، لا تشبه أيدي المخلوقين، تَليقان بِكَماله وجلاله كمثل باقي صِفاته العلية، وهما «اثنتان، لا زيادة فيهما، ولا نقص فيهما، لأن المحصور بعدد يتعيَّن ألا يزيد عليه ولا ينقص، وهذا ما أجمع عليه السَّلَف بِدلالة القرآن والسنة عليه»(٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي منده في «التوحيد» (٤٥١)، وعثمان الدارمي في «الرَّدّ على الجهمية» (١٧٥)، وفي «الرَّدّ على المريسي» (٢٢٨)، وصحح إسنادَه على شرط مسلم سعود العثمان في كتابه «عقيدة الراسخين في العِلْم في صفات رَبِّ العالمين» (٢٦٦/١)، وأخرجه بهذا اللفظ عبد الله بن أحمد في «السُّنّة» (٢٤٣/١) (٤٤٣) بإسناد رُواته كلهم ثِقات، وأصله في مسلم (١٨١).

(٢) «صحيح النسائي» (١٣٠٤).

(٣) «كتاب التوحيد» (٣٠/١).

(٤) «تفسير سورة المائدة» لابن عثيمين (٣١٤/٤).

القُرْآنُ الحَكِيمُ

١ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

٢ـ وقال عز شأنه: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

١ ـ قال رسول الله ﷺ: «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سَحّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفقَ منذ أن خلقَ السموات والأرض، فإنه لم يغض (أي: لم ينقص) ما في يده»(١).

٢ ـ وقال ﷺ: «إنَّ الله تعالى يَبسط يده بالليل لِيَتوبَ مُسيءُ النّهار، ويبسط يدَه بالنَّهار لِيتوبَ مسيء الليل، حتى تطلعَ الشمسُ من مَغْرِبِها»(٢).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

اليَدان من الصفات الذّاتية الخبرية، والتي لا تنفك عن الله تعالى، وقد جاءت متنوعة في الدلالة عليها كما سيأتي.

وقد ذكر الله لنا ما قاله اليهود في حَقِّه حينما وصفوه بالبخل، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، فدعى الله عليهم بجنس مقالتهم: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾، فجازاهم بأن كان هذا الوصف منطبقًا عليهم، فكانوا أبخَلَ الناس، وأقلهم إحسانًا ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ لا حجر عليه، ولا مانع يمنعه مِمّا أراد، فيداه تعالى سَحَّاء الليل والنهار، وخيره في جميع الأوقات مدرار(٣).

---

(١) البخاري (٧٤١١)، ومسلم (٩٩٣).

(٢) مسلم (٢٧٦٠).

(٣) «تفسير السعدي» (٢٣٨).

الأشياء التي خلقها الله بيده

مِن كَمال قدرة الله تعالى أنه إذا أراد أن يخلقَ شيئًا قال له «كن» فيكون، كما أراد، لا يتخلَّف، ولا يتأخَّر، إلّا أنه خصّ سبحانه بعضَ المخلوقات أنه باشر خلقها بيديه الكريمتين، تشريفًا لها، وتعظيمًا لِشأنها، فمنها:

أولًا: آدم عليه السلام:

كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥].

وفي حديث الشَّفاعة العظيم وفيه: «... **فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيدِه، ونفخَ فيك من رُوحِه**»(١).

ثانيًا: التوراة:

ففي حديث المحاجّة بين آدم وموسى عليهما السلام، قال ﷺ: «**احتجَّ آدم موسى، فقال له موسى: يا آدم! أنت أبونا خَيَّبْتَنا وأخرجْتَنا من الجنة. فقال له آدم: يا موسى! اصطفاك الله بِكلامه، وخطَّ لك التوراة بيده...**»(٢).

ثالثًا: العرش:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «**خلقَ الله أربعة أشياء بيده: العرش، والقلم، وآدم، وجنات عدنٍ، ثم قال لِسائر الخلق: كن فيكون**»(٣).

---

(١) البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٢) البخاري (٦٦١٣)، ومسلم (٦٥٢).

(٣) رواه الدارمي في «الرّدّ على المريسي» (١/٢٦١)، والآجري في كتابه «الشريعة» (١٩١)، وقال الألباني في «مختصر العلو» للذَّهبي: إسناده صحيح على شرط مسلم (١٠٥).

وهذا الأثر موقوف، لكن حكمه حكم المرفوع، لأنه من الغَيْبِيّات التي لا تعلم إلّا عن طريق الشارع الحكيم.

۞ رابعًا: القلم:

كما في الأثر السابق: (خلق الله أربعة أشياء: ـ فذكر منها ـ القلم).

۞ خامسًا: كتابًا موضوعًا عنده سبحانه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَمّا قضى الله الخلقَ، كتبَ في كِتابِه بيده على نَفْسِه، فهو عنده فوقَ العرش: إنَّ رحمتي غَلَبَتْ غضَبي**»(١).

۞ سادسًا: أعلى الجَنَّة:

كما في سُؤال موسى عليه السلام لِربِّه عَزَّوَجَلَّ عن أعلى أهل الجنة منزلة: «...، **قال: رَبِّ فأعلاهم منزلةً؟ قال: أولئك الذين أردْتُ، غرسْتُ كرامتهم بيديّ، وختَمْتُ عليها، فلم تَرَ عينٌ، ولم تَسْمَعْ أذنٌ، ولم يَخطُرْ على قلبِ بَشَرٍ**»(٢).

(٣) صفة (اليمين) الجليلة

توصف يدي رَبّنا سبحانه بأنّها يمين، نؤمن بذلك ونصدقه، ولا نُكيِّفه، بل هو كما يليق بِجلاله، وعليائه، وقد ثبتت هذه الصفة العلية في الكتاب والسنة.

القُرْآنُ الحَكِيمِ

قال رَبُّ العالمين: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

(١) البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١)، وصحيح الترمذي (٢٨٠٨).
(٢) مسلم (١٨٩).

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

١) قال ﷺ: «يَمينُ الله ملآى لا يغيضُها نفقة..»(١).

٢) قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تصدَّقَ بعدلِ تمرة، من كَسْبٍ طَيِّبٍ، ولا يقبل الله إلّا طَيِّبًا، فإنَّ الله تعالى يقبلها بِيَمينه، ثم يُربيها لِصاحِبِها، كما يُربي أحدكم فُلُوَّه، حتى تكون مثلَ الجبل»(٢).

٣) وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «إنَّ الله يقبضُ يوم القيامة الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا المَلِك»(٣).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

أطلق الله سبحانه على إحدى يديه لفظَ اليَمين، وكذلك النبي الأمين ﷺ، و«جعل الله تعالى الطَيَّ للسموات لا القبض، لأن السَّماء أوسع من الأرض، وأشد، وأعظم، وطيُّها أبلغ في القدرة، وقد شبَّه الله تعالى هذا الطيَّ بقوله: ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، فهذه السموات العظيمة يَطويها بِيَمينه، كطي السجل للكتب»(٤).

كلتا يديّ رَبِّنا تعالى يمين مباركة

ثبت في السنة المُطَهَّرة على أن كلتا يدي ربنا يمين كما يليق به سبحانه.

١) قال ﷺ: «إنَّ لِلْمُقسطين عند الله منابر من نور عن يمين الرحمن عَزَّوَجَلَّ، وكلتا يديه يَمين...»(٥).

(١) البخاري (٧٤١٩)، ومسلم (٩٩٣).
(٢) البخاري (٧٤٣٠)، ومسلم (١٠١٤).
(٣) البخاري (٧٣٨٢)، ومسلم (٢٧٨٧).
(٤) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٨/٩٣).
(٥) مسلم (١٨٢٧).

٢) قال رسول الله ﷺ: «لَمّا خلقَ اللهُ آدمَ، ونفخَ فيه من رُوحه، فقال الله له، ويداهُ مقبوضَتان: اختر أيَّهما شئت، فقال: اخترت يمين رَبِّي، وكلتا يديْ رَبِّي يمين مباركة...»[(١)].

٣) وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أوَّل ما خلقَ الله تعالى القلم، فأخذ بيمينِه، وكلتا يديه يَمين...»[(٢)].

في هذه الأحاديث المُبارَكة دلالة على أن كلتا يديْ ربنا يمين مباركة، وقد وقع خلافٌ بين أهل العلم: هل أنَّ كلتا يديه تعالى يمين، أم أحدهما يمين والأخرى يَسار[(٣)].

وقد حَسَمَ العلامةُ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ الخلافَ في هذه المسألة بقوله:

«مسألة: هل هاتان اليدان توصَفان بأنهما يمينًا وشِمالًا؟

الجواب: فيهما قولان: منهم مَن قال: لا، وأنكر لفظ الشِّمال الوارد في صحيح مسلم، ومنهم من قال: بلى، وكل منهم له شبهة، لكن الصواب: إنها تثبت، وأن معنى قول النبي ﷺ: «اخترت يمين ربي، وكلتا يديه يمين» يعني: اليمن والبركة، والتساوي، لأن المخلوق الذي له يمين ويسار، أو يمين وشِمال تختلف اليمين والشمال، تختلف بالقوة الجسمية، لكن لا تختلف يدا الله، وأريد بالتثنية، فكلتاهما يمين، وهذا هو الصحيح، فإننا نثبت الشمال لله، لكن لا على أنها ناقصة عن اليمين، بل كلتاهما يمين»[(٤)].

---

(١) صحيح الترمذي (٣٣٦٨).

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «السُّنّة» (١٠٦)، وحَسَّنَه الألباني (٥٠).

(٣) وقد نقل الخلاف وأدلة كلِّ فريقٍ الشيخ علي السقاف في كتابه النَّفيس «صِفات الله عز وجلَّ الواردة في الكتاب والسنة» (٤٢٠ـ٤٢٩).

(٤) «تفسير سورة المائدة» (٤/٣١٦).

وقد ضعَّفَ الألباني رواية الشِّمال، بقوله: «إنَّ رواية «بِشِمالِه» شاذَّة»[(١)].

(٤) صفة الكمال (الكَفّ) الجليلة

صفة ذاتية خبرية ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ بالأحاديث الصريحة الصحيحة عن النبي ﷺ، نؤمن بذلك ونُصدِّقه، ولا نكيِّفها بِعُقولِنا وأهوائنا، فما يدورُ بالخيال فالله تعالى أعلى، وأكبر من ذلك.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

١) قال ﷺ: «ما تصدَّق أحدٌ بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطَّيِّب، إلا أخذها الرحمن بيَمينه، وإن كانت تمرة، فتربو[(٢)] في كَفِّ الرحمن حتى تكون أعظمَ من الجِبال...»[(٣)].

٢) وعنه ﷺ: «إنَّ الله تعالى أخذَ ذُرِيَّة آدم من ظهورهم فأشهدهم على أنفسِهم، ثم فاض بهم في كَفَّيه...»[(٤)].

٣) وقال ﷺ: «رأيتُ رَبِّي في أحسن صورة،... فرأيتُه وضعَ كَفَّه بين كتفي، حتى وجدتُ أنامِلَه في صَدري»[(٥)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

في الحديث الأول بِشارة عظيمة وكريمة لِكُلِّ منفق، وإن كانت نفقته في

---

(١) «مجلة الأصالة» (٤/٦٨) نقلًا من «الصفات الواردة» (٤٢٦).

(٢) أي: تنمو وتزداد وتتضاعف.

(٣) مسلم (١٠١٤).

(٤) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٦٨)، وصحح إسناده الألباني (٧٤).

(٥) صحيح الترمذي (٣٢٣٥).

غاية الصِّغَر والقِلَّة، فإنها تضاعف وتنمو حتى تكون أكبرَ من أعظم مخلوقات الله البديعة، وهي: الجبال، وقوله: (فتربو في كَفِّ) هو على الكيفية التي لا يعلمُها إلا هو سبحانه، وإنْ كُنّا نؤمن بذلك على الحقيقة وعلى ظاهر النص.

وفي تخصيص ذِكْر (الرحمن) دون غيره من الأسماء: لبيان هذه المُضاعفة من موجبات رحمة الله تعالى لِخَلْقه، وإلّا كان العدل والجَزاء أن يكون بمثله، لكن لِرَحمة الله تعالى الواسعة أنه يقبلها ويُنمِّيها لِعبده المتصدِّق أضعافًا مضاعفة.

(٥) صفة الكمال (الأصابع) الجليلة

لِرَبِّنا العظيم الجليل أصابع، وهي من الأوصاف الذّاتِيَّة الخبرية التي ثَبتت بالسنوية النبوية.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إنَّ يهودِيًّا جاء إلى النبي ﷺ، فقال: (يا أبا القاسم! إن الله يُمسكُ السموات على إصَبع، والأرضين على إصبَع، والجبال على إصبَع، والخلائق على إصبَع، ثم يقول: أنا الملك)، فضحك رسولُ الله ﷺ حتى بدتْ نَواجِذُه، ثم قرأ: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٦٧].

وفي لفظ: «**فضحكَ رسولُ الله ﷺ تعجُّبًا وتصديقًا**»[(١)].

(٢) وقال عليه الصلاة والسلام: «**ما مِنْ قلبٍ إلّا وهو بين إصبعين من أصابع رَبِّ العالمين، إنْ شاء أن يُقيمه أقامَه، وإنْ شاء أن يُزيغَه أزاغَه**». وكان يقول: «**يا مُقَلِّب القُلوب ثَبِّت قلوبَنا على دِينِك**»[(٢)].

---

(١) صحيح البُخاري (٤٨١١، ٧٤١٤)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٧٦٣٠)، وقال العلامة شُعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين» (١٧٨/٢٩).

(٣) وقال ﷺ: «إنَّ قُلوبَ بني آدم كلّها بين إصبعين من أصابِع الرَّحمن، كقلب واحدٍ، يصرفه حيث يَشاء...»[(١)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

تقدمَ حديثُ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي أخبر فيه اليهودي عن إثبات وعظمة أصابع رَبِّنا الجليلة «وهذا من العلم الموروث عن الأنبياء المتلَقَّى عن الوحي من الله تعالى، ولهذا صدَّقَه رسولُ الله، بل وأعجبه ذلك وسُرَّ به، ولهذا ضحك حتى بَدَتْ نواجِذُه تصديقًا له»[(٢)].

ولهذا قرأ ﷺ الآية، تأييدًا له[(٣)].

وهذا يدلُّ دلالة قاطعة على أن مسائل التوحيد، والإيمان، والتي منها الأسماء والصِّفات متفقة على ذلك.

ودلت هذه الصفة الجليلة على عظمة صِفات رَبِّنا، وأنها لا تُشبه صفات أحد من خلقه، وإن تشابهت المُسَمَّيات عند الإطلاق، أما عند الاختصاص فإن الحقائق والكيفيات تختلف عنهم من جميع الوجوه والاعتبارات «فإن جميع بني آدمَ منذ خلق الله تعالى آدمَ إلى أن ينفخ في الصُّور، لو اجتمعوا على إمساك جزء من أجزاء كثيرة من سماء من سمواته، أو أرض من أراضيه السبع بجميع أبدانِهم كانوا غير قادرين على ذلك، ولا مستطيعين له، بل عاجزين عنه»[(٤)].

(١) مسلم (٢٦٥٤).

(٢) «شرح كتاب التوحيد» من صحيح البُخاري» للعلامة عبد الله الغنيمان (١/٢٢٦).

(٣) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٨/٩١).

(٤) «كتاب التوحيد» لابن خزيمة (١/١٩٤).

ولهذا يقول بيده سبحانه: «أنا الملك»: «أي أنه تعالى يهزُّهن استخفافًا لهذه المخلوقات، واستِصْغارًا لها، أمام عظمة الله تعالى، وقوته جلَّ وعلا، وقد جاء مصرحًا بذلك في الرِّوايات الأخرى»[(١)].

«وهذا الإمساك يكون قبل تبديل الله تعالى الأرض غير الأرض، لأن الإمساكَ على الأصابع غير القبض على الشيء...»[(٢)].

واعلم رَعاكَ الله تعالى أن الله قادرٌ على أن يضعَ كل أنواع المخلوقات التي ذكرت في الحديث على إصبعٍ واحد، لكن لِحِكمة عَلِيَّة اختص بها سبحانه.

وفي الأحاديث الأخرى (أن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين) من أصابعه الجليلة، وهذا لا يقتضي المماسة، ولا الملاصقة لأصابعه، ولا أنها في جوفه، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤].

فليس هناك مماسة، ولا مقاربة بين الأرض وبين السماء، ولا بين السحاب، وبين الأرض[(٣)].

وقوله ﷺ: (يقلبها)؛ أي: الله تعالى، وإضافة التقليبِ إلى الله سبحانه حقيقة، والفائدة من هذا أن الرسول ﷺ بَيَّن أن تقليب هذه القلوب يسيرٌ على الله عَزَّوَجَلَّ كالشيء الذي بين أصابعه[(٤)].

* * *

(١) «شرح كتاب التوحيد» للغنيمان (٢/٥١٧).
(٢) «كتاب التوحيد» لابن خزيمة (١/١٨٥).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٣/٤٣).
(٤) «شرح القواعد المثلى» لابن عثيمين (٢٥٧).

(٦) صفة الكمال (الأنامل) الجليلة

يوصَف رَبُّنا الجليل بأن له أنامل كما تليق بعظمته، وكبريائه، وكماله لا تشبه أناملَ خلقه بأي وجهٍ، كمثل سائر صِفاته من السمع، والبصر، والقُدرة، والإرادة، والحياة.

وقد ثبتت هذه الصفة الجليلة في السنة الصحيحة.

السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ

قال ﷺ: «... **فإذا بِرَبِّي** عَزَّوَجَلَّ (يعني: أنه رأى الله تعالى في المنام، ورؤيا الأنبياء حق) **في أحسن صورة، فقال: يا محمد! فيمَ يختصِمُ الملأُ الأعلى؟ قلت: لا أدري، قال: يا محمد! فيمَ يختصمُ الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رَبّ، قال: يا محمد! فيمَ يختصم الملأُ الأعلى؟ قلتُ: لا أدري يا رب، فرأيتُه وضعَ كفَّه بين كتفي، حتى وجدت بردَ أناملِه في صدري...**»[١].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الأنامل: رؤوس الأصابع؛ أي: أطرافها[٢].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف نبيّنا ﷺ أن لِرَبِّنا أنامل، والأنامل هي: أطراف الأصابع، والعبد المؤمن لا يستوحشُ ولا يختلج في فُؤاده أي معنًى يخرج هذا الوصف عن ظاهره، لأن نبيّنا أطلقَ ذلك على رَبِّنا، فهو أعلم الورى، بربِّه جلَّ وعلا، فينبغي الامتثالُ، والتصديق بما أخبر، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧].

---

(١) صحيح الترمذي (٣٢٣٥).

(٢) «المصباح المنير» (٣٦٢).

وقد تقدم بيانه أن ما أطلقه تعالى على نفسه، من أوصافٍ لا تشترك مع غيره عند الإطلاق إلّا في المسمَّيات، وعند الإضافة والاختصاص يفترِقان، بمعنى: أنَّ ما أُضيف إليه سبحانه يليق بجَلاله، وكماله، وما أُضيف إلى غيره من المَخلوقين يليق بِنَقْصهم، وضعفهم.

(٧) صفة الكمال (الإبهام والخِنْصر) الجليلة

صفة ذاتيَّة نقليَّة سمعيَّة، ثَبتتْ عن الذي لا ينطِق عن الهَوى نَبيِّنا محمد ﷺ.

السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قرأ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال: «هكذا» (وضع إبهامه على قريب من طرف أنملتِه، فساخ الجبل، وخرَّ موسى صَعِقًا).

وفي لفظ: (وأمسك بطرَفِ إبهامِه على أنملة إصبعه اليُمْنى).

قال حميد لِثابت: تقول هكذا؟ فوكزه، قال: (يقول رسول الله ﷺ، ويقوله أنس، فأكتمه أنا!).

وفي رواية: أن النبي ﷺ قال: (أخرج طرف خنصره)، «فقال له حميد الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد؟ فضرب صدرَه ضربة شديدة، وقال: من أنت يا حميد، وما أنت يا حميد، يخبر به أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وتقول: وما تريد إلى هذا؟»(١).

(١) رواه بن أبي العاصم في «السنة» (٢١٠/١)، وصححه الألباني (٤٨٠، ٤٨١)، وفي صحيح الترمذي (٣٠٧٤)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣٢٠/٢) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، وصحح إسنادَه الضِّياء المقدسي في المختارة (٥٤/٥).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الإبهام: بالكسر: الإصبع العظمى[(١)].

الخنصر: الإصبع الصغرى أو الوُسطى[(٢)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

تقدَّمَ في الأحاديث السابقة في إثبات صفة الكمال: الإبهام، والخنصر، وقد فَسَّرَ النبي ﷺ الآية في سورة الأعراف في تَجَلِّي رَبِّنا العظيم للجبل، حينما سأل موسى عليه السلام رؤية ربِّه سبحانه.

وقول الرّاوي: وأمسك بطرف إبهامه على طرف إصبعه اليمنى فساخَ الجبل، حكاية عن فعل النبي ﷺ بعد تِلاوة الآية «إشارة لِبَيان قلة التَّجَلِّي»[(٣)].

أي: ما تجلى منه سبحانه إلّا هذا القدر القليل، وهذا يدلُّ على أنه تعالى لا يُحاطُ به علمًا، ولا يُحْصَى ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسِه سبحانه بِما يستحقُّه من الكَمال والجَلال.

وفي الإشارة بإصبعه النبي ﷺ لهذه الصفة تحقيقًا وتأكيدًا في إثباتها على الحَقيقة، وليس من باب التشبيه والتَّمْثيل.

وانظر رعاكَ الله إلى موقفِ هذا التابعي الجَليل الشديد في حماية جانب التَّوحيد، في إثبات صِفات رَبِّنا المَجيد، الذي هو أوجب الواجبات على العبيد، وأنه ينبغي أن يزجر بالقول، والفعل كل من يَخْتَلِجُ في قلبه شيءٌ من ذلك، في هذا الباب العَظيم.

---

(١) «الصحاح» (١١٤).

(٢) «القاموس المحيط» (٤٠٠).

(٣) «تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي» لِلْمُباركفوري (٨/١٧).

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقوله ﷺ، ويقوله أنس، وأكتمه!»: فيه بَيان على تعظيم الإسناد، والآثار في أخذ الأخبار عن الصّادق المصدوق والأصحاب، خاصة في هذا الباب، ولِهذا زَجَرَه بالقول: «من أنت يا حُميد، وما أنت يا حميد؟»، وبالفعل: «فوكزَه»، «فضرب صدرَه ضربةً شديدة»؛ وفيه أكبر دلالة على أهميَّة ذِكْر صِفات رَبِّنا العظيم وتذاكرها، والتحدث بها وعدم كتمانها، حتى أمام العامَّة.

إن الإشارة الحِسِّيَّة في تحقيق الصفات العلِيَّة من هديه ﷺ، وقد فهم ذلك الأصحابُ، وكذلك أئمة الهُدى، فقد روى عبد الله بن الإمام أحمد رحمهما الله، أن الإمام أحمد حَدَّثَه فقال: «ثنا يحي بن سعيد، عن عبد الله عن النبي ﷺ: «**إنَّ الله يُمسك السموات على إصبَع...**» الحديث. قال أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جعل يحي يُشير بأصابعه، وأراني أبي كيفَ يشير بإصبعه، يضع إصبعًا، إصبعًا، حتى أتى على آخرها»[(١)].

(٨) صفة الكمال (القَدَم والرِّجْل) الجليلة

صفة ذاتية سمعيَّة خبريَّة، ثبتَتْ في الكتاب وفي سُنَّة خير العِباد.

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «**تحاجَّت الجنةُ والنّار، فقالت النّارُ: أوثِرْتُ بالمُتكبِّرين، والمتجَبِّرين، وقالت الجنةُ: فما لي لا يدخلُني إلّا ضُعفاء الناس، وسقطُهم**[(٢)]،

(١) رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه في «السُّنَّة» (٤٨٩)، وصحَّح إسنادَه محقِّقُ الكتاب د. سعيد القَحْطاني (١/٢٦٤).

(٢) أي: ضُعَفاؤهم والمحتَقرون منهم.

وغِرَّتُهم[١]، قال الله تعالى: أنتِ رحمتي، أرحمُ بكِ مَنْ أشاءُ مِن عِبادي، وقال للنار: إنَّما أنت عذابي، أُعَذِّبُ بك مَنْ أشاء من عِبادي، ولكلِّ واحدةٍ منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رِجْلَه، فتقول: قط، قط، قط، فهنالِك تمتلئُ، ويُزْوَى[٢] بعضُها إلى بعضٍ، ولا يظلم الله تعالى مِن خلقِه أحدًا، وأما الجنة، فإنَّ الله تعالى يُنْشِئُ لها خلْقًا».

وفي رواية: «... وأما النّار، فلا تمتلِئُ حتّى يضعَ فيها رَبُّ العالمين قَدَمَه».

وفي لَفْظٍ: «لا تزالُ جهنَّم تقول: هل من مزيد، حتى يضع فيها رَبُّ العِزَّة قدمَه...»[٣].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

ثبتت هذه الصِّفة في الكتاب كما في آية الكُرْسي ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ﴾ فقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما وأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: «الكرسي موضع القدمين»[٤].

وهذان الأثران حكمُهما حكمُ المرفوع إلى النبي ﷺ، لأنه لا مجالَ للرَّأي فيه، وعلى هذا «فإنَّ الله تعالى له قدمين»[٥].

وفي الأحاديث المتقدمة جاءت بلفظ (قَدمه) و(رِجله) وكلاهما عبارة عن

(١) أي: البله الغافلون الذين ليس بهم حذق في أمور الدُّنيا. «شرح صحيح مسلم» للنووي (٩/٢٠٥).

(٢) أي: يلتئم بعضُها على بعضٍ.

(٣) انظر هذه الروايات في «صحيح البخاري» (٤٨٤٨، ٤٨٥٠، ٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨).

(٤) أخرجه ابن خُزَيْمة في «التوحيد» (١/٢٤٨)، والدارمي في «الرد على المريسي» (٦٩، ٧٣، ٧٥)، وصححه الألباني في «مختصر العلو للذَّهبي» (١٥٢)، وأثر أبي موسى أخرجه أحمد في «السنة» (٥٨٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٦)، وصححه الألباني في «مختصر العلو» (١٢٤).

(٥) «توضيح مقاصد العقيدة الواسطية» لعبد الرحمن البراك (١٧٣).

شيء واحد صفة لله تعالى حقيقية على ما يَليق بجَلاله، وعَظَمَتِه.

وفي قول النبي ﷺ عن النار: (ويُزوى بعضها إلى بعض)؛ يعني: ينضم بعضها إلى بعض، فتصغر جهنَّم، من عظم قدم الباري عَزَّوَجَلَّ، بعد أن يضع عليها قدمه، وتصير مملوءة بعد ذلك بأهلِها، فإن وضعَ الله سبحانه فيها قدمه هو الغاية التي إليها ينتهي الإلقاء، ويكون بعد ذلك الانزِواء(١).

(٩) صفة الكمال (السّاق) الجليلة

صفة من أوصاف رَبِّنا الذّاتيَّة الكَمالية، السمعية النقليَّة، ثبتت بالكِتاب والسُّنَّة، وهي علامة جعلها الله تعالى بينه وبين خلقِه يوم القيامة، يعرفون بها رَبَّهم الجليل.

القُرْآنُ الكَرِيمُ

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «... فيأتيهم الجَبّارُ في صورة غير صورته التي رأوه فيها أولَ مرة، فيقول: أنا رَبُّكم، فيقولون: أنت رَبُّنا، فلا يُكلمه إلّا الأنبياء، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونَها؟ فيقولون: السّاق، فيكشف رَبُّنا عن ساقِه، فيسجد كلُّ مؤمنٍ ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدُّنيا رياء، وسمعة، فيذهب لِيَسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا»(٢).

---

(١) انظر: «شرح الواسطية» لابن السّعدي (٣٨٢/١) وخليل الهراس (٣٨٣/١) وابن عثيمين (٣٨٥/١) ضمن كتاب «المختارات السلفيَّة».

(٢) البخاري (٤٤١٩)، ومسلم (١٨٣).

(٢) وقال ﷺ: «... وينزلُ الله عَزَّوَجَلَّ في ظُلَلٍ من الغَمام من العرش إلى الكرسي...، فيتمثَّل الرَّبُّ تبارك وتعالى، فيأتيهم يقول: ما لكم لا تنطلقون، كما انطلق النّاس؟ قال: فيقولون: إنَّ لنا إلهًا ما رأيْناه بعد، فيقول: هل تعرفونه إن رأيْتُموه؟ فيقولون: إنَّ بيننا وبينه علامة إذا رأيناه عرفْناه، فيقول: ما هي؟ فيقولون: يكشف عن ساقه، فعند ذلك يكشف عن ساقِهِ»[1].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

جاءت لفظة (السّاق) في القرآن مجردةً عن الإضافة، والتقييد، وإنما فَسَّرَتْها السنة المطهَّرة، والتي هي بيان للقرآن مبينة لِما أجمل فيه: بأنّها ساق لله تعالى صفة ذاتية عليّة، بقوله ﷺ: «يكشف ربّنا عن ساقه» فالهاء ضمير يعود عليه سبحانه.

وعلى هذا فمعنى (السّاق) في الآية: «أي يكشف ربنا تبارك وتعالى عن ساقٍ عظيمة، جلَّت عظمتها، وتعالى شأنها أن يكون لها نَظير، أو مثيل، أو شبيه، فتنكير (ساق) في الآية للتَّعظيم، والتَّفخيم»[2].

قال الإمام الشَّوْكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد أغنانا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في تفسير هذه الآية، بما صَحَّ عن رسول الله ﷺ، وذلك لا يستلزم تجسيمًا، ولا تشبيهًا، فليس كمِثْله شيء[3]»[4].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/٤١٨)، والحاكم في المستدرك (٤/٥٩٠) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣١٢٩) وفي «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٩١).

(٢) «فتح القدير» (٥/٢٧٨).

(٣) قوله: (لا تجسيمًا) هذه اللفظة وغيرها من الألفاظ مأخوذة من أصحاب الكلام الذي ذَمَّه سَلَفُ الأمة والتي لا أصل لها في الشارع، وما تحمله من معاني غير صحيحة، وعلى هذا فلا يجوز أن تطلق، ويستبدل بدلًا منها الألفاظ الشرعية.

(٤) «فتح القدير» (٥/٢٧٨).

(١٠) صفة الكمال (العينين) الجليلة

صفة ذاتية سمعيَّة دلَّ عليها الكتاب والسُّنَّة، وأجمع عليها أهلُ السُّنَّة والجماعة.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾ [هود: ٣٧].

(٢) وقال عزَّ شأنُه: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

(٣) وقال سبحانه: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله لا يَخفى عليكم، إنَّ الله ليس بأعور (وأشار إلى عينيه)، وإنَّ المسيحَ الدَّجّال أعور العين اليُمْنَى...».

وفي رواية: «إنَّ الله ليس بأعور، إلّا أنَّ المسيح الدَّجّال أعور»(١).

(٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾: «فوضعَ إبهامَه على أُذُنه، والتي تليها على عينيه»، وقال رضي الله عنه: (رأيت رسولَ الله ﷺ يقرؤها ويضع إصبعيه)(٢).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف رَبُّنا نفسَه بأنَّه له عينان تليقان به كما في الآيات المتقدمة، ولهذا

---

(١) البخاري (٣٤٣٩، ٧١٣١، ٧٤٠٧)، ومسلم (٢٩٣٢).

(٢) صححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٤٧٢٨).

أشارَ النبي ﷺ في الحديث الثاني، فوضع إبهامَه الشريفة على أُذُنه، والتي تليها في عينيه، تأكيدًا، وتحقيقًا لهذه الصفة الكريمة.

وبهذا الفهم السَّليم، فعل ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حيث «أشارَ بيده إلى عينيه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]»(١).

وقد دَلَّت السنةُ على أنَّ لِرَبِّنا العظيم عينان جَليلتان كما في قوله ﷺ: «**إنَّ الله ليس بأعور**».

إذ إن الأعْوَر في اللغة: هو من فقد إحدى عينيه، قال في القاموس: العَوَرُ: ذهاب حِسّ إحدى العينين(٢).

قال إمام أهل السُّنَّة أبو سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأعور ضد البصير بالعينين، وقد قال النبي ﷺ في الدجال: «**إنه أعور، وإن ربكم ليسَ بأعْوَر**»، بيانه: أنه ذو عَينين خلاف الأَعْوَر»(٣).

ومجيء هذه اللفظة «لأنَّ مخلوقات الله تعالى المعروفة لدى العرب: الإنسان، وكذلك: الحيوان، كلها لها عينان، فوضعت العرب هذا الاسم (الأعور) لِمَنْ فقد إحدى العينين، فهو خاص بذلك، وليس العَوَر هو ذَهاب البصر»(٤).

بل «هما عينان يبصر بهما سبحانه ما تحت الثَّرَى، وما تحت الأرض السابعة السُّفْلَى، وما في السموات العُلا وما بينَهما، لا يغيب عن بَصره شيء من

(١) رواه اللالكائي (٣/٤١١)، وكذلك فسر قوله تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾، قال: «بعين الله». أخرجه الطبري في التفسير (١٢/٣٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٤٥).

(٢) «القاموس المحيط» (٩٢٦)، وانظر: «لسان العرب» (٤/٦١٢).

(٣) «رد الدارمي على بشر المريسي» (١/٣٠٥).

(٤) «اللآلئ البهية» في «شرح العقيدة الواسطية» لِمعالي الشيخ صالح آل الشيخ (١/٤٢٣).

ذلك، ولا يخفى، يرى ما في جوف البحار، ولُجِجها، كما يرى عرشه الذي هو مستوٍ عليه»(١).

قال الإمام الجليل أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان معتقد أهل الحديث: «وأن له عينين، كما في قوله تعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٤]»(٢).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصحاب الحديث: لسنا نقول في ذلك: إلّا ما قاله الله عَزَّوَجَلَّ، أو جاءت به الرِّواية عن رسول الله ﷺ، فنقول: وجه بلا كَيْف، ويدان، وعينان بلا كيف»(٣).

(١١ ـ ١٢) صفتا الكمال (الحُجْزة) و(الحَقْوُ) الجليلتان

صفتان ذاتيتان(٤) خبرِيَّتان ثابتتان بالسُّنَّة الصحيحة الصريحة عن خير البَرِيَّة محمد ﷺ.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال ﷺ: «إنَّ الرحم شجنةٌ آخذة بحُجزة الرحمن، يصل مَنْ وصلَها، ويقطع مَن قطعها»(٥).

(٢) وقال ﷺ: «خلق الله الخلقَ، فلمّا فرغ منه قامت الرَّحِم، فأخذت

---

(١) «الحُجَّة في بيان المَحَجَّة» (١/١٩٦).

(٢) «مقالات الإسلاميين» (١/٢٨٥).

(٣) المصدر السابق (١/٢٩٠).

(٤) «إبطال التأويلات» (٢/٤٢٠).

(٥) رواه أحمد في المُسند (٢٩٥٣)، وصححه شعيب الأرنؤوط (١١٠/٥)، وصححه الألباني في «السنة» لابن أبي عاصم (٥٣٨) وفي «السلسلة الصحيحة» (١٦٠٢).

بحَقْوِ الرحمن، فقال: مه! قالت: هذا مقام العائذ بك من القطعية...»[(١)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الحُجْزة والحَقْو: موضع عقد الإزار وشدّه، ثم قيل: للإزار حجزة لِلمُجاورة، فالحقو الخاصرة ومشدّ الإزار[(٢)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصَف رَبُّنا ﷻ بِصفة الكمال الحُجْزة والحَقْو كما يَليق به، والذي ينبغي للمؤمن الإيمان بذلك، والتصديق، والتَّسْليم أنهما صفتان حقيقيتان، مع التَّفْويض بكيفيتهما إلى الله تعالى، فكما نؤمن بأنَّ لله تعالى ذاتًا تليقُ به، كذلك يجبُ أن نؤمنَ أنَّ له صِفاتٍ تليق به، إذ إنَّ الصِّفات فرع من الذَّات يحذو بِحَذْوِها.

ولهذا كان ﷺ يذكر صِفاته تعالى في كلِّ المحافِل والمَجالِس دون تَقييدها وتخصيصِها في مكان دون آخر، فيذكرُها عند العَوامّ والخَواصّ دون تمييز، لأنَّ صَحابتَه رضوان الله عليهم أجمعين أبرّ قُلوبًا، وأصدق يَقينًا من غيرهم، والفرقة النّاجية أهل السُّنَّة والجماعة يَسيرون على هذا الرَّكب الجليل، فلا يَستوحشون هذه الأخبار الجَليلة، «سُئل الإمام أحمد عن الحديث الوارد فيه: «فذكر أنَّه يُمضي على ما جاء، غير ممتنع حمل الخبر على ظاهره، مع الإيمان أن صِفات الله تعالى لا تشبه صِفات المَخْلوقين»[(٣)].

وقال القاضي أبو يعلى: «اعلم أنَّه غير ممتنعٍ حمل هذا الخبر على ظاهره،

---

(١) صحيح البُخاري (٤٨٣٠).

(٢) «معجم مقاييس اللغة» (٨٨/٢)، و«القاموس المحيط» (٢٦٦)، و«المصباح المُنير» (٨٨).

(٣) «إبطال التأويلات» (٢٠٨/١)، (٤٢١/٢).

وأن (الحَقْو)، و(الحُجْزة) صفة ذات»[1].

قوله: «غير ممتنع حملُ هذا الخبر على ظاهره»: تقدم بيانه في القاعدة الثالثة، إن الأصلَ في الكلام إبقاؤه على الظاهر، ما لم يأت دليلٌ يصرفه عن ذلك، وليس هناك دليل يصرفه، فبقي على أصلِه، لأنَّه كما تقدم الصفات تمرّ كما جاءت.

قال الحافظ أبو موسى المديني: «وفي الحديث: (أن الرحم أخذت بحُجْزة الرحمن)، ثم ذكر تفسيرًا للحديث، ثم قال: وإجراؤه على ظاهره أولى»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا الحديث في الجملة من أحاديث الصِّفات، التي نَصَّ الأئمة على أنه يمرّ كما جاء، وردُّوا على من نفى موجبه، قال ابن حامد: ومِمّا يجب التصديق به: أن لله تعالى حَقْوًا...».

ثم بيّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ الفهم الصحيح الواجب فهمه في هذا الباب الجَليل فقال: «وليس ظاهر هذا الحديث أن لله تعالى إزارًا ورِداءً من جنس الأزر والأردية التي يَلْبَسُها الناس مِمّا يُصنع من الجُلود والكِتّان والقطن وغيره، بل هذا الحديث نص في نفي هذا المعنى الفاسد، فإنه لو قيل عن بعض العِباد: إن العظمة إزاره، والكبرياء رداؤه، لكان إخباره بذلك عن العظمة والكِبرياء الذين ليسا من جنس ما يُلبس من الثِّياب، فإذا كان المعنى الفاسد لا يظهر من وصف المخلوق، لأن تركيبه في اللفظ يمنع ذلك، وبين المعنى المُراد، فكيف يدعى أن هذا المعنى ظاهر اللَّفْظ في حَقِّ الله تعالى، فإنَّ كل من يفهم الخِطاب، ويعرف اللغة، يعلم أنَّ الرسول ﷺ لم يخبر عن رَبِّه بلبس الأكسية والثياب، ولا أحد

(١) المصدر السابق (٢/٤٢٠).

(٢) «المجموع المغيث» (١/٤٠٥) نقلًا من كتاب «صِفات الله الواردة» (١٣٩).

مِمّن يفهم الخِطاب يدعي في قوله ﷺ في خالد بن الوليد: «**إنه سيف الله**» أن خالدًا حديد، ولا في قوله ﷺ: «**إنّا وجدْناه بحرًا**»: أن ظاهره أن الفرس ماء كثير، ونحو ذلك»(١).

قال قوّام أهل السنة والجماعة الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فواجب على كل مؤمن أن يُثْبِتَ من صِفات الله عَزَّوَجَلَّ ما أثبته لِنفسه، وليس بمؤمن مَنْ ينفي عن الله تعالى ما أثبتَه لِنَفْسِه...، وجلَّ تعالى عن أن يشبه صفة شيء من خَلْقِه صفته، أو فعل أحدٍ من خلقه فعله»(٢).

(١٣) صفة الكمال (المَنْكِبُ) الجليلة

صفة ذاتية سمعية ثابتة بالسُّنَّة الصحيحة.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الرَّحِمَ شجنة متعلِّقة بمَنْكِبَي الرَّحمن تبارك وتعالى، قال الله تعالى لها: مَنْ وصلَك وصلته، ومن قطعكِ قطعْتُه**»(٣).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

المنكب هو: ما بين الكتف والعنق(٤).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

صفة المَنْكِب من الصِّفات الذّاتية التي يحذوا القول فيها القول في باقي

(١) «شرح كتاب االتوحيد» للغنيمان (٢/٣٨٣).
(٢) «الحُجَّة في بيان المَحَجَّة» (١/٢٨١).
(٣) رواه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (٥٣٦)، وصححه الألباني وقال: حديث صحيح وهو على شرط البُخاري (٢٣٦).
(٤) «الصحاح» (١٠٦٧).

صفات رَبِّنا على الوجه الذي يليق به، لا تشبه صِفات أحدٍ من خلقه، إنما تتفق المُسَمَّيات عند الإطلاق، وتختلف الحَقائقُ والكيفيّات عند الاختصاص.

وقوله ﷺ: «**إنَّ الرحم شجنة متعلقة بِمَنْكِبَي الرَّحمن**» لا تعارض مع قوله ﷺ: «**إن الرَّحِم شجنة آخذة بحُجْزة الرحمن**»: فلا يمنع أن تعلق بمنكبي الرحمن في حال، «وتعلق بحقو الرحمن في حال (أخرى)، فيجمع بين الخَبَرَيْن جميعًا»[(١)].

لأن الأصل إعمال الأدلَّة كما هو معلوم عند الأصوليين.

وقوله ﷺ: «**بمَنْكِبَي**»: تثنية مَنْكِب، أي: إن لِرَبِّنا (مَنْكِبَان) جليلان، كما ثنى (اليدان) و(العينان) و(القدمان).

(١٤) صفة الكمال (الصُّورة) الجليلة

صفة ذاتيَّة خبرية ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ بالأحاديث الصَّحيحة

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنهُ في رؤية المؤمنين لِرَبِّهم في يوم الدِّين، وفيه: «... **فيأتيهم الجَبّار في صورته التي رأوه فيها أوَّلَ مَرَّة، فيقول: أنا رَبُّكم! فيقولون: أنت رَبُّنا**...»[(٢)].

(٢) في حديث اختصام الملأ الأعلى في رؤية النبي ﷺ لله تعالى في المنام: «**إنِّي نعست فاستثقلت نومًا فرأيتُ رَبِّي في أحسن صورة**».

وفي لفظ: «**أتاني الليلة رَبِّي تبارك وتعالى في أحسن صورة**»[(٣)].

---

(١) «إبطال التأويلات» (٢/٤٢٦).

(٢) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٣) صحيح الترمذي (٣٢٣٣، ٣٢٣٤، ٣٢٣٥)، وفي كتاب «السنة» لابن أبي العاصم (٣٨٨).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

تطلق **الصورة** على: شكل الشيء، وحقيقته، وهيئته، وعلى صِفته[(١)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصف رَبّنا العظيم بالصورة، لأنه لا بُدَّ لكل قائم بنفسه من صورة يكون عليها، ويمتنع أن يكون في الوجود قائم بنفسه ليس له صورة يكون عليها[(٢)].

فيجب على كل مسلمٍ الإيمان بها على (ظاهرها)، ولا يقال فيها: كيف؟، ولِمَ؟ بل نستقبل بالتَّسْليم، والتصديق، وترك النَّظَر[(٣)]، لأننا نطلق تسمية الصورة عليه، كالصور، كما أن له ذاتًا لا كالذَّوات[(٤)].

قال الإمام الجليل محمد ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنَّ الصورة ليست بأعجب من اليدين، والأصابع، والعين، وإنما وقع الإِلْفُ لتلك لِمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية، ولا حَدّ»[(٥)].

(١٥) صفة الكمال (الإحاطة) الجليلة

صفة من صفات الذات السمعيَّة ثبتت بالقرآن الحكيم.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

(١) قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦].

---

(١) «معجم مقاييس اللغة» (٣/٣٩١)، و«القاموس المحيط» (٧٦١).

(٢) من كلام شيخ الإسلام في «نقض التأسيس» مخطوط، نقلاً من «شرح كتاب التوحيد» (٢/٤١) للغنيمان.

(٣) «الشريعة» للآجري (٣١٥).

(٤) انظر: «إبطال التأويلات» (١/٨١).

(٥) «تأويل مختلف الحديث» (٢٦١).

(٢) وقال عز شأنُه: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩].

(٣) وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

المحيط: اسم فاعل من قولهم: أحاط فلانٌ بالشَّيء فهو محيط به، إذا استولى عليه، وضمَّ جميع أقطاره، ونواحيه، حتى لا يتمكن من التخلص منه، ولا فوته، ولا يقدر الفرار منه.

فالإحاطة إدراك الشيء بِكَماله ظاهرًا، وباطنًا، والاستدارة بالشيء من جميع جَوانبه، ويأتي بمعنى: الهلاك، قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: ٤٢][(١)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصَف رَبُّنا جَلَّ جَلَالُهُ بصفة العلا الإحاطة الكاملة، الشاملة لكلِّ شيء في الأرض والسموات وما بينهما، وما فيهما.

فهو سبحانه أحاط بكلِّ شيء علمًا، وقدرة، ورحمة، وقهرًا، وقد أحصى بكل شيء عددًا، وقد أحاط بجميع المعلومات، وقدرته بجميع المقدورات، وبصره بجميع المبصرات، وسمعه بجميع المسموعات، ونفذت مشيئتُه وقدرتُه بجميع الموجودات، فدانت له جميع الموجودات[(٢)].

وهو سبحانه المحيط أي: جامع الكافرين[(٣)]، ومُحِلٌّ بهم عقوبته[(٤)]، قال

(١) «اشتقاق أسماء الله» (٤٦)، و«تفسير السّمعاني» (١/٥٤)، و«الأسنى» (٣١٠).

(٢) انظر: «تفسير السَّعدي» (١/١٧٩)، و«شأن الدعاء» (١٠٢)، و«الاعتقاد» للبيهقي (٦٨).

(٣) ثبت عن مجاهد انظر: التفسير الصحيح (١/١١٥).

(٤) ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما المصدر السابق.

تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩].

ومن إحاطته بهم في الدُّنيا: إبطالُ كيدِهم الدنيوي، ونصرته لأوليائه عليهم، قال سبحانه: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

(١٦) صفة الكمال (البقاء) الجليلة

صفة ذاتيَّة، خبرية، فطرية ثابته بالوحي الكريم.

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

البقاء هو: الدَّوام، وهو ثبات الشيء على حاله الأولى، وهو يُضادّ الفَناء، والباقي ضربان:

الأول: باقٍ بنفسِه لا إلى مُدَّة، وهو الباري ﷻ لا يصلح عليه الفناء.

وباقٍ بغيره: وهو ما عداه، ويصلح عليه الفَناء...[١].

ولا يُقال لغيرِ الله عَزَّوَجَلَّ الباقي إلا مُضافًا معلّقًا بشيء، كقوله: زيد الباقي بعد عمرو، لأنه عاش بعده، وبقاؤه إلى أمد ثم ينقضي[٢].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الله تبارك وتَعالى هو الباقي: الموصوف بالبَقاء الذي لا نِهاية له، الذي لا

(١) «المفردات» (١٣٨).

(٢) «اشتقاق أسماء الله» (٢٠٠).

يعرض عليه زوالٌ بحال من الأحوال، فبقاؤه سبحانه غير مُتَناهٍ ولا محدود، بل هو دائمٌ على الآباد بغير انتهاء.

وصفة بقائِه سبحانه ودوامه ليسَتْ كَبَقاء الجنة، والنّار، ودوامهما، لأنَّ بقاءَه تعالى أبديّ أزليّ، وبقاء الجنَّة والنّار أبدي غير أزليّ، فالأزلي لم يزل، والأبدي ما لا يزال، والجنة والنّار كائنتان بعد أن لم تكونا[(١)].

فالجنة والنار ومَن فيهما باقيتان بإبْقائه سبحانه، أما هو «سبحانه الحي الذي لا يموتُ أبدًا»[(٢)].

لأن بقاءه تعالى من نَفْسِه لا مِن غيره، أما بقاء غيره فمنه تعالى وحدَه.

قال الشيخ العَلّامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ: «البقاء من صِفات الله، فإذا أسند إلى إنسان، فهو من الشِّرك»[(٣)].

هذا إذا لم يكن مُضافًا مُعَلَّقًا بشيء، كما تقدم في المعنى اللغوي، كأن تقول: زيد الباقي بعد عمرو، ولا يجوز أن تقول: زيد الباقي، بدون إضافة ولا تقييد.

(١٧) صفة الكمال (الجَلال) الجليلة

يوصف رَبُّنا سبحانه بالجَلال، وهي من الأوصاف الذّاتيَّة، الخبريَّة، العقلية، الثابتة في الكِتاب والسنة النبويَّة.

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

---

(١) انظر: «الحجة في بيان المحجَّة» (١/١٤٠)، و«شأن الدعاء» (٩٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/٣٧٨).

(٣) «الفتاوى والرَّسائل» (١/٢٠٧).

(٢) وقال سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) في حديث الشفاعة الطويل، يقول ربُّ العالمين: «... **وعِزَّتي، وجَلالي، وكِبْريائي، وعَظَمتي، لأُخْرِجَنَّ منها مَنْ قال: لا إله إلا الله**»[(١)].

(٢) وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إنَّ الله تعالى يقول يومَ القيامة: أينَ المُتَحابُّون بِجَلالي؟ اليوم أُظِلُّهم في ظِلِّي، يومَ لا ظِلَّ إلّا ظِلِّي**»[(٢)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

جلَّ الشيء: عَظُمَ، وجُلُّهُ: معظمه، وجلال الله: عظمته، ويقال: جَلَّ جَلَالُهُ؛ أي: عظم قدرُه، فهو جليلٌ، والجلال بغير الهاء: التَّناهي في ذلك، وخُصَّ بوصف الله تعالى ولم يُستعمل في غيره[(٣)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الله تبارك وتَعالى هو الجليل الذي لأجل منه في الوجود على الإطلاق، فهو تعالى: الموصوف بِنُعوت الجَلال، وهي صِفات الكَمال، الحاوي جميعها على الدَّوام، ثابتة محققة له، لا يفوته منها وصف جلال، وكَمال[(٤)]، على الدوام.

فهو سبحانه عظيمُ الشَّأن والمِقْدار، فهو الجليل الذي يصغر دونه كلُّ جليل، ويتضع معه كلُّ رفيع، وهو سبحانه بيّن الجلالة، والجلال[(٥)]، لكلِّ ذي لُبٍّ وعقل.

---

(١) البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (٨٧٣).

(٢) مسلم (٢٥٦٦).

(٣) «المفردات» (١٩٨)، و«معجم مقاييس اللغة» (٤١٧)، و««شأن الدعاء»» (٧٠).

(٤) «النهاية» (١٦١).

(٥) ««شأن الدعاء»» (٧٠، ٩١)، و«تفسير أسماء الله» (٥٠).

(١٨) صفة الكمال (الفَوْقِيَّة) الجليلة

يوصَف رَبُّنا عزَّ شأنُه بصفة الفَوْقِيَّة العَلِيَّة، فوق كل الخليقة، وهي من أوصاف الذاتية، سمعية، فطرية، قد جبل عليها كلّ البَرِيَّة، نطقت بها جميعُ الشرائع السَّماويَّة.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

(٢) وقال عز شأنُه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

فوق: هو من ظُروف الأمكنة المُقابل للتحت، وتستعمل في المَكان، والزمان، والمنزلة، والشرف، وغير ذلك، وذلك أضرب:

الأول: باعتبار العُلُوّ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، ولهذا قابله سبحانه بقوله: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾.

والثاني: زيادة الفضيلة، والرُّتبة، والمنزلة، وغير ذلك.

والثالث: باعتبار القهر والغلبة[١].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصف ربّنا ﷻ بالفوقية العليَّة المطلقة من كل وجهٍ واعتبار، فله سبحانه فوقية:

(١) العلو والارتفاع بذاته فوق الأرض والسموات، مستوٍ على عرشه فوق كلِّ المخلوقات.

---

(١) انظر: «عمدة الحفاظ» (٣/٢٥٧).

(٢) وفوقية القدر، والصِّفات، فهو موصوف بكل صِفات الكَمال لا تفوته صفةٌ واحدة منها، ولا يطيق أحدٌ من العِباد واحدة منها.

(٣) وله فوقية الغلبة والقهر: فهو الغالب الذي لا يُغْلَب، والقاهر الذي لا يُقهر، الذي دانَتْ له كلُّ الكائنات بأسرِها، فلا يتحرك منهم متحرك، ولا سكن ساكن إلّا بإذنه(١).

(١٩) صفة الكمال (رؤية الله) الجليلة

إنَّ رؤية الله تبارك وتعالى في الدّار الآخرة، هي أشرف المسائل، وأسمى المَراتِب، وأغلى الأماني، وأعلى النَّعيم والهنى في جنات الله تعالى العُلا.

«فهي الغاية التي شمَّر إليها المُشمرون، وتنافس فيها المُتَنافِسون، وتسابق إليها المُتَسابِقون، ولِمِثْلها فليعمل العامِلُون، إذا نالها أهلُ الجنَّة، نسُوا ما هم فيه من النَّعيم، وحرمانها والحجاب عنها لأهل الجحيم، أشد عليهم من عَذاب الجحيم، اتفق عليها الأنبياء والمُرْسَلون، وجميع الصحابة، والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القُرون»(٢).

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: كنا جُلوسًا عند النبي ﷺ، إذْ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «**إنَّكم سَتَرَوْنَ رَبَّكم عيانًا، كما ترون هذا**

(١) «فتح الرحيم الملك» (٢٩) بتصرف.

(٢) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (٣٦١).

القمر، لا تضامُّون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاةٍ قبل غروب الشمس فافعلوا»[(١)].

وفي رواية: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن ناسًا قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله! هل نرى رَبَّنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تُضارُّون في القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا، يا رسول الله. قال: «هل تُضارُّون في رؤية الشمس ليس دونها حجاب؟» قالوا: لا، يا رسول الله. قال: «فإنَّكم ترونَه كذلك»[(٢)].

(٢) وعن صُهيب رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: «إذا دخلَ أهلُ الجنَّة الجنةَ، وأهل النّار النّارَ، نادى مُنادٍ: يا أهل الجنّة، إنَّ لكم عند الله موعِدًا، ويريد أن يُنجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألَمْ يُثقل موازينَنا، ويُبيّض وجوهَنا، ويُدخلنا الجنةَ، ويزحزحنا عن النار؟! فيُكشف الحِجاب، فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحبّ إليهم من النَّظر إلى رَبِّهم عَزَّوَجَلَّ، ولا أقرّ لأعينهم[(٣)]، وهي الزيادة»[(٤)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

إنَّ رؤية الله تعالى في يوم القيامة قد أجمع عليها أهلُ السُّنّة والجماعة، ورؤيته سبحانه في الآخرة تكون في مكانَيْن:

الأول: «في عَرَصَات يوم القِيامة.

الثاني: تكون بعد دخول الجَنَّة»[(٥)].

فالأولى رؤية هيبة، وإجلال.

---

(١) صحيح البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).
(٢) البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢) واللفظ له.
(٣) صحيح ابن ماجه (١٨٧).
(٤) مسلم (١٨١).
(٥) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (١/٣٨٤).

والثانية رؤية حبرة وتنعيم، ليس لسرورها ونعيمها مثيل، رزقَنا الله تعالى وإياكم لذة النظر إلى وجهه الكريم ـ آمين ـ.

وقد فسر سيد الأولين والآخرين نبينا محمد ﷺ الذي ليس بعد تفسيره تفسير، قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ بأن الحُسنى: هي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الأعلى سبحانه، ومن الأدلة السنية في رؤية رَبِّنا الواردة في الدارة الأخروية قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، فجمعَ سبحانه لأوليائه من النَّعيم كما في الآية التي تقدَّمَت: جمال الظاهر والباطن، فزيَّن وجوههم بالنَّضْرَة، وبواطنَهم بالنَّظَر إليه، فلا أجمل لِبَواطنهم، ولا أنعم، ولا أحلى من النظر إليه[(١)].

وقد أخبر ﷺ كما تقدم في الأحاديث أن المؤمنين سيَرَوْن الله تعالى حقيقة رؤية عين «**إنكم سترون ربَّكم عِيَانًا**»، قوله: (عِيَانًا): بكسر العين؛ أي: رؤية حقيقية لا خَفاء فيها، وقوله: «**كما ترون القمر**»: أشار إليه زيادة في البَيان، والتأكيد، والتحقيق، على أن المؤمنين يرون ربَّهم تعالى رؤية حقيقية بالأبصار، وقوله: «**لا تُضامُّون في رؤيته**»: تضامُّون: بفتح التاء، وضمها، والمعنى: لا يضر بعضهم بعضًا في رؤية الله تعالى، فيراه بعضُهم، ويحجب عن رؤيته آخرون منهم، بل يراه كل المؤمنين رؤية واضحة، كوضح الشمس والقمر.

وقوله في الحديث الآخر: «**لا تُضارّون**» بضم أوله، وبالضاد، وتشديد الرّاء، بصيغة المُفاعلة من الضرر، أي: لا تضرون أحدًا، ولا يضركم بمنازعة، ولا مُضايقة.

وقوله: «**كما ترون هذا القمر**»: الإشارة إلى القمر تلك الليلة التي هي ليلة

---

(١) «التبيان في أقسام القرآن» (١٩٨).

البدر، والقمر فيها أتمّ وأوضح ما يكون، فشبَّه ﷺ رؤية المؤمنين رَبّهم برؤيتهم القمر في تلك الليلة في تمامه واستوائه ووضوحه...، وهذا يدلُّ على أنَّ رؤية الله تبارك وتَعالى رؤية عيانية، جليَّة، لا لبس فيها، ولا خَفاء[(١)].

(٢٠) صفة الكمال (السُّلْطان) الجليلة

صفة ذاتية خبرية فطرية، جاءت في السُّنَّة المطهرة.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد يقول: «**أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسُلطانِه القديم، من الشيطان الرَّجيم**» فإذا قال ذلك، قال الشيطان: حُفظ مِنِّي سائرَ اليوم»[(٢)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

السُّلْطان: الحُجَّة والبُرهان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾؛ أي: حجة وبينة، وقال تعالى: ﴿فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾؛ أي: حيثما كنتم شاهدتم حُجَّة الله تعالى، لذلك قيل للأمراء: سلاطين، لأنهم الذين تُقام بهم الحُجَّة، والحُقوق. والسلطة: التمكن من القهر، ومنه السُّلْطان، لأنه يتمكن من قَهْر رعيته على ما يريد. والسلطان: الوالي، والجمع سَلاطين، وهو: قدرة الملك، وقدرة من جُعل ذلك له، وإن لم يكن مَلِكًا[(٣)].

فالسُّلطان في القرآن يطلق على وجهَيْن:

---

(١) «شرح كتاب التوحيد» للغنيمان (١/٣٦٧ ـ ٣٧٣).

(٢) صححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٤٦٦).

(٣) «عمدة الحُفّاظ» (٢/٢١١)، و«كتاب العين» (٢/٢٦٤).

المُلك، والقهر، والحُجّة[(١)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصف رَبّنا الجليل بالسُّلْطان العظيم القديم الأزليّ الذي ليس له ابتداء، كما أنه ليس له انتهاء، دائم بدوامه سبحانه على الآباد.

فهو سبحانه «الذي استوى على العرش واحتوى على الملك، يدبر الأمرَ في أقطار العلوي والسفلي»[(٢)].

فلا يملك أحدٌ رَدَّ مشيئته، أو نقض تدبيره، أو الخروج عن سُلْطانه، وتقديره، فكل المخلوقات قد خضعت في حركاتها، وسكناتها، وما تأتي وما تذر لملكِها ومدبّرها، فليس لها من الأمر شيء، ولا من الحكم شيء، بل الأمر كله لله، والحكم الشرعي، والقدري، والجزائي كله لله تعالى، لا حاكم إلّا هو، ولا ربّ سِواه، ولا إله سِواه[(٣)].

(٢١) صفة الكمال (السَّاعد) الجَليلة

صفة ذاتية خبرية نقليَّة، ثابتة بالسُّنَّة النبوية.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «... **فإنَّ ما آتاكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لك، وساعد الله أشد، وموسى الله أحد**»[(٤)].

---

(١) «الأشباه والنظائر» (١٦٧).

(٢) ««الحق الواضح»» (٣٣).

(٣) «فتح الرحيم الملك» (١٧).

(٤) رواه أحمد في المسند (١٥٨٨٨)، وقال شعيب الأرناؤوط: «صحيح على شرط مسلم» (٢٥/٢٢٤).

وفي رواية: «فكلّ ما آتاكَ اللهُ لك حل، ساعد اللهِ أشدّ من ساعدِك، وموسى الله أحدّ من موساك»[1].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الساعد: ما بين المرفق والكف، وسمي ساعِدًا لأنه يُساعد الكَفَّ في بطشِها، وعملها، والساعد هو العضد[2].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الساعد من صِفات الله تعالى الذاتية العليَّة، والتي تَليق بِكماله، وجَلاله، وعظمته، لا تشبه سواعدَ خلقِه، كصفة اليد، والكَفّ، والأصابع وغيرها من الصِّفات، ولِهذا ينبغي للمؤمن الموحد أن لا يستوحش هذه المعاني الجليلة من الصفات، بدعوى مشابهة ذلك بالمخلوقات، فإنه كما أثبتنا أنَّ لله تعالى ذاتًا لا كالذَّوات، فكذلك نثبت كلَّ ما جاء عن الله تعالى في كتابه، وعن رسوله ﷺ في سنته، من كماله الأعلى في الصِّفات.

فقد أخرج عبد الله ابن الإمام أحمد في كتابه الجليل «كتاب السنة» أثرًا عن الخليفة عمر رضي الله عنه أنه قال: «إذا جلس الرب عز وجل على الكرسي» فاقشعرّ رجلٌ سماه أبي (يعني الإمام أحمد)، فغضب وكيع، وقال: أدركنا الأعمش وسفيان الثوري يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها»[3].

قال القاضي أبو يعلى رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أنَّه غير ممتنع حملُ الخبر على ظاهره في

---

(١) صححه الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (١/٤٤٥)، وفي «التعليق الرغيب» (٢/١٠٤).

(٢) «المصباح المنير» (١٦١).

(٣) «كتاب السنة» رقم (٥٧١) (ص٢٥٩)، ورواه الذهبي في «العلو» رقم (٣٩٢) (١٠٣٤) عن أحمد بن حنبل، عن الوكيل عن إسرائيل ثم ذكر الحديث: «إذا جلس الرب...».

إثبات السَّاعد صفة لِذاته، كما حملنا قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ على ظاهره، وأنّها صفة ذات، إذْ ليس في ذلك ما يُحيل صِفاته ولا يخرجها عمَّا تستحق...»[(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيِّنًا أن قوله ﷺ «**وموسى الله أحد من موساك**»: «أنه ليس من الصِّفات، وإنما لم يجب حمل الموسى على أنه صفة للذات كالسَّاعد، لأنّ الموسى آلة، والآلات لا تكون صِفاتًا للذات، وليس كذلك السَّاعد...»[(٢)].

ومِمَّن أثبت هذه الصفة الجَليلة من المتقدمين ابنُ مَنْدَه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]، والملطي[(٤)].

ومِمَّنْ ذَكَر هذه الصفة وأثبتَها الشيخ عبد الكريم الخضير، قال حفظه الله: «... ويثبتُ لله جلَّ وعلا هذه الصفة بمثل هذا الخبر»[(٥)].

**   **   **

(١) «إبطال التأويلات» (٢/٣٤٤).

(٢) وله كلام نفيس، ارجع إليه غير مأمور. المصدر السابق (٢/٣٤٥ـ٣٤٦).

(٣) في كتابه «الرَّدّ على الجهمية» (٨٠).

(٤) «التنبيه والرد» (١٤٤) بواسطة «صفات الله الواردة» لعلوي السقاف (٢٠٨).

(٥) في شرحه لصحيح مسلم، كتاب الحج، كما هو مسجل في أحد المواقع الإلكترونية.

القسم الثاني: الصفات الفعلية

الصفات الفعلية: هي الصفات التي تقومُ بِذاته، بِمَشيئته، وقدرته، وإرادته، في كلِّ وقتٍ، وآن، وزَمان، فتحدث إذا شاء، عند وجود أسبابِها، كاستوائه على عرشِه، ونزوله كل ليلةٍ إلى السماء الدُّنيا، والخلق، والمحبَّة، والرِّضا، والغضب، والسخط، وهي تنفكُّ عن الله تعالى؛ أي: إنَّ الله تعالى رُبَّما اتصف بها في حالٍ دون حالٍ، بمعنى: إن شاء سبحانه فعلها، وإن شاء لم يفعلها[1]، وعلى هذا فالضابط في صفات الأفعال: أن «صفات أفعالِه متصفة بها الذّات، ومتعلقة بما ينشأ عنها من الأقوال، والأفعال»[2] التي لا حصرَ لها.

القواعد والضوابط

۞ القاعدة الأولى: (الصفات الفعلية أزلية النوع، حادثة الآحاد).

أي: إن صفات الله تعالى الفعلية أزلية كالصفات الذاتية، كما أنَّ ذاته العلية كانت قبل الخَليقة، فكذلك أفعاله تحذو حذوها.

ومعنى (حادثة الآحاد)؛ أي: أنَّها تتجدَّد وتحدث أفرادها شيئًا فشيئًا، تبعًا لِحكمة رَبِّنا جَلَّ جَلَالُهُ، مثل: صفة (الخلق): تحصل أفرادها شيئًا فشيئًا، فخلق العرش مثلًا وقته متقدم على خلق السموات والأرض، وهكذا خلقهما متقدمٌ

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/١٤٩، ٢١٧)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (١٢٧)، و««الحق الواضح»» (١٥٠)، و«الكواشف الجليلة» (٢٥٨)، و«الصفات الإلهية» للجامي (٢٠٦)، و«شرح الواسطية» لابن السعدي (١/٣٢٨)، ولابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/٣٢٧)، و«تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (١/٢٥١).

(٢) ««الحق الواضح»» (١٠١).

على خلق آدم، ونحو ذلك، فهو تعالى لم يتصف بصفة لم يكن موصوفًا بها في الأزل، بل هو لم يزل ولا يزال متصفًا بها.

قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما زالَ بِصفاته قديمًا قبل خلقه» «وكما كان بصفاته أزليًّا، كذلك لا يزال عليها أبديًّا، ليس بعد الخلق استفادَ اسمَ الخالق، ولا بإحداث البريَّة استفادَ اسم الباري»[1].

فهو تعالى لم يزل ولا يزال يقول، ويتكلَّم، ويخلق، ويدبِّرُ الأمور، وإن أفعالَه الجَليلة تقع شيئًا فشيئًا تبعًا لِحِكمته، وإرادته، فإنَّ شرائعه وأوامره، ونواهيه الشرعية لا تزال تقعُ شيئًا فشيئًا[2].

❁ **القاعدة الثانية: (صفات الأفعال كلها متعلِّقَة وصادِرَة عن ثلاث صفات).**

ثبت باستقراء أدلة الكتاب والسنة: «أن صِفات الأفعال كلها متعلقة، وصادرة، عن هذه الصفات الثلاثة: القدرة الكاملة، والمشيئة النافذة، والحكمة الشاملة التامَّة، وهي كلُّها قائمة بالله تعالى، والله متَّصِف بها، وآثارها، ومقتضياتها جميع ما يصدرُ عنها في الكون كله من التقديم، والتأخير، والنفع والضّرّ، والعطاء والحِرْمان، والخفض والرَّفع، لا فرق بين محسوسِها، ومعقولِها، ولا بين دِينِها ودُنْياها، فهذا معنى كونها أوصاف أفعال»[3].

❁ **الضابط الأول:** «كلُّ صفةٍ علقت على سَبَبٍ فهي من الصِّفات الفعلية».

الصفات الفعليَّة كلُّها تتعلَّق بالمَشيئة، ووجه كونِها تتعلَّق بالمَشيئة أنَّها مربوطة أو معلَّقة بالسَّبَب، إذ إن السبب واقع بِمَشيئته، والسبب هو الذي

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (١٢٧، ١٣٧).
(٢) «شرح الواسطية» لابن السعدي (٣٢٨/١).
(٣) «توضيح الكافية» (١٣١).

علقت به الصفة، فتكون الصفةُ إذن واقعة بِمَشيئته، وعلى هذا فنقول: الرِّضا من الصفات الفعلية لأنَّ لها سببًا معلومًا، فمتى وجد سببُ الرِّضا (من الأقوال، والأفعال، والأشخاص، والأحوال) وجدَ الرِّضا، وهكذا صفة الغَضَب، والسُّخْط، والمحبَّة، (والمقت، والانتقام، والبطش، والأخذ) فهي كلُّها من الصِّفات الفعلية، لأنَّها توجَد بوجود ذلك السَّبَب، وتَنتفي بانْتِفائه[(١)].

* الضابط الثاني: «كلُّ فعلٍ عَلَّقه الله تعالى بالمَشيئَة فإنَّه مقرونٌ بالحِكمة».

الله سبحانه فَعّال لِما يُريد، كيف يريد، ومتى يُريد، وفي أي وقتٍ يُريد، وهذا من كَماله الذي لا مُنْتَهى له سبحانه، ومع أنه الفَعّال لِما يُريد، فلا يُريد إلّا ما اقتضَتْهُ حكمتُه، وحمده، فجميعُ أفعاله تابعةٌ لِحِكمتِه، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠][(٢)].

۞ القاعدة الثالثة: (الله تعالى موصوفٌ بالفعل اللازم، وموصوف بالفعل المتعدِّي).

صفاتُ الأفعال من جهة تعلُّقها بمتعلّقها نوعان:

* النوع الأول: صفات مُتعدِّية، وهي ما تعَدَّت لِمَفعولِها بلا حرف جَرٍّ، مثل: الخلق، والرِّزْق، والهداية، والإضلال، والمنع، والعَطاء، والإحياء، والإماتة، والقَبْض، والبسط، والنَّصر، وأنواع التدابير الكونية، والشرعية، وغيرها مِمّا لا يُحصى، وهذا النوع متعلِّق بالمخلوقات.

* النوع الثاني: اللازمة؛ أي: غير مُتعدِّية، أي: قائمة بالفاعل، وهي: ما

(١) انظر: «شرح الواسطية» (١/١٨٤)، و«تفسير سورة آل عمران» (١/١٠٥)، و«تفسير سورة النساء» (٢/١٨٩)، و«سورة فاطر» (٨/١٥٠)، و«سورة الصافات» (٤٢) لابن عثيمين.

(٢) «فتح الرحيم الملك» (٢٧)، و«شرح صحيح البخاري» لابن عثيمين (١/١٦١).

تتعدَّى لِمَفعولِها بحرف جَرٍّ، كالاستواء، والمَجيء، والإتيان، والنُّزول، والفرح، والضحك، والعَجَب، فهذه الصفات الجَليلة لازمة لم يفعلْها سبحانه في غيره، فهي متعلِّقة بِذاتِه المقدسة العَظيمة.

وإنما قسمت كذلك: نظرًا للاستعمال القرآني من جهةٍ، ولِكَوْنِها في اللغة كذلك، وقد جمعَ هذَيْن النوعين سبحانه في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الحديد: ٤][1]، فـ(خلقُ السموات والأرض) من الأفعال المتعدِّية لِلمخلوقين، (ثم استوى على العرش) من الأفعال اللازمة لِذاتِه العَلِيَّة.

وينبغي أن يُعلَم أن صِفات الله تعالى المقيَّدة على وجه المُقابلَة بالجَزاء كما سيأتي كلها صِفات مُتعدِّية.

* **الضابط الثالث**: «وجوه الاختلاف بين صفات الذّات، وصِفات الفعل».

الأول: إنَّ الصفات الذاتيَّة تعتبر من لوازِم الذّات، لا تنفكُّ عنها بأيِّ حالٍ.

أما الصفات الفعلية ليست من لوازم الذّات، ويمكن أن تنفكَّ عنها، بمعنى: أن الله تعالى إن شاء فعلَها، وإن شاء امتنعَ عنها.

الثاني: إنَّ الصفات الذاتيَّة لا تتعلَّق بالمَشيئة، والإرادة، والقُدرة، أما الصفات الفعليَّة تتعلَّق بالمَشيئة، والإرادة، والقُدرة، متضمِّنَة للحكمة في كلِّ أوجهِها.

الثالث: إنَّ صفات الذّات لا ضِدَّ لها ولا مُقابل، أما صفات الفعل فلها

---

(١) انظر: «مجموع الفَتاوى» (٦/٢٣٣)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٢٢٩) (٢/٢٥٤)، و«توضيح الكافية» (١٣٢)، و«تفسير سورة آل عمران» (١/٢٥١) لابن عثيمين، و«اللآلئ البهية» في «شرح العقيدة الواسطية» لِصالح آل الشيخ (٢/٣٩)

ضدّ ومُقابل، فالذات مثل: (الحيّ)، والفعل مثل: (المُحْيي).

الرابع: إنَّ صفات الذّات ليس متعلّقة بِسَبب، أما صِفات الأفعال فهي مقترنة ومتعلِّقة بالأسباب.

الخامس: إنَّ مرجعَ صِفات الذّات إلى اسمه (الحيّ)، وأما صفات الفعل فهي ترجع إلى اسمه (القَيُّوم).

السادس: إنَّ الصفات الذّاتية متعلِّقة بالذّات، والصفات الفعلية متصفة بها الذّات، ومتعلِّقة بما ينشأ عنها من الأقوال، والأفعال.

السابع: إنَّ صفات الذّات ثابتة بالشَّرْع والعقل، أما صِفات الأفعال فمنها: ما هو ثابت بالعقل والشرع، كالخلق، والرِّزْق، (والإحسان، والإكرام، والرَّحمة، والحكم، والانتقام، والسُّرعة، والشفاء، وغيرها)، ومنها ما هو بالشرع، وإن كان العقل لا يدلُّ على خِلاف ما دلَّ عليه الشرع، كالاستواء، والنُّزول إلى سماء الدنيا[1]، والحَياء، والبَشْبَشَة، والعَجَب، واستطابة الرَّوائح، والمسح، وغيرها.

والمقصود وجه الاختلاف بين صِفات الذات، والفعل هنا: هو الصفات الذاتيَّة المَحْضَة، الذي ليس لها تعلق بالمَشيئة أبدًا، كما سيأتي في القسم الثالث من ذكر «الصفات الذاتية والفعلية» بالتفصيل أن هناك صفات متضمنة لِنوعَي الصفات الجَليلة الثبوتية الذاتية والفعلية.

❋ الضابط الرابع: «وجه التَّشابه بين صِفات الذّات والفعل».

الأول: إنَّ كِلا النوعَيْن يجتمعان في أنَّهما صفات لله تعالى، موصوف بهما سبحانه أزلًا، وأبدًا، لم يتصف بصفة لم يكن متصفًا بها قبل، فهو الموصوف بأوصافِه العُلا في كل زَمان.

(١) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (١٢٧) و«الحق الواضح» (١٠١) و«الكواشف الجليلة» (٧٤) و«القواعد الكلية للأسماء والصِّفات» (٩١ـ ٩٢)، و«المفسرون بين التفويض والإثبات» د. المغراوي (١/١١٧ـ ١١٨)، و«الصفات الإلهية» للتميمي (٦٥)

الثاني: إنَّ كِلا النوعَيْن يرجِعان إلى أسمائه الحُسنى، بمعنى: أنه كما سبق يرجع أحدُهما وهو صفات الذات إلى اسمه (الحيّ)، والفعل إلى اسمه (القيُّوم)، والله ﷻ أعلم، وأحكم.

أقسام الصِّفات الفِعْلِيَّة

تنقسم صِفات رَبِّنا العظيم الفعلية كما تقدم إلى قسمين:

صفات فعلية مطلقة[(١)].

وصفات فعلية مقيدة[(٢)].

والذي سنذكره في هذا القِسم هي: الصفات الفعليّة المقيدة على وجه المُقابلة في الجزاء بالعقوبة.

والقاعدة في هذا النوع: «أن الصفة إذا كانت كَمالًا في حال، ونقصًا في حال، فما يثبت لله تعالى منها هو حال الكمال المُقيَّد»[(٣)].

فهذا النوع من صِفات الأفعال لا تطلق على الله تعالى على وجه الإطلاق بل على وجه المُقابلة، لأن هذا النوع من «الصِّفات فيها نوعان: قبيح: وهو إيصال ذلك لِمَنْ لا يسحقّه، وحسن: وهو إيصالُه إلى مَنْ يستحقّه، عقوبة له، فالأول: مذموم، والثاني: ممدوح، والرَّبُّ سبحانه إنَّما يفعل من ذلك ما يُحمد

(١) هي الصفات التي جاءت غير مقيدة على جهة الجزاء، سواء كان الجزاء بالعقوبة، أو بالمثوبة، مثل: الخلق، والإبداع، والإحياء، والإماتة، والتدبير، والرزق، والاستواء على العرش، والخط، والكتابة، والزراع، والكلام، والسكوت، والصنع، والصوت، والمعية العامة، والقوت، والفعل، والعمل، وغيرها الكثير.

(٢) وهي نوعان: الأول: هي صفات جاءت على جهة المقابلة بالجزاء الحسن والمثوبة، مثل: الهرولة، والحثو، والغلبة، والمعية الخاصة، والمباهاة، والبركة، والمحبة، والرؤية، وغيرها الكثير، والثاني صفات مقيدة على جهة المقابلة بالجزاء في العقوبة كما ستأتي قريباً.

(٣) انظر هذه القاعدة في: «مجموع الفتاوى (١١١/٧)، و«الفوائد» (١٨٢)، و««بدائع الفوائد»» (١٥٢/٤)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢٩١/٢)، و«الوابل الصيب من الكَلِم الطَّيِّب» (٥٤)، و«شرح القواعد المثلى» لابن عثيمين (٣٠).

عليه عَدْلًا منه، وحكمة»[(١)].

وبذلك كانت هذه الصفات على وجه التقييد كمالًا لأنها على وجه المجازاة والعُقوبة بنفس الفعل جزاءً وفاقًا لِمَن اتصف بها، لأن الله ﷻ يُجازي عبادَه بحسب ما يقوم بهم من الصِّفات مدحًا، وقبحًا، وهذا غاية العدل والقسط، والحكمة «فمن مكر: مكرَ به، ومن خادعَ: خادعَه... فمكره سبحانه الذي وصف به نفسَه: هو مُجازاته للماكرين بأوليائِه، ورسله، فيُقابل مكرُهم السيئ بمكره الحَسن، فيكون مجازاة، وكذلك المُخادعة منه: جزاء على مخادعة رسلِه وأوليائه، فلا أحسن من تلك المخادعة، والمكر»[(٢)].

❊❊ ❊❊ ❊❊

---

(١) «إعلام المُوَقِّعين عن رَبِّ العالمين» (٣/٢١٨).

(٢) انظر: «الفوائد» (١٨٢ ـ ١٨٣).

(١) صفة الكمال المقيدة (المَكْر) الجليلة

القُرْآنُ الحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ﴾ [يونس: ٢١].

(٣) وقال ﷻ: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠].

السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ

كان من دُعاء النبي ﷺ: «**رَبِّ أعِنِّي ولا تُعِن عليّ، وانصُرْني ولا تَنْصُر عليّ، وامْكُرْ لي ولا تمكر عَلَيَّ**»(١).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

المكر في الأصل: إخفاء الحِيلة، وهو الخديعة، وهو التوصل بالأسباب الخَفِيَّة إلى الإيقاع بالخَصْم، دون أن يشعر ويعلم(٢).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

هذه أول الصِّفات الكَمالية المقيدة التي يوصَف الله تعالى بها على وجه المُقابلة على من عامل الله تعالى بها، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾؛ أي: أقواهم، وأقدرهم مكرًا، فكون الله تعالى أشدّ

(١) «صحيح أبي داود» (١٥١٠).

(٢) «عمدة الحفّاظ» (١٠٣/٤)، و«القاموس المحيط» (١٢٣٧)، و«إعلام الموقعين» (٢١٨/٣)، و«شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (٦٩/٢).

مكرًا منهم، فهذا صفة كمال، ولهذا يتبين أن الله تعالى أعلى وأعظم من هؤلاء الماكرين على الإطلاق.

وبهذا القيد يكون كمال من كل وجه، لأنه سبحانه لم يقل: أمكر الماكرين، بل قال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ فيكون مكره خيرًا، ولهذا يصح أن نصفَه سبحانه بذلك، فنقول: هو خير الماكرين، أو نصفه بصفة المكر في سبيل المُقابلة، أي: مقابلة من يمكر به، فنقول: إنَّ الله تعالى ماكر بالماكرين، لقوله سبحانه: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وبهذا علم أن الله تعالى يتصف بالمَكْر الحسن الذي لا أحسن ولا أكمل منه، وهو إيصال ما يُريد لِمَن يستحقه على وجه الجزاء العادِل الذي لا جور فيه، ولا ذَمّ، بخلاف غيره من خلقِه، فإنَّ مكرهم شيء مذموم، لأنهم يضعونه في غير محلِّه أي: بمن لا يستحقُّه، فهو خيانة وغدر(١).

(٢) صفة الكمال المقيدة (الكَيْد) الجليلة

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

(١) قال ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق: ١٦].

(٢) وقال عز شأنُه: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣].

(٣) وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الكيد: ضرب من الاحتيال فيما يقصده الإنسان، وغلب في المكر، ومنه

(١) انظر «شرح العقيدة الواسطية» (٢/٦٩) و«شرح عقيدة أهل السنة» (١٨٨) لابن عثيمين، و«اللآلئ البهية» (١/٤٥٢)

سُمِّيت الحرب كيداء، كما سميت خدعة، وقد يكون مذمومًا، وممدوحًا، وإن كان يستعمل في المذموم أكثر، فمن الممدوح: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦]، وقوله: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣](١).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

هذه الصفة المقيدة كسابقتها ولاحقها من الصِّفات التي لا يجوز إطلاقُها في حَقِّ الله تعالى إلا على جهة الجَزاء، وليست من النوع الذي يُمدح فاعله على الإطلاق، لأنها في مُقابلة من يعامل الفاعل بِمِثل فعله، وهي تدلُّ على أن فاعلَها قادرٌ على مقابلة عدوه بِمِثل فعله أو أشد(٢)، ولهذا كانت في هذا المقام كمال ما بعده كمال.

وقد قَصَّ لنا رَبُّنا ﷻ كيف يكيد كفار مكة للرسول ﷺ كيدًا عظيمًا كما دل التنكير كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾، ولكن الله تعالى يكيدُ بهم كيدًا أعظمَ وأشدَّ من كيدهم جزاءً وفاقًا، عدلًا منه عزَّ شأنُه، فقال: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾، ومن كيدهم ومكرهم به ﷺ ما ذكره في سورة الأنفال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾:

الأول: (ليثبتوك) يعني: يحبسوك.

الثاني: (يقتلوك) يعني: يعدموك.

الثالث: (يخرجوك) يعني: يطردوك(٣).

فقابل سبحانه كيدَهم بكيدٍ لا نظير ولا مثيلَ له، كما دلَّ التنكير في

---

(١) «المُفْرَدات» (٧٢٨)، و«عمدة الحُفّاظ» (٣/٤٤١).

(٢) «القواعد المُثْلَى» لابن عثيمين (٢٩).

(٣) «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (٢/٧٠) بتصرف يسير.

قوله: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ «والتنكير فيها: للتعظيم، وهكذا يكيد الله عَزَّوَجَلَّ لكلِّ من انتصر لِدينه، فإنه يكيد له، ويؤيِّده، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦]، يعني: عملنا عملًا حصل به مقصودُه دون أن يشعر به أحد، وهذا من فضل الله عَزَّوَجَلَّ على المرء: أن يقيَه شَرَّ خصمِه على وجه الكيد، والمكر على هذا الخصم الذي أراد الإيقاع به»(١).

وهذا الكيد كما تقدَّم هو الحسن الممدوح الذي يُحمد عليه عدلًا منه، وحكمة، بل وفضلًا منه لأوليائه، لأنه سبحانه يكيد لِمَن يُواليه، ويكيد لِمَن يُعاديه.

ومن الاستقراء للنُّصوص «أنَّ كيد الله تبارك وتَعالى لا يخرج عن نوعَيْن:

أحدهما ـ وهو الأغلب ـ: أن يفعل تَعالى فعلًا خارجًا عن قدرة العبد الذي كاد له، فيكون الكيدُ قدرًا زائدًا محضًا، ليس هو من باب الشرع، كما كاد أعداء الرسل بانتقامه منهم بأنواع العُقوبات، وكذلك كانت قصة يوسف.

والنوع الثاني من كيدِه سبحانه لِعبده المؤمن: هو أن يُلهمه تَعالى أمرًا مُباحًا، أو مستحبًّا، أو واجبًا يوصله به إلى المقصود الحسن، فيكون على هذا: إلهامه لِيوسف أن يفعل ما فعلَ، هو من كيده تعالى، وقد دَلَّ على ذلك قوله: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ٧٦]...» فالرَّبّ تبارك وتعالى يكيد لِمَن يُواليه، ويكيد من يُعاديه(٢)، وصور كيده سبحانه لأعدائه، وأعداء رسله، وأصفيائه كثيرة ومتنوعة، منها: أنه يستدرجهم من حيث لا يعلمون، قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢ ـ ١٨٣]؛ أي: أنه تعالى يواتر نعمَه عليهم مع انهماكهم في

---

(١) المصدر السابق (٢/٧١).

(٢) انظر: «إعلام الموقّعين» (٣/٢٢١).

الغَيّ، حتى يغترُّوا بما هم فيه من الخير، ظانِّين أن النِّعَم عليهم أثرة من الله تعالى وتقريب، وإنما هو خُذْلان وتبعيد، لأنه من كيدِه سبحانه القوي الشَّديد[1].

(٣) صفة الكمال المقيدة (الزَّيغ) الجليلة

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

(١) قال رَبُّ العالمين: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الصف:٥].

(٢) وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً﴾ [آل عمران: ٨].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان أكثر دعائه ﷺ: «**يا مُقَلِّب القلوب ثَبِّت قلبي على دِينِك**»، فقالت: يا رسول الله! ما أكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دِينك؟ قال: «**يا أُمّ سلمة! إنه ليس آدمي إلّا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمنْ شاء أقام، ومَن شاء أزاغ**»، فتلا معاذ قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾ [آل عمران: ٨][2].

(٢) عن سلمة بن نُفيل السكوني، أن رسول الله ﷺ قال: «... **ولا يزال من أمتي أمّة يُقاتلون على الحقّ، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم السّاعة**»[3].

---

(١) «تفسير النَّسَفي» (٣٩٧)، وابن كثير (٣٦٩/٢) بتصرف.

(٢) صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣٥٢٢)، و«في ظلال الجنة» (٢٢٣).

(٣) صححه الألباني في «صحيح النسائي» (٢٥٦١)، وفي «السلسلة الصحيحة» وقال: وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم (١٩٣٥).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الزَّيغ: المَيْل عن الاستقامة، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأحزاب:١٠] كناية عن شدة الخوف، وذلك أن الخائف لا يستقرُّ له بصر[(١)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف رَبّنا نفسه بفعل الزَّيْغ مقابلة لِمَن زاغ من الورى، عن اتِّباع الهُدى، واتبعَ الهَوى، فكان عقوبة وجزاء عدلًا منه تعالى.

وقد جاء هذا الفعل المقيد في إخباره سبحانه لِنَبيِّه ﷺ عن قول موسى عليه السلام لِقومه مُوَبِّخًا لهم على صَنيعهم، ومُقَرِّعًا لهم على أذيته وهم يعلمون أنه رسول الله إليهم: ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾، وكان من المُفترض أن يكون للرسول الإكرام والتوقير، والتَّعظيم، والانقياد لأوامِرِه التي جاء بها عن رَبِّه سبحانه وتعالى، فلمّا قابلوا ذلك بالزيغ وهو العُدول عن اتِّباع الحَقِّ مع علمهم به ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: عقوبة لهم على زَيْغِهم الذي اختاروه لأنفسهم، ورضوه لها، ولم يُوفقهم الله تعالى لِلهُدى، لأنهم لا يَليق بهم الخير، ولا يصلحون إلّا لِلشَّرِّ[(٢)].

وهذه العُقوبة على الذنب بالذنب[(٣)] جزاءً وِفاقًا، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾؛ أي: «الذين لم يَزل الفسق وصفًا لهم، لا لهم قصد في الهُدى، وهذه الآية الكريمة تفيد أنَّ إضلالَ الله تعالى لِعِباده ليس ظُلمًا منه، ولا حجة لهم عليه، وإنَّما ذلك بسببٍ منهم، فإنهم (هم) الذين

---

(١) «عمدة الحفّاظ» (٢/١٥٧).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/٤٧٣)، وتفسير السّعدي (٨٥٩).

(٣) تفسير ابن عطية (٥/٣٠٢).

أغلقُوا على أنفسِهم بابَ الهُدى بعدما عرفوه، فيُجازيهم بعد ذلك بالإضلال والزيغ الذي لا حيلة لهم في دَفْعِه، وتقليب القلوب عقوبة لهم، وعدلًا منه تعالى بهم، كما قال سبحانه: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[1] [الأنعام: ١١٠].

(٥) صفة الكمال المقيدة (الخِدَاع) الجليلة

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

عن الزُّبير بن العَوّام أنه كانت عنده أم كلثوم بنت عقبة، فقالت له وهي حامل: طيب نفسي بتطليقة، فطلَّقَها تطليقة، ثم خرج إلى الصلاة، فرجع وقد وضعت، فقال: ما لها خدعَتْني، خدعَها الله، ثم أتى النبي ﷺ، فقال: «**سبق الكتاب أجله، اخطُبْها إلى نَفْسِها**»[2].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الخِداع هو: الفساد، ثم عبر عن المكر والكيد، لِما فيهما من الفَساد.

والخداع هو: إنزال الغير عَمّا هو بصدده بأمر يبديه على خِلاف ما يُبطنه، ويُخفيه، ومنه: المَخْدَعُ لِمَوضع خفي في البيت[3].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف ربنا عز شأنه نفسه بالخداع على من يُخادعه، وهذا على جهة المُقابلة،

(١) تفسير السَّعدي (٨٥٩).
(٢) صحيح ابن ماجه (٢٠٢٦).
(٣) «عمدة الحُفّاظ» (٤٩١/١).

يدل كما تقدَّم على المدح، والكمال، «لأنه يدلُّ على قوة المُخادع، لأنه أشد مكرًا من عدوِّه، وأشد خِداعًا، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ [يونس: ٢١]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]، أما إذا كانَ ليس له سبب، وكان خداعًا في موضع الائتمان، فإنه لا يُسمَّى خداعًا، وإنما يُسمَّى خِيانة، وهذا ذمٌّ وعيب بكل حالٍ، ولهذا لا يوصَف الله عَزَّوَجَلَّ بالخائن مطلقًا، حتى الذين يخونون الله لا يُقابلهم بالخيانة كما قال تعالى: ﴿فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ٧١]، ولم يقل: فخانَهم، حتى أن الرسول ﷺ قال: «**لا تَخُنْ مَنْ خانَكَ**»(١)»(٢).

وخِداعه سبحانه لأعدائه يكون في الدُّنيا، وصائر يوم القِيامة، ففي الدنيا: كما قاله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾ «يعني: أنَّ الله يُقابل خداعَهم بِخِداع من عنده، ومخادعته إياهم أنه يُملي لهم حتى يستمرُّوا على هذا ويستمرئوه، فيبقون كُفَّارًا مع شَياطينهم، ومسلمين مع المؤمنين، ويعصمون بهذا النِّفاق دِماءهم، وأموالَهم، وهذا هو خِداع الله تعالى لهم، أنه يُملي لهم ليستمرُّوا في نِفاقهم، ثم يختم لهم بِسُوء الخاتمة»(٣).

والثاني: خِداعه لهم يوم القِيامة، وهو ما ذكره سبحانه في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۝١٣ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٣ ـ ١٤]»(٤)، فقد جعل الله

---

(١) صحيح الترمذي (١٢٦٤).

(٢) «تفسير سورة النساء» لابن عثيمين (٢/٣٦١).

(٣) المصدر السابق (٢/٣٦٠).

(٤) «تفسير السعدي» (٢١١).

تعالى خِداع أوليائه خِداعًا له سبحانه، لِعِظَم شأنهم عنده تعالى، فهو سبحانه الذّابّ والدافِع عنهم، الناصر لهم في الدُّنيا والآخرة، فينبغي لكلِّ عبدٍ أن يحمدَ الله تعالى في الليل والنَّهار، وفي السِّرِّ والجهار أن جعلَه من المؤمنين، ولم يجعله من الكافرين والمنافقين، وأن يسألَه سبحانه أن يثبته على الإسلام، كما كان يسأله خير الأنام ﷺ: (يا وليّ الإسلام وأهله ثَبِّتْني على الإسلام حَتّى ألْقاكَ عليه)[1].

(٥) صفة الكمال المقيدة (الاستهزاء) الجليلة

القُرْآنُ الكَرِيمُ

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٤ ـ ١٥].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الهزء: السُّخرية، وهزئ به، ومنه: سخر.

والهزو: الاستخفاف، يقال: استهزأ به يستهزئ؛ أي: استخفَّ به[2].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف الله تعالى نفسه كما في الآية المتقدمة بالاستهزاء على حقيقته التي تليقُ به، وهو على قاعدة أهل السنة والجماعة السلفية يجرى على ظاهره، وهو: أن الله عَزَّوَجَلَّ يستهزئ بِمَن يستحق الاستهزاء، وهو استهزاء حقيقي يَليق بالله عَزَّوَجَلَّ، فهو استهزاء حق، ليس استهزاء يتضمن نقصًا، لأن الله تعالى كل ما

---

(١) «سلسلة الأحاديث «الصحيحة» (١٤٧٦).

(٢) «لسان العرب» (٩/٨٥)، و«عمدة الحفاظ» (٤/٢٤٩).

وصف نفسه بوصف فهو وصف كَمال لا يتطرَّق إليه عيب، ولا مذَامّ، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

ولهذا إن الله لا يصف نفسَه بالاستهزاء على وجه الإطلاق، وإنَّما وصف نفسَه بالاستهزاء في مُقابلة المستهزئين بِعباده المؤمنين، وهذا دالٌّ على كَماله، وقوته، وعدم عجزه عن مُقابلتهم، وأنه سبحانه أقوى، وأعظم، وأشد منهم، فالله يستهزئ بِمَن يستهزئ به، أو بِرُسله، أو بشرعه، جزاءً وِفاقًا، وهذا من كَمال حكمته سبحانه: حيث جعل سبحانه الجزاء من جنس العمل، (فكل من عامل عِبادَه بصفة عامله الله بِمِثلها) وهذا (أيضًا) من عدل الله عَزَّوَجَلَّ، وهو ثابت في الدنيا وفي الآخرة، بل إن جَزاء الله تعالى عُمومًا، دائر بين: العدل، والفضل، فهو بالنسبة لِلعُصاة عدل، وبالنسبة لِلطائعين فضل، وعلى هذا فمعنى قوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يعني: أنه عَزَّوَجَلَّ يستهزئ بهم، ويتخذهم هُزُوًا(١).

ودلت الآية الكريمة وغيرها أن استهزاءه الحقّ بأعدائه سبحانه متنوع في الدّارين:

ففي الدنيا: «أنه يُملي لهم، ويمهل لهم، ويمدهم، ويدعهم في هذا الطغيان يضيعون، ويتيهون»(٢)، وهذا من استهزائه تعالى بهم جزاء لهم على استهزائهم بِعباده.

ومن استهزائه تعالى بهم: أن زيَّنَ لهم ما كانوا فيه من الشّقاء، والحالة الخبيثة، حتى ظَنُّوا أنهم مع المؤمنين، لما كف أيدي رسول الله وأصحابه عن قتلهم، مع أنهم في الآخرة في الدَّرك الأسفل من النار(٣).

(١) انظر: «أحكام من القرآن» (١/٩٩ ـ ١٠١)، و«تفسير سورة البقرة» (١/٥٤ ـ ٥٧) لابن عثيمين بتصرف يسير.

(٢) «أحكام من القرآن الكريم» (١/٩٨).

(٣) «تفسير السعدي» (٤٣)، و«تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (١/٥٤).

ومن استهزائه سبحانه (الكامل العدل) بهم يوم القِيامة: أنه يُعطي المؤمنين نورًا ظاهرًا، فإذا مشى المؤمنون بِنُورهم طفئ نور المنافقين، وبقوا في الظُّلْمَة بعد النُّور متحيرين، فما أعطاهم اليأس بعد الطمع، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣](١).

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويعطون النور جميعًا (أي: المؤمنون والكافرون) يوم القيامة، فيطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور، ويماز (أي: يفترق) بينهم حينئذٍ»(٢).

وهذا من أشد الاستهزاء، والعياذ بالله تعالى.

ولِشَيخ المفسرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامًا في غاية الأهمية في إثبات هذه الصفة بعد أنْ ذكر الاختلافَ في معناها، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والصَّواب في ذلك من القول والتأويل عندنا: أن معنى الاستهزاء في كلام العرب: إظهار المستهزئ لِلمُستهزأ به من القول، والفعل ما يُرضيه ظاهرًا، وهو بذلك من قيله، وفعله به مورثه مساءةً باطنًا، وكذلك معنى الخداع، والسّخرية، والمكر...».

وله كلام في غاية النّفاسة كذلك في الرَّدّ على مَن نفى هذه الصفات المقيدة (الاستهزاء، والمكر، والخديعة) فيرجع إليه(٣).

قال قوَّام أهل السنة الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتولى الذَّبّ عنهم (أي: المؤمنين)

---

(١) «تفسير السعدي» (٤٣).

(٢) «التفسير الصحيح» (٤/٤٤٧).

(٣) «التفسير» (١/١١٨).

حين قالوا (أي: المنافقين): (إنما نحن مستهزئون) فقال: (الله يستهزئ بهم)، وقال: (فيسخرون منهم سخر الله منهم)، وأجاب عنهم فقال: (ألا إنهم هم السفهاء)، فأجل أقدارهم أن يوصفوا بصفة عيب، وتولى المجازاة لهم، فقال: (الله يستهزئ بهم)، وقال: (سخر الله منهم)، لأن هاتين الصِّفتين إذا كانتا من الله، لم تكن سفهًا، لأن الله حكيم، والحكيم لا يفعل السَّفه، بل ما يكون منه، يكون صوابًا وحكمة»[(١)].

(٦) صفة الكمال المقيدة (الإعراض) الجليلة

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ بينما هو جالِس في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفَر، فأقبل اثنان إلى رسول الله، وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى فُرْجَةً في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفه، وأما الثالث فأدبر ذاهِبًا، فلمّا فرغ رسول الله ﷺ قال: «**ألا أُخبركم عن النَّفَر الثلاثة: أما أحدهم فآوى إلى الله، فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه**»[(٢)].

(٢) قال رسول الله ﷺ: «**أما لَئِنْ حلفَ على ماله ليأكله ظلمًا، ليلقينّ الله عَزَّوَجَلَّ وهو عنه معرض**»[(٣)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الإعراض: التولِّي، وأصله: من ولَّى في عُرضه؛ أي: ناحيته فأعرض عني

(١) «الحجة في بيان المحجة» (١/١٨١).
(٢) البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦).
(٣) صحيح مسلم (١٣٩)، و«صحيح أبي داود» (٣٢٤٥).

من كذا، وأعرض عن الشيء: إذا ولّاه ظهرَه[1].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

جاءت صفة الإعراض المقيدة على الوجه المُقابلة لِمَن اتصف بها، وهذا من عدله سبحانه، وحكمته، وكمال قدرته، فإنَّ رَبَّنا ﷻ يُعامل عباده بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة، على الوجه الأكمل، والأعظم، والأعلى، فمن أعرضَ عن الله تبارك وتعالى، وآياته، ورسولِه، وسبيلِ أوليائه، عامله جزاءً وِفاقًا بالإعراض عنه.

وهذا من كمال الله تعالى الذي لا منتهى له، ولا حد، لأنه سبحانه «فعّال لِما يريد في أي وقت، وعلى أي كيفية، وهذا من كماله، فهي كمال في وقتها، وعند وجود سببها، وهذه الأفعال الاختيارية مقرونة بالحكمة، فلا تكون موجودة إلا حيث اقتضتها الحكمة، وبهذا تكون كمالًا»[2].

ولهذا فإن مقابلة خلقِه سبحانه بنفس الصِّفة، كان محمودًا، حسناً منه من كل وجه، في بداياته، وأسبابه، ونتائجه.

وقد تقدم في الحديث الثاني في إخباره ﷺ أنَّ مَن أقسم بالله كذبًا وجورًا، فإنَّ الله تعالى سَيُعرِض عنه جزاءً حسنًا وفاقًا مقابلة للإعراض بالإعراض، فكما أنه لم يوقر ويعظم ربّه حق تعظيمِه فاستهان بجلاله وعظمته، فإن الله عَزَّوَجَلَّ سَيُعاقبه يوم القيامة بالإعراض، الأشد، والأقوى، وفي الحديث الأول في النَّفَر الثلاثة: «**وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه**» لم يُخبر النبي ﷺ عن نوعِ الإعراض وزَمانه، بل أطلق ونكّر لِيُفيد أنه كائن في الدنيا والآخرة.

---

(١) «النهاية» (٦٠٤)، و«عمدة الحُفّاظ» (٣).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن عثيمين (١/١٦١).

كما سيأتي بعضُ أنواع إعراضه تعالى في مقابلة مَنْ أعرضَ عنه.

واعلم رَعاكَ الله تعالى أنَّ أشدّ الإعراض عن الله عَزَّوَجَلَّ هو الإعراض عن ذِكْره الذي أنزله على رسولِه ﷺ، قال عزَّ شأنُه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ...﴾ [طه: ١٢٥ ـ ١٢٦]؛ «أي: ومن أعرضَ عن كِتابي الذي يتذكر به جميع المطالِب العالية، وأن يتركه على وجه الإعراض عنه، فإن جزاءه أن تجعل معيشته مشقة، ولا يكون كذلك إلا عذابًا»[(١)].

وقد جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مقابلة الإعراض عنه بالعذاب الشديد الدنيوي، والبرزخي، والأخروي «لإطلاق المعيشة الضَّنْك، وعدم تقييدها»[(٢)].

فالدنيوي: «ضنكًا في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراحًا لِصَدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره، فهو في قلق، وحيرة، وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة»[(٣)].

والبرزخي: فسرها النبي ﷺ: «عذاب القبر»[(٤)].

والأخروي: «أنه يحشر ويُبعث إلى النّار أعمى البصر (كما كان في الدنيا أعمي) البصيرة»[(٥)].

وهذا يدلُّ على كمال إعراض تعالى: لأنه قابلَ المُعرض بالإعراض الأشد، والأكبر، وبالعدل، والحق، والجزاء الحسن.

---

(١) «تفسير السعدي» (٥١٥).

(٢) المصدر السابق (٥١٦).

(٣) «تفسر ابن كثير» (٣/٢٣٣).

(٤) حسنه الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (١٤٦٧)، وفي «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٥٢).

(٥) «تفسر ابن كثير» (٣/٢٣٤).

(٧) صفة الكمال المقيدة (الخِزي) الجليلة

القُرْآنُ الحَكِيمُ

(١) قال ﷻ: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢].

(٢) وقال ﷻ: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

(٣) وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [النحل: ٢٧].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الخِزي: خُزي الرجل: لحقه انكسار، إما من نفسه، وإما من غيره، والخزي: الذُّل والهَوان، وأخزاهُ الله: أذَلَّه، وأهانه، وهو ضرب من الاستخفاف، والخزي يكون محمودًا، ومذمومًا، فمتى كان من الإنسان نفسه يقال له: الهون والذُّل، يكون محمودًا، ومتى كان من غيره يقال له: الهُون، والهَوان، والذل، يكون مذمومًا[(١)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الخزي من الأوصاف الفعلية الاختيارية والتي تقوم بمشيئة الله تعالى، وقدرته، المقترنة بحكمته، «لأن كل فعل علقه الله بالمشيئة فإنه مقرون

(١) «المفردات» (٢٨١)، و«المصباح المنير» (١٠١).

بالحِكمة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]»[1].

وعلى هذا فإنَّ الله تعالى يُخزي الكافرين ومَن يشاء من الظّالمين، حكمة منه تعالى، وعدلًا، وجزاءً وفاقًا بفعلِهم.

والخزي هو الذُّلّ والهوان، وهو من أشد العقوبات النفسية، والجسدية، الظاهرة والباطنة، والعياذ بالله تعالى.

ومن خزيه سبحانه لأهل الكفران:

«أنه مُذِلُّهم ومورثهم العار في الدُّنيا: بالأسر على أيدي المؤمنين، والقتل، (والتشريد)، وفي الآخرة بالنِّيران»[2]، جزاءً وِفاقًا من الدَّيّان، فالله تبارك وتعالى يُقابل أعداءه بالخزي المهين الحسِّي والمعنوي في الدنيا، ويوم الدِّين:

فالدنيوي الحسي: بالقهر، والقتل، والأسر، على أيدي المؤمنين كما قال سبحانه: ﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾، والمعنوي في هذه الدّار: أنه ﴿يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾، وكذلك: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٤].

والأخروي المعنوي: «فضحهم على رُؤوس الخَلائق، ويبين كذبهم وافتراءهم على الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ [النحل: ٢٧]»[3]. والحسي: النار وبئس المآل، قال سبحانه: ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩].

---

(١) «تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (٣/٨٥).
(٢) «تفسير الطبري» (٤/٧٨).
(٣) «تفسير السعدي» (٤٣٨).

ولما كان الخزي والعياذ بالله تعالى من أشد العقوبات والنكالات في الحياة الدنيوية والأخروية، استعاذ منه خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، ومحمد ﷺ سيد الأنام، وأولياء الرَّحمن، ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧].

ومن دُعائه ﷺ: «**اللَّهُمَّ لا تُخزني يوم القِيامة، ولا تخزني يوم البأس، فإن من تُخْزِهِ يوم البأس فقد أخزيتَه**»[١].

وأولياء الرحمن كما في دُعائهم: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، وفيه «إشارة إلى أنَّ من أدخله الله تعالى النّارَ فإنه لم يظلمه، ولكنه هو الذي ظلمَ نفسَه»[٢].

(٨) صفة الكمال المقيدة (العَدَاوة) الجليلة

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَـٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) كما في حديث قنوت الوتر الذي علمه ﷺ لِحَفيده الحسن[٣]، وكذلك لأنس رضي الله عنه في غير الوتر: «**اللَّهُمَّ اهدني فيمن هديت... وإنه لا يذل من واليت، ولا يعزُّ مَنْ عادَيْتَ**»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد في المُسند (١٨٠٥٦)، وصححه محقق المسند إسناده صحيح (٢٩/٥٩٦)، وأخرجه ابن السّنّي في «عمل اليوم والليلة» (١٢٩، وصحح إسناده سليم الهلالي (١/١٣٠).

(٢) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (١/٥٤٤).

(٣) «صحيح أبي داود» (١٤٢٥).

(٤) رواه أحمد في المسند (١٧٢٣)، وصححه محقق المسند (٣/٢٤٨).

(٢) يستشهد بالحديث العظيم «حديث الوَلِيّ»، أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله تعالى قال: مَنْ عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب...**»[١].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

العدو هو: التجاوز ما حد له، وأصله: التجاوز ومُنافاة الالتئام، فتارة يعتبر بالقلب، فيقال له: العداوة، والمُعاداة، وتارة بالمشيء، فيقال له: العدو، وتارة في الإخلال بالعدالة في المُعاملة، فيقال له: العدوان، والعدو، قال تعالى: ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

والاعتداء يكون على سبيل الابتداء، ويكون على سبيل الجَزاء[٢].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

أثبت الله تبارك وتعالى لِنَفسِه صفة العداوة، أي أن الله تعالى يُعادي، لكن لا يُوصَف بها على الإطلاق وإنَّما يوصَف بِكَمالها، وحسنها، وهو: في مُقابلة من يُعاديه، ويعادي ملائكته، ورسله، كما ذكرهم تعالى في الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ﴾؛ «أي: من عاداني، وملائكتي، ورسلي ـ ورسله تشمل: رسله من الملائكة، والبشر، وجبريل وميكال، وهذا من باب عطف الخاص على العام»[٣] إذ هُما داخلان في الملائكة لِعِظَم شأنهما.

وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: هذا جواب الشرط: من كان عدوًّا لله، فالله عدوٌّ له، ومن كان عدوًّا للملائكة فإن الله عدوٌّ له، ومَن كان عدوًّا لرسله فإن الله عدوٌّ له، ومَن كان عدوًّا لجبريل فإن الله عدوٌّ له، ومن كان عدوًّا لميكائيل فإن

---

(١) صحيح البُخاري (٦٥٠٢).

(٢) «المفردات» (٥٥٣). و«عمدة الحفاظ» (٣/٣٩).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١/١٩٥).

الله عدوٌّ له، وهنا أظهر في موضع الإضمار (أي: ذكر اسم الجلالة (الله)، ولم يقل: فإنه عدو للكافرين)، لِفائدتَيْن: إحداهما: لفظية، والثانية: معنوية:

أما الفائدة **اللفظية**: فمُناسبة رؤوس الآي.

وأمّا الفائدة **المعنوية**: فهي تتضمَّن ثلاثة أمور:

الأول: الحكم على أن مَن كان عدوًّا لله ومن ذُكر، بأنه يكون كافِرًا، يعني: الحكم على هؤلاء بالكُفْر.

الثاني: أن كلَّ كافرٍ سواء كان سبب كُفْره مُعاداة الله أو لا، فالله عدوٌّ له.

الثالث: بيانُ العِلَّة، وهي في هذه الآية: الكُفر، فكل كافِرٍ فالله عدوٌّ له.

وفي الآية: إثبات صفة العَداوة من الله تعالى؛ أي: إن الله يُعادي (مَن يُعاديه، ويُعادي أولياءه)، وهي صفة فعلية، كالرِّضا، والغضب، والسُّخْط، والكَراهة، والمُعاداة ضِدّها المُوالاة الثابتة للمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٢٧٥][1].

وعلى هذا فإن هذه الصفة الجليلة تدلُّ على أنه سبحانه عدوٌّ لكل الكافرين؛ أي: يُعادي كلَّ كافر، وكذلك يُعادي كل من عادى أولياءه، «فمَن عاداهم فقد عادى الله وحارَبَه، كما في حديث الوِلاية: «**من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب**»؛ أي: أعلمته بأنِّي مُحارِبٌ له»[2]، ومن يستطيع أن يُحارِبَ الله سبحانه؟! فإن مآله الهلاك، والخسران، والهَوان.

* * *

(١) «تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (١/٣١٣ـ ٣١٨).

(٢) «جامع العُلوم والحِكَم» لابن رجب (٢/٣٣٤).

(٩) صفة الكمال المقيدة (الانتقام) الجليلة

القُرْآنُ الكَرِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥].

(٣) وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

النقمة والانتقام: العقوبة بإنكار، ونقمت الشيء ونقمته بالفتح والكسر؛ أي: كرهتُه[1]، والانتقام: افتعال من نقم ينتقم: إذا بلغت به الكراهة حَدَّ السُّخط[2].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف الله تعالى نفسَه بالانتقام بِمَن يستحق الانتقام من الكافرين، والمجرمين، والمعتدين، وهذا وجه الكمال فيه، فإنَّ صفة الانتقام «ليست صفة كمال بِذاتِها، إلّا إذا كانت بِمَن يستحقُّ الانتقام، ولهذا يقول سبحانه: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]، وقوله: ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾؛ أي: صاحب انتقام، ولم يقل: (ذو الانتقام)، وفي الرحمة قال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨] ولم يقل: (ذو رحمة)، لأن الانتقام ليس من أوصافِ الله تعالى المُطلقة، وليس من أسماء الله

---

(١) «عمدة الحُفّاظ» (٤/٢١٦).

(٢) ««شأن الدعاء»» (٩٠)، و«تفسير الأسماء» للزّجاج (٦٢).

المنتقم، فـ(المنتقم) لا يوصَف الله به إلا مُقيَّدًا، فيقال: المنتقم من المُجرمين، أما (ذو انتقام) فهي لا تعطى معنى الانتقام المطلق لأن (انتقام) نكـرة[1].

وهذا الذي رَجَّحَه شيح الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ «وإنّما جاء المنتقم في القرآن مقيدًا كقوله: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾، وجاء معناه مُضافًا إلى الله في قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾»[2].

فربّنا جَلَّ جَلَالُهُ ينتقم ويُبالغ في العُقوبة لِمَن يشاء على قدر استحقاقهم بِما كفروا، وكذبوا، فهو تعالى يقصمُ ظُهور العُتاة، وينكل بالجناة، ويشدد العِقابَ على الطُّغاة، وذلك بعد الإعذار، والإنذار، وبعد التمكن، والإمهال[3].

(١٠ـ١١ـ١٢) صفات الكمال المقيدة (الخَتْم) و(الطَّبْع) و(الغِشَاوة) الجلال

القُرْآنُ الكَرِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧].

(٢) وقال سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣].

(٣) وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥].

---

(١) «تفسير سورة البقرة» (٥٦/١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٩٥/١٧).

(٣) انظر: ««شأن الدعاء»» (٩٠)، و«المنهاج» للحليمي» (٢٠٨/١)، و«المقصد «الأسنى» للغزالي (١٣٩).

(٤) وقال جلَّ ثناؤه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠١].

(٥) وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [يونس: ٧٤].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الختم والطبع يُقال على وجهَيْن: مصدر ختمت وطبعت، وهو تأثير الشيء كنقش الخاتم، والطابع.

والثاني: الأثر الحاصل عن النقش، ويتجوز بذلك تارة في الاستيثاق من الشيء والمنع منه، اعتبارًا بما يحصل من المنع بالختم على الكتب والأبواب، نحو: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾، وتارة في تحصل الشيء عن شيء اعتبارًا بالنقش الحاصل، وتارة يعتبر منه بلوغ الآخر[(١)].

الغِشاوة: ما يغطى به الشيء، والتغشية: السّتر والتغطية[(٢)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف رَبّنا العظيم نفسَه بأفعال جليلة على وجه العُقوبة لِمَن يستحقُّها من الكافرين، والمُعانِدين الصادِّين عن دِين الله تعالى الصراط المستقيم، فكانت هذه الأفعال: «الكتم، والطبع، والغشاوة المجعولة على أسماعهم، وأبصارهم وقلوبهم، كل ذلك عِقاب من الله تعالى لهم على مبادرتهم للكُفْر، وتكذيب الرسل باختيارهم ومشيئتهم، فعاقَبَهم الله تعالى بعدم التوفيق جَزاءً وِفاقًا»[(٣)] وهذا غاية العدل، والحق، والحِكْمة، والجزاء الوفاق، لأنه تعالى فعل بهم بعد

(١) «المفردات» (٢٧٤).

(٢) «عمدة الحفاظ» (٣/١٦٣).

(٣) «دفع إيهام الاضطراب في آيات الكِتاب» للشنقيطي (١٠)، وانظر: «تفسر ابن كثير» (١/٨٤).

غاية الإعذار، وبلوغ منتهى الإنذار في التكرار.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والقرآن مملوءٌ من أوله إلى آخره، إنما يدلُّ على أن الطبع، والختم، والغشاوة، لم يفعلها الرَّبُّ سبحانه بعبدِه من أول وهلة حين أمره بالإيمان، وبيَّنَه له، وإنما فعله بعد تكرار الدعوة منه سبحانه، والتأكيد في البَيان والإرشاد، وتكرر الإعراض منهم، والمُبالغة في الكُفْر والعِناد، فحينئذ يطبع على قلوبهم ويختم عليها، فلا تقبل الهُدى بعد ذلك.

والإعراض والكفر الأول لم يكن مع ختم وطبع، بل كان اختيارًا، فلمّا تكرَّرَ منهم صار طبيعة، وسجيَّة، فتأمَّل هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: ٦ ـ ٧]، ومعلوم أن هذا ليس حكمًا يعمُّ جميعَ الكُفّار، بل الذين آمنوا وصدقوا الرسل كان أكثرهم كُفّارًا قبل ذلك، ولم يختم على قُلوبهم، وأسماعهم...»(١).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأمة مجمعةٌ على أنَّ الله قد وصف نفسَه بالختم، والطبع على قلوب الكافرين، مُجازاةً لِكُفْرِهم»(٢).

(١٣) صفة الكمال المقيدة (الوَعْي) الجليلة

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أنها جاءت النبيَّ ﷺ فقالت: يا نبي الله! ليس لي شيء إلّا ما أدخل عليَّ الزُّبَيْر، فهل عليَّ جناح أن أرضخ مما يُدخل

(١) «شفاء العليل» (١/٢٦٠).
(٢) «تفسير القرطبي» (١/١٨٧).

عليّ؟ فقال: «**ارضخي**[(١)] **ما استطعت، ولا توعي، فيوعي الله عليك**»[(٢)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الوعي: الجمع، والحفظ، يقال: أوعيت الشيء في الوعاء: إذا أدخلت فيه، ووعيت الشيء: حفظته، وفلان أوعى من فلان؛ أي: أحفظ، وأفهم[(٣)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

جاءت الصفة الاختيارية المقيدة الوعي في سياق إخبار النبي ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما «**ارضخي ما استطعت**» فيه: «الحثّ على النفقة في الطّاعة، والنَّهي عن الإمساك والبخل، وعن ادِّخار المال في الوعاء»[(٤)]، والمعنى: أنفقي بغير إجحاف، ما دمت قادرة مستطيعة»[(٥)].

ثم نَهاها ﷺ بقوله: «**ولا توعي**»؛ أي: «لا تجمعي ولا تشحي بالنَّفَقَة»[(٦)] خشية الإنفاد، فإن ذلك أعظم الأسباب لِقَطع مادَّة البركة.

ثم حذَّرها بأن الله تعالى سَيُعاقبها ويُعاملها بنفس الصفة، فقال لها: «**فيوعي الله عليك**»؛ أي: «يمنعك كما منعت، ويقتر عليك كما قترت، ويمسك فضلَه عنك كما أمسكته»[(٧)] جزاءً عدلًا، حسنًا، ممدوحًا، كاملًا، لأنه كان في مُقابلة الوصف بالمِثْل، ولم يكن ظُلْمًا منه، ولا جَوْرًا، ولا بَغْيًا،

---

(١) ارضخي: أي: أعطي بغير تقدير. «المفهم لِما أشكل من تلخيص مسلم» (٣/٥٧).
(٢) البخاري (١٤٣٤)، ومسلم (١٠٢٩).
(٣) «النهاية» (٩٨١)، و«معجم «الصحاح» (١١٤٩).
(٤) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٤/١٢٨).
(٥) «فتح الباري» (٣/٣٧٩).
(٦) «النهاية» (٩٨٢).
(٧) صحيح مسلم (٤/١٢٩).

تَعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قال إمام الدنيا علامة الزمان الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فيه: «إثبات وصف الله بذلك حقيقة، على الوجه اللائق به سبحانه، كسائر الصِّفات، وهو سبحانه يُجازي العامل بمِثْل عمله، فمن مَكَرَ مكرَ به، ومن خادَع خدعَه، وهكذا من أوعى أوعى الله عليه، وهذا قول أهل السنة والجماعة، فالزمْهُ تَفُزْ بالنجاة والسلامة، والله الموفق»[1].

(١٤ ـ ١٥) صفتا الكمال (الوَصْل) و(القَطْع) الجليلتَيْن

السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَة بالعرش، تقول: مَنْ وَصَلَني وَصَلَهُ الله، ومَنْ قطعَني قطعَه الله»[2].

(٢) وقال ﷺ: «إنَّ الرَّحِمَ شجنة معلَّقة بمنكِبَي الرَّحمن تبارك وتَعالى، قال الله تعالى لها: مَنْ وصلَكِ وَصَلْتُه، ومَنْ قطعَكِ قطعْتُه»[3].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الوصل والقطعُ فِعْلان ثابتان لله سبحانه، لائقان به، من باب المُجازاة والمُقابَلَة لِمَنْ يَستحقهما، وهما من الصِّفات الواجِب إثباتهما له سبحانه كسائر الصِّفات، ولَيسْتا بِمُستحيلتين على الله في حقيقتيهما[4]، لأنَّهما لائِقتان بِكَماله، وجَلالِه، بِخِلاف صِفات خلقِه، فهما لائقان بضعفهم ونقصهم.

(١) تعقيب الشيخ ابن باز على ابن حجر في الحاشية (٣/٣٧٩).

(٢) البُخاري (٥٩٨٩)، ومسلم (٤٦٣٥).

(٣) رواه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (٥٣٦)، وصححه الألباني (٣٣٦).

(٤) «التنيه على المُخالَفات العقدية في «فتح الباري» للشيخ علي الشبل (٧٢) نقلًا من «الصِّفات الواردة» (٤١١).

وفي الاجتماع بينهما اجتماعُ وصف الكمال في الجَزاء بِنَوْعَيْه، إذ إن الجزاء إما أن يكون: بالفضل، وإما أن يكون بالعدل:

الجزاء بالعدل والفضل: دَلَّ عليه صفة (الوصل)

والجزاء بالعدل: دَلَّ عليه صفةُ (القطع) والله تعالى أعلم.

(١٦) صفة الكمال المقيدة (الاستِدْرَاج) الجليلة

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢].

(٢) وقال سبحانه: ﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيتَ الله يُعطي العبد من الدُّنيا على مَعاصيه ما يُحب، فإنَّما هو استدراج**» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤][(١)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

استدرجه: خدعَه، وأدناه منه على التدرج، وهو مأخوذ من الدرجة، يعني الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة، والمُراد أخذه على التدريج يعني قليلًا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٧٣١١)، وحسنه شعيب الأرنؤوط (٢٨/٥٤٧)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤١٤)، وفي «صحيح الجامع» (٥٦١).

قليلًا، فكلما فعل معصية قابلَها بنعمة[(١)].

قال إمام أهل السُّنَّة البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال أهل المَعاني: الاستدراج: أن يتدرج إلى الشيء في خفية قليلًا قليلًا، فلا يُباغت ولا يجاهر، ومنه درج الصبي إذا قاربَ بين خطاياه في المشي، ومنه درج الكتاب إذا أطوه شيئًا بعد شيء»[(٢)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف رَبُّنا العظيم نفسَه بفعل الاستدراج المقيد في مقابلة من يُعامِلونه، ويُعاملون رسلَه بالمِثْل، جزاءً عدلًا منه سبحانه، ولهذا فإن وصف ربنا جل وعلا بهذه الصفة الفعلية، حسن عظيم قويم، لأنه يدل على كَمال حِكمته، وقسطه، ونُفوذ مشيئته، وتمام قوَّتِه.

وأخبر سبحانه كما في سورة الأعراف أنه «سيستدرج الذين كَذَّبوا بآياته، والاستدراج: أن يُدنيهم من بأسه قليلًا قليلًا من حيث لا يعلمون»[(٣)].

كلما جددوا خطيئةً جدَّدَ الله تعالى لهم نعمَه، وأنساهم استغفارَه وأوبته، ولهذا قال سبحانه: ﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾؛ أي: «أنه يفتحُ لهم أبواب الرِّزق ووجوه المَعاش في الدُّنيا، حتى يَغترُّوا بما هم فيه، ويعتقدون أنَّهم على شيء، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]»[(٤)].

وقد ذكرَ الإمام الجليلُ البغوي عن السَّلَف صورًا وأنواعًا من استدراج

(١) «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (١٦٦)، و«معجم «الصحاح» (٣٣٧)، و«القاموس المُحيط» (٤٢٢)، و«فيض القدير» (١/٣٥٥).
(٢) «تفسير البغوي» (٣/٣٠٨).
(٣) «تأويل مشكل القرآن» (١٦٦).
(٤) «تفسر ابن كثير» (٢/٣٦٩).

الله تعالى: «قال عطاء: سنمكر بهم من حيث لا يعلمون، وقيل: نأتيهم من مأمنِهم، كما قال تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾، قال الكلبي: يزين لهم أعمالَهم، ويهلِكهم، وقال الضحاك: كلَّما جدَّدُوا معصيةً جَدَّدْنا لهم نعمةً، قال سفيان الثوري: نسبغ عليهم النِّعمة، وننسيهم الشُّكْرَ...»[1]. وكل هذه الأقوال حقٌّ وصحيحة، فهي داخلة في تفسير التنوع.

وفي الحديث المتقدم فيه إخبار من النبي ﷺ أن الاستدراج قد يكون لِغير الكافرين مِمَّنْ تَمادَوْا في المَعاصي، المُصِرِّين عليها، الناسين لآلاء ونعم الله عليهم، فيُجازيهم عقوبة لهم بالاستدراج، قال ﷺ: «**إذا رأيتَ أنَّ الله تعالى يُعطي العبد**»: «عَبَّرَ بالمُضارع إشارة إلى تَجدُّد الإعطاء وتكرُّره «**من الدنيا**»؛ أي: من زهرتها وزينتها «**ما يُحِبُّه**»؛ أي: عاكف عليها مُلازم لها «**فإنما ذلك**» فاعلموا إعطاءه ما يحب من الدُّنيا «**من**» من الله «**استدراج**»؛ أي: أخذ بتدريج واستنزال من درجة إلى درجة أخرى...، والاستدراج الأخذ بالتدريج لا مُباغتة، والمُراد هنا تقريب الله العبد إلى العُقوبة شيئًا فشيئًا..»[2].

(١٧) صفة الكمال المقيدة (النِّسْيان) «بمعنى الترك»[3] الجليلة

القُرْآنُ الكَرِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ [الأعراف: ٥١]

(٢) وقال عزَّ شأنُه: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

(١) «معالم التنزيل» (٣/٣٠٨).
(٢) «فيض القدير» (١/٣٥٤).
(٣) هذه الصفة من الصِّفات الفعلية المقيدة، وكذلك من الصفات المنفية كما ستأتي عند القسم الرابع من صفات ربنا الجليل، وهنا سنذكر المعنى الفعلي المقيد.

(٣) وقال سبحانه: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡ﴾ [السجدة: ١٤].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

حديث رؤية مُخاطبة الله تعالى الكافر يومَ القيامة، فيقول له: «**أفظَنَنْتَ أنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإنِّي أنْسَاكَ كما نَسيتَني**...»(١).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

النسيان يأتي بمعنيَيْن: الذّكر، والحفظ، والغفلة، يقال: نسي فلان شيئًا؛ أي: غابَ عن حفظه.

ويأتي بمعنى: التَّرك عن عمدٍ وقصدٍ، وهذا المعنى هو المَقْصود في حَقِّ رَبِّ العالمين(٢).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصف ربّنا الجليل بالصفة الاختيارية التي تقوم بِمَشيئته، وقدرته، النسيان بمعنى: الترك والإهمال على وجه المُقابلَة، والجَزاء، من قبيل المُعاملَة بالمِثْل لِمَنْ نَسِيَه في الدُّنيا؛ أي: نسي أوامرَه، ونَواهيه، وحقوقه في العبوديَّة، ونسي لِقاءَه يوم القيامة، وهذا من كَمال العَدْل، لأنَّ كمالَ الجَزاء وحسنه أن يكون من جِنْسِه، ونوعه.

وهذا المعنى هو الذي نَصَّ عليه أئمةُ الهُدى.

قال إمامُ أهل السنة والجَماعة أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ في رَدِّه على الزَّنادِقَة،

---

(١) مسلم (٢٩٦٨).

(٢) انظر: «المفردات» (٨٠٣)، و«عمدة الحُفَّاظ» (١٧٤/٤)، و«لسان العرب» (٥٤٤/٨)، وكتاب «العين» (٢١٩/٤)

الجَهْمِيَّة: «أما قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ يقول: نتركَكم في النّار، ﴿كَمَا نَسِيتُمْ﴾ كما تركتم العمل لِلِقاء يومكم هذا»[(١)].

قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾: «معناه: تركوا الله أن يُطيعوه، ويتبعوا أمرَه، فتركهم الله تعالى من توفيقه، وهِدايتِه، ورحمتِه، وقد دَلَلْنا فيما مَضى على أنَّ معنى النسيان: الترك...»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: فذوقوا العذابَ الأليم بما نسيتم لِقاء يومكم هذا، وهذا النسيان: نِسْيان ترك؛ أي: بما أعرضتم عنه أو تركتم العملَ له، ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾؛ أي: تركناكم بالعذاب جزاء من جنس عملكم، فكما نَسيتم نُسِيتُم[(٣)].

وسُئِلَ العلامةُ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل يوصَف الله تعالى بالنِّسيان؟

فأجاب: «للنسيان معنيان: أحدهما: الذُّهول عن شيء معلوم» ثم ضرب مجموعة من الأمثلة، ثم قال: «والمعنى الثاني لِلنسيان: التركُ عن عِلْمٍ وعَمْدٍ» ثم ضرب أمثلة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم قال: «وهذا المعنى من النسيان ثابِتٌ لله عَزَّوَجَلَّ...»[(٤)].

(١٨) صفة الكمال المُقيَّدة (السُّخرِية) الجليلة

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

---

(١) «الرّدّ على الزّنادقة والجهمية» (٢١).

(٢) «التفسير» (٥/٥١٠).

(٣) «تفسير السعدي» (٦٥٥).

(٤) «مجموع وفتاوى ورسائل له رَحِمَهُ ٱللَّهُ » (١/١٧١ ـ ١٧٤).

السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ

كما في حديث مخاطبة رَبِّ العالمين آخر الخارجين من النّار وآخر الداخلين إلى الجِنان، فيقول العبد لِلرَّبِّ: «...**أتسخر بي؟ أو تضحك بي وأنت المَلِك**»(١).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

السخرية: الاستهزاء، يقال: سخرت منه، وبه: هزئت منه، وهزئت به، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]؛ أي: المستهزئين(٢).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصف رَبّنا تعالى بوصف الكمال على وجه التقييد «بالسُّخرية» لِمَن اتَّصف بها من أعدائه في مقابلة أوليائه، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ..﴾ الآية.

وجاء في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في تفسير الآية، أنه قال: «لَمّا نزلت آية الصدقة، كُنّا نحمل على ظُهورنا، فجاء رجلٌ فتصدَّق بشيء كثير، فقالوا (أي: المنافقون): مُرائي، وجاء رجل فتصدق بِصاعٍ، فقالوا: إنَّ الله لَغَنِيٌّ عن صدقة هذا»(٣).

فقابلهم الله تعالى (ونِعْمَ المُقابلَة بجنس) صنيعهم بأن: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٤).

وهذا كما تقدَّم من كمال العَدْل، والحكمة، بل وكمال القوة، والقدرة، والعزة، أن يُقابل الظالم بمثل أو أشد من فعله.

---

(١) البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).

(٢) «عمدة الحُفّاظ» (٢/١٨٢)، و«معجم «الصحاح» (٤٨١).

(٣) صحيح البُخاري (١٤١٥)، ومسلم (١٠١٨).

(٤) «تفسير السعدي» (٣٤٦).

وهذا يدلُّ على كَمال محبته تعالى لأوليائه كما تقدم قول قوّام أهل السنة الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتولى الذَّبّ عنهم (أي: المؤمنين) فأجل أقدارهم أن يوصفوا بصفة عيبٍ، وتولى المُجازاة عنهم لأن (هذه الصِّفَة) إذا كانت من الله تعالى، لم تكن سَفهًا، لأن الله حكيم، والحكيم لا يفعل السَّفه، بل ما يكون منه يكون صَوابًا، وحكمةً» باختصار.

(١٩) صفة الكمال المقيدة (الإهْلاك) الجليلة

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٨].

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ١٧].

(٣) وقال جَلَّ ثناؤه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

(٤) وقال تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَـٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَـٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء: ٩].

(٥) وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «أرسل رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه

إلى رأس المشركين يدعوه إلى الله تعالى، فقال المشرك: هذا الذي تدعوني إليه من ذَهَبٍ أو فضة، أو نُحاس، فتعَاظم مقالته في صدر رسول الله ﷺ...، وأرسل الله تبارك وتَعالى عليه صاعقةً من السماء فأهلكته». ورسول الله ﷺ في الطريق، فقال لا يدري، فقال له النبي ﷺ: **«إنَّ الله قد أهلكَ صاحبَك بعدَك»**، ونزلت على رسول الله ﷺ: **﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾** [الرعد: ١٣][١].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الهلاك يُطلَق على أربعة وجوهٍ:

الأول: افتقاد الشيء عنك، وهو موجود عند غيرك.

الثاني: هَلاكُ الشيء باستحالة وفَساد.

الثالث: الموت.

الرابع: بُطْلان الشيء من العالم وعدمه رأسًا.

وقد يطلَق الهلاك على: العَذاب، والخوف، والفقر، ونحوها[٢].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف رَبّنا تعالى نفسه بالصفة الفعلية المقيدة «الإهلاك»، على وَجْهِ الجزاء والعِقاب للظالمين، والمتجَبِّرين، والمُسْرِفين، والله تعالى من حِكمتِه وعَدْلِه أنه لا يُهلك أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، والبينة الواضحة، كما قال تعالى في سورة القصص: **﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾**؛ أي: بِكُفْرهم، وظُلمهم **﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا﴾**؛ أي: في القرية والمدينة التي إليها يرجعون،

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٣٣٤١)، وصحح إسنادَه الألباني في «السنة» لابن أبي عاصم (٦٩٢) (ص٣٠٤).

(٢) انظر: «المفردات» (٨٤٣)، و«عمدة الحفّاظ» (٤/٢٥٤).

ونحوها يتردَّدون ﴿رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا﴾ الدّالَّة على صِحَّة ما جاء به، وصدق ما دَعاهم إليه، فيبلغ قوله قاصيهم ودانيهم، ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ﴾ بالكفر، والمَعاصي مستحقون لِلعُقوبة، والحاصل أن الله تعالى لا يعذب أحدًا إلّا بِظُلْمه، وإقامة الحُجَّة عليه»[1].

وأنواع إهلاكه سبحانه لأعدائه وأفرادها، وصورها لا تُحاط بها الأقلام، ولا تتوهم كيفيتها الأفهام، فتأتي على طرائق من حيث لا يحتسبها الأنام، فمنها الاستئصال: بأن يبيد أهلها جميعًا قبل يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾؛ أي: أو معذبوها بالقتل، أو ابتلائه بما يشاء من صنوف العذاب، وإنما يكون ذلك بسبب ذُنوبهم وخَطاياهم[2].

ومن صور الهَلاك التي تأتي من حيث لا يحتسب، ما قاله سبحانه: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَـٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦]؛ «أي: جاءهم الهَلاكُ والعذابُ من بُنيانهم الذي بنوهُ من قصور مشيَّدة، فصار تدبيرهم تدميرهم»[3].

ومن الهلاك الذي قَصَّه سبحانه في الكِتاب للأمم الظالمة: الطُّوفان لِقوم نوحٍ، والريح لِعاد، والصيحة لِثَمود، والحصى وقلب القرى لقوم لوط، والخَسْف كما فعل بِقارون، والغرق لِفرعون وقومه، وغير ذلك مِمّا لا يُحصى ولا يُحاط.

---

(١) «تفسير السعدي» (٦٢١).

(٢) «تفسير الطبري» (٤١/٥)، و«تفسر ابن كثير» (٦٩/٣).

(٣) انظر: «تفسير السعدي» (٤٣٧).

(٢٠) صفة الكمال المقيدة (الإهانة) الجليلة

القُرْآنُ الكَرِيمُ

قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدْ هَوانَ قُريش أهانَهُ اللَّه».

وفي لفظ: «مَنْ أهانَ قُريشًا أهانه الله»[(١)].

(٢) وقال ﷺ: «مَنْ أهانَ سلطانَ الله في الأرض أهانَه الله»[(٢)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

هون: الهون له عدة إطلاقات: السَّكينة، والوَقار، ويطلق على: الذُّلِّ، والاستخفاف، يقال: رجل فيه مَهانة؛ أي: ذُلّ وضعف، واستهان به: استحقره، والهونُ بالضم: الخزي، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣][(٣)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

أثبت الله تعالى لِنفسه على وجه المُقابلة بالفعل الاختياري الإهانة، والأفعال الاختيارية كلُّها على وجه المُقابلة أو على الإطلاق مقرون بالحكمة العَلِيَّة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، فكلُّ فعل يقوم سبحانه لا بُدَّ فيه من حكمة قام بها سبحانه، وقد

---

(١) رواه ابن أبي العاصم في «السنة» (١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩)، وحَسَّنَ إسناد الروايات محقق الكتاب أ.د. باسم بن فيصل الجوابرة (٢/٩٩٦ـ ٩٩٨)، وذكره الألباني في «الصحيحة» (١١٧٨).

(٢) حسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٢٢٤)، وفي «السلسلة الصحيحة» (٢٢٩٧).

(٣) انظر: «الصحاح» (١١١٣)، و«القاموس» (١٣٧٠)، و«عمدة الحفاظ» (٤/٢٦٦).

تقدَّم أن الأفعال كلها متعلقة بأسباب، فمتى وجدت أسبابها وجد الفعل منه سبحانه، كما في هذه الصفة المقيدة، والأفعال المُقيدة إضافة على ما تقدم أنها تكون في وجه المُقابلة، والمعاملة بالجَزاء الحق، ولهذا جاءت هذه الصفة في سياق إخبار الله تعالى بِسُجود كلِّ من في السموات والأرض وما فيهما، وما بينهما من جَمادات وناطقات وغير ناطِقات: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ١٨]، ومعنى ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: «المؤمنون، ثم قال: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾؛ أي: وجب وكتب لِكُفْره وعدم إيمانه، فلم يُوفقه الله تعالى للإيمان، لأن الله تعالى أهانه ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾»(١)، أي: مَن يُذله الله فلا يكرمه أحد، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾؛ أي: يكرم، ويُهين، فالسعادة والشَّقاوة بإرادته، ومشيئته(٢)، فربنا سبحانه لا يهين، ولا يُذِل، ولا يخزي إلّا مَن استحقَّ ذلك، وهو بمُشاقته لله سبحانه.

ولقد أفصحت السنةُ عن هذه الصفة على وجه المُقابلَة لِمَن خالف أمره سبحانه، وأمر رسوله ﷺ، ومن ذلك: «إهانة قريش» كما تقدم، فإن الله تبارك وتعالى قد فَضَّلَها على غيرها من القَبائل كما جاءت النصوص الكثيرة الوفيرة، من ذلك: أن من أهانَها عامله الله تعالى وجازاه بأن يُهينَه؛ أي: يُذِلّه، ويُخزيه جزاءً وعدلًا منه تعالى.

وكذلك «إهانة سلطان الله تعالى» وهو الأمير كما في الرواية في الترمذي: إن زياد بن كسيب العدوي قال: كنت مع أبي بكرة تحت فهر بن عامر، وهو يخطب، وعليه ثِياب رِقاق، فقال أبو بلال: انظروا إلى أميرنا يلبس ثِياب

(١) «تفسير السعدي» (٥٣٦).
(٢) «معالم التنزيل» للبغوي (٥/٣٧٢).

الفُسّاق، فقال أبو بكرة: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أهانَ سُلطان الله في الأرضِ أهانَهُ الله».

والمعنى: «مَنْ أهانَ مَنْ أعزَّه الله وألبسه خلعة السلطنة، أهانه الله، و(في الأرض) متعلق بِسُلطان الله تعلقها في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]، والإضافة في سلطان الله إضافة تشريف، كبيت الله، وناقة الله»[(١)].

فليحذر العبد أن يُهين وليَّ الأمر سواء كان بالقول: كالغيبة، والاستهزاء، والازدراء، والبهتان، أو بالفعل: كالوِشاية، والتحريض بالخُروج عليه سواء كان: بالسلاح، أو بالكلام أو بالحشد كما في هذا الزَّمان من البدعة المحدثة: المُظاهَرات، والاعتصامات، والتي ما أنزل الله بها من سلطان. والله تعالى هو الهادي إلى سوء السبيل.

(٢١) صفة الكمال المقيدة (شديد المِحال) الجليلة

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرَّعْد: ١٣].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

أصل المحل في اللغة: الشِّدَّة، يقال: ما حلته محالًا: إذا قاويته، حتى يتبين له أيكما أشدُّ[(٢)]، وبهذا المعنى صح عن قتادة رضي الله عنه أنه قال: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾؛ أي: القوة، والحيلة[(٣)].

ويطلق على: شدة الأخذ بالعُقوبة.

(١) «تحفة الأحوذي» بشرح جامع الترمذي» لِلمُباركفوري (٨٦/٦).
(٢) «معاني القرآن وإعرابه» للزجّاج (١٤٣/٣).
(٣) «التفسير الصحيح» (١١٢/٣).

والمماحلة كذلك: المُماكرة، والمُكايدة، والمُغالبة، والمعنى: أنه شديد الكيد والمَكْر، وقيل: شديد الانتقام.

وكلُّ هذه المعاني مُتقاربة بألفاظ مُتَغايرة[1].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

هذه الصفة الفعلية الاختيارية تثبت لله تعالى كسائر غيرها من الصِّفات، كما يليق بِجَلال رَبِّنا، وعظمتِه، وقد جاءت في سِياق إخبار الله تعالى في جِدال الباطل من الكافرين والمُعاندين، فأخبر سبحانه بأنه: ﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾؛ «أي: شديد الحول، والقُوَّة، فلا يريد شيئًا إلّا فعلَه، ولا يتعاصى عليه شيءٌ، ولا يفوته هاربٌ»[2].

ومن ذلك أنه تعالى: شديد الأخذ بالعُقوبة والنّقمة، شديد المكر، والكيد لِمَنْ عاداه، أو عادى رُسلَه، وأولياءه، ودينه، فيأتيهم بالهلكة، والعذاب من حيث لا يحتسبون[3].

(٢٢) صفة الكمال المقيدة (المُوهِن) الجليلة

القُرْآنُ الكَرِيمُ

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنفال: ١٨].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الوهن: ضعف من حيث الخَلْق، أو الخُلُق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا

(١) «عمدة الحفاظ» (٤/٧٥)، و«شرح الواسطية» للهراس (٢/٦٤).
(٢) «تفسير السعدي» (٤١٥).
(٣) انظر: «شرح الواسطية» لعبد العزيز السلمان (٢/٦٥)، و«اللآلئ البهية» لآل الشيخ (١/٤٥١).

تَحۡزَنُواْ﴾ [آل عمران: ١٣٩]؛ أي: لا تضعفوا، ولا تجبنوا، ويقال: وهنه وأوهنه ووهنه: أضعفه، وهو واهن وموهون: لا بطش عنده[(١)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف ربنا العظيم نفسَه بالوصف المُقيَّد على وجه المُقابلَة والجَزاء بأنه موهِنُ كيد الكافرين جزاءً حسنًا، ممدوحًا، مليحًا لا مثيل له، فقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: «أن الله تبارك وتعالى مُضعف كلِّ مكرٍ وكيدٍ يكيدون به الإسلامَ وأهلَه، وجاعل مكرَهم مُحيقًا بهم[(٢)] حتى يذلُّوا، وينقادوا للحقِّ، أو يهلكوا»[(٣)].

وجاءت قراءة (موهن) بالتشديد: (مُوَهِّن)[(٤)]؛ أي: أن الله تعالى يَنقض ما يُبرمه المشركون لِرسول الله ﷺ وأصحابه، عقدًا بعد عقد، وشيئًا بعد شيء[(٥)].

(٢٣) صفة الكمال المقيدة (البطش) الجليلة

القُرْآنُ الكَرِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦].

(٢) وقال سبحانه: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢].

(٣) وقال جَلَّ ثناؤه: ﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ﴾ [القمر: ٣٦].

---

(١) «عمدة الحفاظ» (٣٤٦/٤)، و«القاموس المُحيط» (١٤٢٤)، و«تفسير الطبري» (٢٢/٤).

(٢) «تفسير السعدي» (٣١٧).

(٣) «تفسير الطبري» (٢١/٤).

(٤) إذ إن التشديد يُفيد المُبالغة في الفعل.

(٥) المصدر السابق (٢٢/٤).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

البطش: تَناوُل الشيء بِصَولة وقهر، والأخذ الشديد في كُلِّ شيء، والبأس، ويقال: هو سرعة الانتقام، وعدم التُّؤدةِ في العفو(١).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

البطش من صفات الله تعالى الكَمالية، لأنها في مُقابلة مَنْ يستحقُّون ذلك، ولهِذا مجَّدَ نفسَه بالبطش، بل «ولم يكف أن ذكره بلفظ البطش، حتى وصفه بشدة البطش المتضمِّن لِكمال القوَّة، والعِزَّة، والقدرة، وعدم النَّظير»(٢).

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾؛ أي: إن عقوبته لأهل الجَرائم والذنوب العظام شديدة، ولهِذا وصف بطشه (كما تقدم) بـ (الشديد»؛ أي: شدة يزيد عنفها على ما في البطش من العنف المشروط في تسميته، فهو عنفٌ مُضاعف؛ أي: قد تضاعف، وتَفاقم بطشُه بالجَبابِرة، والظلمة، وأخذه سبحانه إيّاهم بالعَذاب والانتقام(٣).

وهذا منه تعالى عدلٌ، وقِسط، وحق، بل وفضل منه ورحمة لِلمؤمنين المستضعفين، فيأخذ الظالمَ بما يستحقُّه لِيَدفع به المظلوم، وهذا المَقام أكمل الكَمال، لا يدانيه أحد في ذلك من الأنام.

ولهذا ذَمَّ ربُّنا ﷻ على لِسان نبيه هود عليه السلام قومه الجَبّارين بقوله: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٠]؛ أي: «تُسرعون في جميع أفعالكم إسراع الجَبابرة»(٤).

---

(١) «عمدة الحفاظ» (٢٠٠/١)، و«معجم مقاييس اللغة» (١٧٩/٣).

(٢) انظر: «عمدة الحفاظ» (٢٠٠/١)، و«التبيان في أقسام القرآن» (١٢٤).

(٣) «تفسير السعدي» (٩١٩)، و«نظم الدرر» للبقاعي (٣٨٠/٨)، و«روح المعاني» للآلوسي (١٦٤/١٦).

(٤) «تفسير جزء عم» لابن عثيمين (١٣٧).

وبَطْشُ الله تعالى وأخذه الشديد العظيم لِمَن يستحق ذلك، أما مَنْ لا يستحق ذلك فإن رحمةَ الله تعالى أوسع، وما أكثر ما يعفو الله سبحانه عن الذُّنوب، وما أكثر ما يستر من العُيوب، وما أكثر ما يدفع من النِّقَم، وما أكثر ما يُجرِي من النِّعَم[(١)].

وما أجمل ما ذكر ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كلام قَيِّمٍ حين قال: «ثم ذكر سبحانه جَزاء أوليائه المؤمنين[(٢)]، ثم ذكر شِدَّة بطشِه، وأنه لا يُعجزه شيء، فإنه هو المبدِئ والمُعيد، ومن كان كذلك فلا أشدّ من بَطْشِه، وهو مع ذلك الغَفور الودود، لِمَن تاب إليه، ويوده، ويُحبه، فهو سبحانه الموصوف بِشدَّة البطش، ومع ذلك هو: الغفور الوَدود، المتودِّد إلى عباده بنِعمه، الذي يود مَنْ تاب إليه، وأقبل عليه»[(٣)].

(٢٤) صفة الكمال المقيدة (الاحتجاب) الجَليلة

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «مَنْ وَلّاهُ الله شيئًا من أمرِ المسلمين، فاحتجبَ دونَ حاجتِهم وخلتِهم وفَقْرِهم، احتجبَ الله عنه دونَ حاجتِه، وخلتِه، وفقرِه»[(٤)].

(٢) وقال ﷺ: «من ولي من أمر الناس شيئًا، فاحتجبَ عن أولي الضعفة، والحاجة، احتجبَ الله عنه يوم القِيامة»[(٥)].

---

(١) «تفسير جزء عم» لابن عثيمين (١٣٧).
(٢) في سورة البُروج آية (١١).
(٣) «البيان في أقسام القرآن» (١٢٥).
(٤) «صحيح أبي داود» (٢٩٤٨).
(٥) رواه أحمد في المسند (٢٢٠٧٦)، وصححه لغيره شعيب الأرنؤوط (٣٦/٣٩٤)، والألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/٥٢٧).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الحَجْبُ والحِجاب: المنعُ من الوصول، (ويأتي حسي، ومعنوي)، والحجاب: الشيء الذي يحجبُ به، وقوله: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ [الأعراف: ٤٦]؛ أي: حاجز. والحاجب للسلطان: الذي يمنع من يصل إليه، (وهذا هو الحَجْبُ الحسِّي، أما الحَجب المعنوي) كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥]؛ أي: حاجزٌ، ومانع في النحلة والدين، لا حجاب حسي[(١)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

إنَّ من كمال صفات رَبِّنا ﷻ أنها تأتي على أوجهٍ متعددة، وأنواع مختلفة، وأحوال متنوعة، لِتَدل على كمالِه المطلق من كل وجهٍ، كما في هذه الصفة الفِعْلِيّة، وهي الاحتجاب في مقابلة من احتجب من الوُلاة، والأمراء، والحُكّام، على من ولاهم على عِباده المسلمين، كما تقدم من الأحاديث، كما في قوله ﷺ: «**فاحتجب دون حاجتهم**»؛ أي: امتنعَ من الخُروج عند احتياجهم إليه.

وقوله: «**وخَلَّتهم**»: بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام: الحاجة الشديدة، والمعنى: مَنَعَ أرباب الحَوائج والمُهِمّات أن يدخلوا عليه، ويعرضوا حَوائِجهم عليه، فيعسر عليهم إنهاؤها.

قوله: «**احتجب الله عنه دون حاجته، وخلته، وفقره**»؛ أي: أبعده، ومنعه عَمّا يبتغيه من الأمور الدينية، أو الدنيوية، فلا يجد سَبيلًا إلى حاجة من حاجاته الضرورية، (ومن ذلك): أن لا يُجيب دعوته، ويخيب آماله»[(٢)]، جزاءً

(١) «عمدة الحفاظ» (٣٧٣/١).

(٢) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (٣٤٦/٥)، وتحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي» (٢٣٠/٤)، وانظر: «فيض القدير» (٤٧١/٥) (٢٣٨/٦)، و«التنوير شرح الجامع الصغير» (٤٤٦/٩).

وفاقًا منه تعالى لأولئك الوُلاة الظَّلَمة، لما في ذلك من كمال العدل، والقسط، والحَقّ، والنصرة للرَّعية الذي احتجب عنهم أولئك، وهذا يدلُّ على تمام حمده، وكَمال أفعاله سبحانه، إذ إنها مبنية على الحكم، من جميع وُجوهها.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه وعيدٌ شديد لِمَن احتجب عن الناس لغيرِ عُذْر، وكان حاكمًا بينهم، لأن فيه تأخير إيصال الحُقوق إلى أهلِها، أو تضييعها»(١).

(٢٥) صفة الكمال المقيَّدَة (الخذلان) الجَليلة

القُرْآنُ الكَرِيمُ

قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «**ما مِن امرِئٍ مسلم يَخذِلُ امرأً مسلمًا في موضعٍ تُنْتَهَكُ فيه حُرْمَتُه، ويُنْتَقَصُ فيه من عِرْضِهِ، إلّا خَذَلَهُ اللهُ في موطِنٍ يُحِبُّ فيه نصرته...**»(٢).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الخذلان: تركُ النصر مِمّن يتوقع منه ذلك، وخذله: تركَ نصرتَه، ولذلك قيل: خذلت الوحشية ولدَها: تركته وحده، وتخاذلت رِجْلاه: إذا لم تُعيناه على المشي(٣).

(١) «الفتح» (١٣/١٣٣).
(٢) رواه أبو داود (٤٨٨٤)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٩٠)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٢٧٠)، وابن حجر في «مقدمة تخريج مشكاة المصابيح» (٤/٤٣٠).
(٣) «المفردات» (٢٧٧)، و«عمدة الحفاظ» (١/٤٩٣)، و«القاموس المحيط» (٣٥٥).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصَف رَبُّنا العظيم بأوصاف ونعوت الكَمال، والجَلال، فأفعاله كلها حكمة، ورحمة، ومصلحة، وعَدْل، فليس في أفعاله عبث، ولا سفه، ولا ظلم، ولا يَعْتريها الخطأ بِحال، بل أفعاله كلها سبحانه لا تخرج عن المصلحة، والفضل، والرحمة، فهي صادرة عن حكمة بالغة، لأجلِها فعل كما فعل، كما هي ناشئة عن أسبابٍ بها فعل[1].

وهذا والله غاية الكَمال الأعلى، الذي ليس فوقه كَمال، بل ولا يدنو ولا يقرب منه نظيرٌ ولا مِثال، ولهذا كل ما جاء عن الله تعالى من الأفعال، سواء كانت مقيدة، أو مطلقة، فهي متضمنة «للكمال الذي لا يُحيط به العباد، فما من كمال تفرضه الأذهان، ويقدره المقدرون، إلّا والله تعالى أعظم من ذلك، وأجل»[2].

ولهذا وصف نفسه على وجه المُقابلة بأنه تعالى يخذل من يخذل أحدًا من المسلمين، وهذا يدلُّ على غيرته لأوليائه، ومحبته لهم، وإرادة العزة، والكرامة، والرفعة لهم، فأيّ كمال يسمو لِهذا الكَمال يا عبد الله، فاحمد الله حمدًا كثيرًا أن عرفك به، وبصفاته العلية، وأفعاله المرضيَّة، فكم من محروم منها من البرية.

وقوله ﷺ: «**ما من امرئ يخذل امرأً مسلمًا**»؛ الخذل كما سبق: هو ترك الإعانة، والنصرة؛ أي: لم يحل بينَه وبينَ من يظلمه، ولا ينصره «**في موضع تنتهك**» بصيغة المجهول؛ أي: بأن يتكلم فيه بِما لا يحل، «**فيه**»: في ذلك الموضع، «**حرمته**»؛ أي: احترامه، وبعض إكرامِه.

وقوله: «**ينتقص**» من الانتقاص، وهو لازم، ومتعد، «**فيه من عِرْضِه**»

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» (١/١٢٥)، و«شفاء العليل» (١/١٩٠)، (٢/٧٤٧)، و«تفسير السعدي» (٥/٦٣١).
(٢) «فتح الرحيم» (٢٣).

وهو محل الذَّمّ، والمدح من الإنسان.

والمعنى: ليس أحدٌ يترك نصرة مسلم مع وجودِ القدرة عليه بالقول، أو الفعل عند حضور غيبته، أو إهانته، أو ضربه، أو قتله، أو نحوها.

وقوله: «**إلّا خذلَه الله في موطن يحب فيه نصرته**»؛ أي: إلّا خذلَه الله تعالى في موضع يكون فيه أحوج لِنُصرته، وذلك شامل لِمَواطن الدنيا، ومواقف الآخرة، عقوبة له من جنس عمله[(١)].

وهذا غاية العَدْل، والحكمة، وإحقاق الحق، لا جور فيه من الرَّبِّ عزَّ شأنُه.

إذ أن رَبَّنا الجليل من كمال حكمتِه، وعدله، وفضله، أن جعل قاعدة عظيمة في الجَزاء أن «(الجَزاء من جنس العمل) في الخير والشر»[(٢)] في الدنيا والآخرة.

(٢٦) صفة الكمال المقيدة (الشَّاقّ) الجليلة

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «... **ومَنْ شاقَّ شَقَّ اللهُ عليه يومَ القِيامة**»[(٣)].

(٢) وقال ﷺ: «**اللّٰهُمَّ مَنْ ولِيَ من أمرِ أمَّتي شيئًا فشقَّ عليهم، فاشْقُقْ عليه، ومن وَلِيَ من أمرِ أمَّتي شيئًا فرفقَ بهم، فارْفُقْ به**»[(٤)].

(٣) وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اللّٰهُمَّ مَنْ رَفَقَ بأمَّتي فارْفُقْ به، ومَنْ شَقَّ عليهم فشقَّ عليه**»[(٥)].

---

(١) انظر: «فيض القدير» (٥/٤٧٢)، و«عون المعبود» (٨/٢٤٣)، و«التنوير شرح الجامع الصغير» (٩/٤٥٠).

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» لابن السعدي (٦٢).

(٣) البخاري (٧١٥٢).

(٤) مسلم (١٨٢٨).

(٥) رواه أحمد في المسند (٢٤٣٣٧)، وصححه شعيب الأرنؤوط (٤٠/٣٩٣)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (٧/١٣٤٩).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

شقق: الشِّقُّ: المشقة، والثل، والانكسار الذي يلحق النفس، والبدن، ومنه الحديث: «**لولا أن أشُقَّ على أمَّتي لأَمَرْتُهم بالسِّواكِ عندَ كلِّ صَلاةٍ**»؛ أي: لولا أثقل عليهم، من المشقة، وهي: الشدَّة[(١)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

إنَّ من كمال رَبِّنا، وجلاله، وعليائه، أنه سبحانه يُعامل عباده بِمُوجب أسمائه، وصفاته، التي يُعامِلون بها عبادَه، ولِهذا كان أحب الخلق إليه من اتصفَ بِمُقتضيات صِفاته، فهو سبحانه رحيم: يحب الرُّحَماء، وهو سِتِّير: يحب من يستر على عِباده، فهو تَعالى يُجازي عبدَه بحسب هذه الصفات فيه وجودًا، وعدمًا، فمن عَفا: عفا عنه، ومن غفر: غفر له....، ومن تتبع عوراتِهم: تتبعَ عورتَه، ومن هتكَهم: هتكه وفضحَه، ومن شاقّ: شاق الله تعالى به، ومن مكر: مكرَ به، ومن خادَعَ: خادعه، ومن عامل خلقه بصفة: عامله الله تعالى بتلك الصفة بِعَينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لعبده، على حسب ما يكون العبد لِخَلقه،....، فكما تدين تُدان، وكن كيف شئت، فإنَّ الله تعالى لك كما تكون أنتَ لِعِباده[(٢)].

ومن هذه الصفات التي يُعامل الله بها عبادَه على حسب ما يُعاملون بها عباده: «الشّقّة والمَشَقَّة» «فمن أدخلَ على الناس المشقةَ، أدخل الله عليه المشقة، فهو من الجزاء بجنس العمل»[(٣)].

وهذا من حكمة الله تعالى التي يُحمد عليها سبحانه[(٤)].

(١) «المفردات» (٤٥٩)، و«النهاية» (٤٨٧)، و«مقاييس اللغة» (٤٥٤).
(٢) انظر: «الوابل الصيب» لابن القيم (٥٣ـ٥٦).
(٣) «فتح الباري» (١٣/١٦٠).
(٤) «بهجة قلوب الأبرار» (٦٢).

وقوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ من ولي من أمرِ أمَّتي شيئًا**» (شيئًا) يشمل القليلَ والكثير، وهذا يشمل أي نوعٍ من الوِلاية، الولاية العامة (وهي الوِلاية الكبرى)، أو الولاية الخاصة، حتى مدير المدرسة في مدرسته، وحتى الرجل في أهله، وكل من ولِيَ شيئًا، فالواجبُ عليه أن يرفُقَ بِمَن ولّاه الله عليهم[(١)].

وقوله: «**فاشقق عليه**»: هذا دُعاء عادل، لا دعاء عدوان، وظلم، وبغي، وإنَّما هو انتِصاف من الظالم جزاءً وِفاقًا، عدلًا، وحقًّا، بل وفضلًا منه ﷻ.

(٢٧) صفة الكَمال المقيدة (الفَضْح) الجَليلة

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «**يا مَعْشَرَ مَنْ آمنَ بلِسانه ولم يدخل الإيمانُ في قلبِه، لا تَغْتابُوا المسلمين، ولا تَتَبَّعُوا عوراتِهم، فإنَّه من اتبع عوراتِهم يَتَّبِعُ الله عورتَه، ومن يتبع الله عورتَه يفضحه في بيتِه**»[(٢)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

فضح: كشف، وبيَّنه للأعين، ومنه: أفضحَ الصبح: بَدا، وفضحه: كشف مساويه، والفضيحة: العيب، والجمع: فَضائح[(٣)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

تقدم بيانُه أنَّ ربَّنا ﷻ من كَماله الذي لا منتهى له: أن من عامل خلقه بصفة، عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لِعَبده

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (٦/١٧٤)، و«شرح صحيح البخاري» (٨/٢٤) لابن عثيمين.
(٢) «صحيح أبي داود» (٤٨٨٠).
(٣) «النهاية» (٧٠٩)، و«القاموس» (١٠٠٠)، و«المصباح المنير» (٢٧٤).

على حسب ما يكون لِخَلقه، فمن تتبع عورتَهم: تتبع عورته، ومن هتكهم: هتكه، وفضحه[(١)].

وهذه الصفة المقيدة الجَليلة جاءت عن أعلم الخلق بالرَّبِّ سبحانه، في تحذيره ﷺ لِلمُنافقين الذين من شأنهم لمزُ المؤمنين، والوقوع في انتقاصهم، وذِكْر مَعايِبهم، فـ«فيه تنبيه على أن غيبة المسلم من شِعار المُنافقين، لا المؤمنين، وقوله: «**ولا تتبعوا عوراتهم**»؛ أي: لا تجسسوا عيوبَهم، ومساوئهم، «**فإنه**»؛ أي: الشأن «**يتبع الله عورته**»؛ أي: يكشف عيوبَه، «**ومن تتبع الله عورته يفضحه**»؛ أي: يكشف مساوئه «**في بيته**»؛ أي: ولو كان في بيتِه مخفيًّا عن النّاس»[(٢)].

فإن الله سبحانه سيكشف عيوبه ومساوئه قِصاصًا وفاقًا، جزاءً عدلًا، حسنًا، لا أحسن منه، والعورة هي: «كل ما يُسْتَحْيا منه إذا ظهرَ»[(٣)].

(٢٨ـ٢٩) صفتا الكَمال المقيدة (الإسماع) و(المُراءاة) الجَليلة

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «**من سَمَّعَ سَمَّعَ اللّهُ به، ومن يُرائي يُرائي اللّه به**».

وفي لفظ: «**من يُسَمِّعُ يُسَمِّعُ اللّه به**»[(٤)].

(٢) وقال ﷺ: «... **ومَنْ قامَ برجلٍ مسلمٍ مقام سُمعةٍ ورياء، فإنَّ الله**

(١) من كلام ابن القيم في «الوابل الصيب» كما تقدم.
(٢) «عون المعبود» (٨/٢٤٠).
(٣) «النهاية» (٦٤٩).
(٤) البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٦) (٢٩٨٧).

عَزَّوَجَلَّ يقومُ به مَقامَ سمعة ورِياء يوم القِيامة»[(١)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

سمع: سمَّعت بالرجل تسميعًا وتَسَمَّعة إذا شهرته، ونددت به، وسمَّع فلان بعملِه إذا أظهرَه ليُسْمَع[(٢)].

الرياء: مشتق من الرؤية، وهي: أريته على خِلاف ما أنا عليه[(٣)].

والرياء في الاصطلاح هو: إظهار العِبادة لقصد رؤية الناسِ لها، فيَحْمَدوا صاحبَها.

والسُّمعة نحو ما في الرِّياء، لكنها تتعلَّق بحاسَّة السمع، والرياء بحاسَّة البصر[(٤)].

فالرؤية للفعل، والسمع يكون للقول[(٥)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الرِّياء والسُّمعة من الشِّرك الأصغر كما ذَكَره أهلُ العلم، وأنواعهما متعددة، وخطرهما عظيم، إذ إنهما وسيلة قد تفضي بصاحبها إلى الشرك الأكبر، وإنَّهما يُحبطان العمل، وغير ذلك من المَفاسد والأضرار الجَسيمة[(٦)].

ومن ذلك: أنَّ الله تبارك وتعالى يُقابل فاعلهما بالجَزاء العادل، الحسن، الذي يحمد عليه، بالقواعد الحميدة، والسنن الرشيدة، وهي: أن «الجزاء من جنس العمل»، و«كما تَدينُ تُدان» وهو أنه تعالى «يُشهره، ويفضحه، ويظهر ما

---

(١) «صحيح أبي داود» (٤٨٨١)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٩٣٤).
(٢) «النهاية» (٤٤٥).
(٣) «لسان العرب» (١/١٠٩٤).
(٤) «الفتح» (١١/٤٨).
(٥) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٨/٣٠٥).
(٦) انظر: «الشرك بالله أنواعه وأحكامه» ماجد محمد علي شبالة (٦٥٨، ٦٦٩).

كان يُبطِنه»[1]، ولهذا قال: «سَمَّعَ الله به» يعني: أظهر الله تعالى حالَه للناس، حتى أسمع الناس بعضهم بعضًا بحاله، فصار الناس يتحدَّثون به، وقوله: «يُرائي الله به»؛ أي: أظهر أمرَه[2].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ يُظهر للخلق خِلاف ما يعلمه الله تعالى فيه، فإنَّ الله سبحانه يظهر له في الدنيا والآخرة أسبابَ الفلاح، والنجاح، والفوز، ويبطن له خِلافها، وفي الحديث: «من رَاءى: راءى الله به، ومن سمع: سمع الله به»»[3].

(٣٠) صفة الكمال المقيدة (المُشدِّد) الجَليلة

السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «**لا تُشَدِّدُوا على أنفسِكم، فيُشَدَّد عليكم، فإنَّ قومًا شَدَّدوا على أنفسهم، فشدَّد الله عليهم، فتلك بَقاياهم في الصَّوامع، والدّيارات** ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ﴾ [الحديد: ٢٧]»[4].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الشّدَّة بالفتح: الحملة الواحدة، وقد شُدد عليه في الحرب؛ أي: حمل عليه، وشدد عليه: ضد خفف، والشدة هي: القوة، والجَلادة في البدن، والعقل، وفيه: (مَنْ يُشاد الدّين يغلبه»؛ أي: يُقاويه ويقاومه، ويكلف نفسَه من العِبادة فوقَ طاقتِه[5].

---

(١) «فتح الباري» (٤٠٩/١١).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٣٠٥/٨).

(٣) «الوابل الصيب» (٥٦).

(٤) رواه أبو داود (٤٩٠٤)، وصححه الألباني في «جلباب المرأة المسلمة» (٢٠)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٣١٢٤).

(٥) «عمدة الحفاظ» (٢٥٥/٢)، و«معجم «الصحاح» (٥٣٨)، و«النهاية» (٤٦٩).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

جاءت الصفة الجَليلة المقيَّدَة «التشديد» في نهي النبي ﷺ عن التشديد على النفس في العِبادة، وهذا له حالتان:

الأول: التشديد في الطاعة والعِبادة «بالأعمال الشاقة: كصوم الدهر، وإحياء الليل كله، واعتزال النِّساء»(١).

الثاني: الابتداع فيها بما لم يفرضه الله تعالى، كما وقع لأهل الكتاب، كما في الحديث المتقدم: في قوله «(في الصوامع): جمع صومعة، وهي: موضع عبادة الرُّهبان، (ورهبانية): نصب بفعل يفسره ما بعده؛ أي: ابتدعوا رهبانية، ما فرضْناها عليهم»(٢)، وفي هذا بَيان أنه ينبغي للعبد أن يكونَ على حَذَرٍ من الابتداع في الدِّين، ما ليس له أصل قويم، وكذلك القيام بالعِبادة فوق الطاقَة، فيُعاقب بخِلافه، «بأن يفوت عنكم بعض ما وجبَ عليكم، بسبب ضعفكم من تحمل المَشاق»(٣).

(٣١) صفة الكمال المقيدة (الإتلاف) الجَليلة

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ أخذَ أموالَ الناسِ يُريد أداءَها أدَّى اللَّهُ عنه، ومَنْ أخذَها يُريدُ إتلافَها أتلفَه اللَّهُ»**(٤).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

التلف: هو ذَهاب الشيء، يقال: تلف الشيء تلفًا: هلك، فهو تالِف.

---

(١) «عون المعبود» (٨/٢٥٦).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) البخاري (٢٣٨٧).

وأتلفه: أفْنَاه. وذهبت نفسُه تلفًا: هدرًا(١).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

تقدم بيانه: أنَّ من كمال ربنا العظيم سبحانه في أوصافِه العُلا أنه يُعامل عبادَه بِمُوجب الصفة التي يُعاملون بها عباده: إذ إن ذلك مِن كمال القسط، والحَق، والصراط المستقيم، والهدي المبين، الذي ليس فيه ظلم، ولا عيب ذَميم.

كما في قوله ﷺ: «**مَنْ أخذَ أموالَ الناس**»؛ أي: بوجهٍ من وجوه التعامل أو للحفظ، أو لغير ذلك: كقرض، أو غيره، كما يُشير إليه عدم تقييده بـ ظلمًا.

وقوله: «**يُريد أداءَها**»: إلى أهلِها، وقضائهم ما أخذ منهم «**أدَّى الله عنه**»؛ أي: يَسَّرَ الله له ذلك بإعانته وتوسيع رزقِه.

«**ومَنْ أخذها يُريد إتلافَها**» بعدم أدائِها إليهم.

قوله: «**أتلفَه الله**» يعني: أتلفَ أموالَه في الدنيا، بكثرة المِحَن، وحُلول المَصائب، والمغارم، ومحق البَرَكة، فيذهب الله تعالى من يَده (جزاءً وِفاقًا) فلا ينتفع به لِسوء نيته، ويبقى عليه الدَّيْن، وتتلف نفسُه في الآخرة بالعَذاب والعِقاب.

وعَبَّرَ بـ أتلفه، لأن المالَ كإتلاف النفس، أو في الآخرة بالعذاب(٢).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ظاهره أنَّ الإتلافَ يقع له في الدنيا، وذلك في مَعاشِه، أو في نفسه، وهو علم من أعلام النبوة، لِمَا نَراه بالمُشاهدة مِمَّن يتعاطى شيئًا من الأمرين، وفيه الترغيب في تحسين النية، والترهيب من ضدّ ذلك، وأن مَدارَ الأعمال عليها»(٣).

---

(١) «مقاييس اللغة» (١٣٠)، و«القاموس المحيط» (١٥٩)، و«المصباح المنير» (٤٩).

(٢) «فيض القدير» (٦/٤١)، و«التنوير شرح الجامع الصغير» (١٠/٥٧)، و«إنجاز الحاجة في شرح ابن ماجه» (٦/١١٤).

(٣) «فتح الباري» (٥/٦٨).

(٣٢) صفة الكمال المقيدة (التخويف) الجَليلة

السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أخافَ أهلَ المدينة، أخافَه الله»[(١)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الخوف: توقع مكروهٍ من إمارة مظنونة، أو معلومة، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية، والأخروية[(٢)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

أخبر النبي ﷺ أنَّ مَنْ أخاف المدينة المنورة، وهي طيبة طيَّبَها الله تعالى، فإن الله ﷻ سيخوفه، جزاءً حقًّا منه تعالى، وحكمة يحمد عليه، لأنه سبحانه يغار على أوليائه، وينصرهم، ويحميهم، ويُدافع عنهم، فمَنْ عاملهم بصفة، عامله الله تعالى بتلك الصفة بِعَيْنها في الدنيا، والآخرة.

فالله تعالى لِعبده على حسب ما يكون العبد لِخَلقه، فيُقابلهم سبحانه من الصفات مدحًا، وقَدْحًا، جزاءً وفاقًا، ولهذا فإنه تعالى يُجازي عبده بجنس فعله، على الوجه الأعلى، والأبلغ، والأكمل، من الوصف، وهذا منتهى الكَمال.

ولهذا قال ﷺ: «مَنْ أخافَ أهلَ المدينة أخافه الله»، «لأنهم جيران النبي ﷺ فلهم أعظم حرمة عن العباد (ويدخل في ذلك) بأي مخافة»[(٣)] كانت، فإنَّ الله تعالى سَيُذيقه أشدّ الخوف، وقد يكون ذلك في الدارَيْن، لأن النبي ﷺ

---

(١) أخرجه ابن حبان (٣٧٣٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٧٧)، وفي «السلسلة الصحيحة» (٢٣٠٤) (٣٨٢/٥).
(٢) «المفردات» (٣٠٣).
(٣) «التنوير» (١٠/ ٥٥ـ٥٦).

أطلقَ ذلك، ولم يقيده بِزَمان، ولا مكان.

ومِمّا يدلّ على ذلك الرواية الأخرى: «مَنْ أخافَ أهل المدينة أخافَه الله يومَ القيامة...»[(١)].

وفيه تحذير من إيذاء أهل المدينة، أو بعضهم، قال المجد البغوي: «يتعيَّن محبة أهلِ المدينة، وسُكّانها، وقطانها، وجيرانها، وتعظيمهم، سِيَّما العلماء، والشّرفاء، وخدمة الحجرة النبوية وغيرهم، فإنهم قد ثبت لهم حَقّ الجِوار، فلا يسلب عنهم»[(٢)].

(٣٣) صفة الكمال (الضَّارّ) الجَليلة

السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ضارَّ ضارَّ اللّهُ به، ومَنْ شاقَّ شاقَّ الله عليه».

وفي لفظ: «مَنْ ضارَّ أضرَّ الله به»[(٣)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الضر: ضد النفع، ضرَّ يضره ضرًّا، وأضر به يضر إضرارًا، والضرار: فعال من الضر، وهو: الجَزاء عليه، والضر بالضم: كل ما كان سوء حال، وفقر، وشدة في بدن، وبالفتح: كل ما كان ضد النَّفع، فالضرار: القصد إلى إيقاع الضر بأحد بلا حقٍّ.

وبالجملة: هو كلّ من قصد مكروهًا بغيره بغير حقٍّ[(٤)].

(١) قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «فيض القدير» (٦/٤٠): «رواه الطبراني في الكبير بسند حسن».

(٢) «التنوير شرح الجامع الصغير» (١٠/٥٥).

(٣) رواه أحمد في المسند (١٥٧٥٥)، وحسنه العلامة شعيب الأرنؤوط (٢٥/٣٤)، وحسنه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٣٤٢)، وفي «صحيح الترمذي» (١٩٤٠)، وفي «صحيح أبي داود» (٣٦٣٥).

(٤) «النهاية» (٥٤٢)، و«المصباح المنير» (٢٠٨)، و«حاشية السندي على مسند أحمد» (٢٥/٣٤).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

جاءت هذه الصفة المقيدة الجَليلة في سِياق المُقابلة بالجزاء الحقّ العادل، وهذا من حكمة الله سبحانه التي يحمد عليها، كما في قوله ﷺ: «**مَنْ ضارّ**»؛ أي: من أوصلَ ضررًا إلى مسلم، أو معاهد، بل أو أي حيوان محترم بغير حق، (لأنَّ قولَه ضارّ، نكرة جاءت في سياق الشرط، وهي تُفيد العموم)، والمعنى: مَنْ أدخل على مسلم جارًا كان أو غيره، مضرة في ماله، أو نفسه، أو عرضه بغير حق «**ضارَّ الله به**»؛ أي: جازاه من جنس فعلِه، أوقع به الضرر البالغ في الدُّنيا، والعُقْبى، أو في أحدهما[1].

وهذا من عَدْل الله الكامل، الذي لا أعدل منه سبحانه، فعدلُه وسع الخليقةَ كلّها، إنسها، وجِنّها، مؤمنها، وكافرها، وحتى البهائم، ولِهذا فإن الله ﷻ: «حرم على العباد مضارة غيرهم، ومشاقتهم، بل أمرهم بخلاف ذلك، فخيرُ النّاس أحسنُهم للناس، وأحبّ عباد الله أنفعُهم لِعبادِه»[2].

(٣٤) صفة الكمال المقيدة (التفريق) الجَليلة

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

«**مَنْ فَرَّقَ بين والدةٍ وولدها، فرّقَ الله بينَه وبين أحبَّته يومَ القِيامَة**»[3].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الفرق: الفصل، يقال: فرقت بين الشيء فرقًا: فصلت أبعاضه. وفرقت

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٣٥٥/٥)، و«عون المعبود» (٤٦٧/٦)، و«فيض القدير» (١٧٣/٦)، و«التنوير» (٢٩٨/١٠).

(٢) «التنوير» (٢٩٨/١٠).

(٣) «صحيح الترمذي» (١٢٨٣) (١٥٦٦).

بينَ الحَقّ والباطل: فصلت، والتشديد (فرَّق) للمبالغة[١].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

أخبر الصادق المصدوق ﷺ الذي لا ينطقُ عن الهوى أنَّ «**من فرَّق**» بتشديد الرّاء «**بين الوالدة وولدها**»؛ أي: ببيع، أو هبة، أو خديعة بقطيعة وأمثالها، وفي معنى الوالدة: الوالد، بل وكل ذي رحم محرم، (ويدخل كذلك): التفريق بين الجارية وولدها بالبيع، والهبة، وغيرها[٢].

قابله سبحانه بذلك، بالجزاء العادِل الحق المُبين، والصراط المستقيم[٣]، يوم الدِّين: «**فرَّقَ الله بينه وبين أحبته**»؛ أي: «من أولاده، ووالدَيْه، وغيرهما «**يوم القِيامَة**»؛ أي: في موقف يجتمع فيه الأحباب، ويشفع بعضُهم بعضًا عند رَبّ الأرباب»[٤].

(٣٥) صفة الكمال المقيدة (المُصْرِف) الجَليلة

القُرْآنُ الكَرِيمُ

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الصرف: العدول عن الشيء، يقال: صرفه عن كذا: إذا عدل به عنه،

---

(١) «المصباح المنير» (٢٧٢)، و«المفردات» (٦٣٢).

(٢) «تحفة الأحوذي» (٤/١٧٩).

(٣) كما قال هود عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هود: ٥٦، «أي: على عدل، وقسط، وحكمة، وحمد في قضائه وقدره، وفي شرعه وأمره، وفي جزائه، وثوابه، وعقابه، لا تخرج أفعاله عن الصراط المستقيم، التي يحمد ويُثنى عليه بها» «تفسير السعدي» (٣٨٤).

(٤) المصدر السابق.

ونحاه، وأصله: ردُّ الشيء من حالةٍ إلى حالةٍ، وإبدال غيره به[(١)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

جاءت هذه الصفة الحميدة في إخبار ربنا العظيم عن المنافقين الذين يحذرون أن تنزل عليهم سورة تنبِّؤُهم بما في قلوبهم، فإذا نزلت سورة ليؤمنوا بها، ويعملوا بمضمونها (نظر بعضهم إلى بعض) أي: تلفتوا إلى بعضهم جازمين على ترك العمل بها، يتغامزون بالعيون إنكارًا للوحي، وسخريةً به، وبالمؤمنين، قائلين: (هل يراكم من أحد) أي: من المسلمين، لننصرف عنهم متسللين، فانقلبوا والعياذ بالله معرضين عن الهدى، والحق المبين، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ﴾.

فجازاهم الله سبحانه بعقوبة من جنس عملهم، فكما انصرفوا عن العمل (صرف الله قلوبهم) أي: صدَّها عن الحق، وخذلها عن فهم القرآن، (بأنهم) أي: بسبب أنهم (قوم لا يفقهون)، أي: فقهًا ينفعهم[(٢)].

يقول الإمام الجليل ابن القيم رحمه الله: «فأخبر سبحانه عن فعلهم وهو الانصراف، وعن فعله فيهم وهو صرف قلوبهم عن القرآن وتدبُّره، لأنهم ليسوا أهلاً له، فالمحل غير صالح ولا قابل، فإن صلاحية المحل بشيئين: حسن الفهم، وحسن القصد، وهؤلاء قلوبهم لا تفقه، وقصودهم سيئة، فلا أقبح من فعلهم، ولا أحسن من فعله سبحانه»[(٣)]، وهكذا إذا أعرض العبد عن ربه سبحانه، جازاه بأن يُعرض عنه، فلا يُمكِّنه من الإقبال عليه، وهذا هو الخسران المبين، في الدنيا، ويوم الدين.

---

(١) «عمدة الحفاظ» (٢/٣٣٢)..

(٢) «انظر: «تفسر ابن كثير» (٢/٥٤٦)، و«تفسير النسفي» (٤٦٠)، و«تفسير السعدي» (٣٥٦).

(٣) «الضوء المنير على التفسير» جمع علي الحمد الصالحي من كتب الإمام ابن قيم الجوزية (٣/٤١٦).

الصفات الفعلية المطلقة

هذا النوع الثاني من صِفات رَبِّنا تعالى الفعلية، وهي أوسع من الصِّفات المُقَيَّدة[(١)].

القواعد

❁ القاعدة الأولى: (الفعل المُضاف إلى الله تعالى ثلاثة أنواع: جنس، ونوع، وآحاد).

هذه القاعدة الجَليلة كغيرِها من القواعد العَظيمة المهمة في التأصيل والتقعيد للفهم الصَّحيح والدَّقيق، وصونه من الوقوع في الزَّلَل والخطأ الجَسيم في أجَلِّ أبوب الدِّين، وهي: صفات رَبِّ العالمين، والتي منها: الصفات الفعلية الاختيارية المطلقة، والتي تقع في كلِّ وقتٍ وحين، ومعنى الاختيارية: أنها تقع باختيارِه متى شاء سبحانه، ولا يقع شيء إلا بِمشيئَتِه، وأمره، وإذنه تعالى.

والمقصود من هذه القاعدة بيان أنواع الصفات الفعلية المطلقة، من حيث أصلها؛ أي: ملازمتها للذّات، ومن حيث ما ينشأ عنها من أنواع، وأفراد من الأفعال.

الأول: الجنس، وهو صفة أزليَّة أبدية؛ أي: إنَّ الله تعالى لم يزل ولا يَزال فعالًا، فهو فعّال في الأزل، كما فعال في الأبد، فمثلًا الفعل جنس، يدخل فيه: الكلام، والنزول، والاستواء، والرزق، والإحياء، والإماتة، فهو جنس يشمل كلَّ

(١) بأضعاف مضاعفة بل لا تحد، ولا تعد.

فعل يصدر من الله عَزَّوَجَلَّ، (فالله تعالى موصوف بهذه الصِّفات أزَلًا، كما هو موصوف بها أبدًا، لم يتصف ولم تحدث له صفات لم يكن متَّصِفًا بها تعالى قبل).

الثاني: نوعي، وهو حادث متجدد، فمثلًا صفة «الكلام» كما تقدم أصلها أزلي، ولكن الكلام أنواع منه: خبر، استخبار، أمر، نهي، وهذه كلها أنواع لِصفة الكلام، فعليه تتجدَّد حسب مشيئته وحكمته سبحانه. ومثل: «الاستواء على العرش» مِمّا حدث نوعه، فإنَّ الله تعالى لم يستو على العرش قبل خلقِه، لأنَّنا لم نعلم فعلًا هو «الاستواء» إلّا ما كان خاصًّا بالعرش، وكذلك «النزول إلى السماء الدنيا كلّ ليلةٍ».

الثالث: آحادي أو ضروري، فقد تقدم أن صفة «الكلام» لها أنواع: كالخبر، والاستخبار، والأمر، والنهي، وهذه الأنواع لها أيضًا آحاد، مثل قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ كلاهما أمر، فهما داخِلان في آحاد النوع «الأمر».

ومثل: صفة «النزول» كما تقدم، فهو حادث النوع، وحادث الآحاد أيضًا، لأنَّ الله تعالى ينزل كلَّ ليلةٍ، والاستواء على العرش مطلَق عام، ليس له حدّ (بزَمَن) بليلة، ولا بيوم، ولا بأسبوع، أو شهر، لكن النزولَ متجدِّد، لأنه ينزلُ كلَّ ليلةٍ.

ومثل: «المجيء لِلفصل بين العِباد»، و(النزول إلى السماء الدنيا عشية عرفة» و«الغضب» عند وجود سَبَبِه، و«الرِّضا» عند وجود سَببِه، و«العَجَب» كذلك عند وجود سَببِه، وغيرها.

والله ﷻ يقوم به من الأفعال والأقوال التي لا يُحيطها أحدٌ، إلّا هو ﷻ[1].

❁ القاعدة الثانية: (الصفات الفعلية [من حيث تعلّقُها بالأسباب] نوعان).

تقدَّم مِرارًا أن صفات الله تعالى الفعلية متعلِّقة بِمَشيئته، وكونها متعلِّقة بالمَشيئة أنها مربوطة بِسبب، ومعلوم أنَّ الأسبابَ منها ما هو معلوم، ومنها ما هو مجهول، وعلى هذا فإنَّ صفات الأفعال من حيث هذا التعلُّق «نوعان:

الأول: صِفات لها سبب معلوم، مثل: الرِّضا، فالله عَزَّوَجَلَّ إذا وجد سبب الرِّضى: رَضِي، كما قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْۗ﴾ [الزمر: ٧].

النوع الثاني: صفات ليس لها سبب معلوم، مثل: النُّزول إلى الدُّنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر»[2].

لأنه من اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ أفعالَه تعالى مُعَلَّلَة؛ أي: معلقة بالحكمةِ الباهِرة، والغايات الحميدة، فبعض أحكام الله يُعلَم سببُها، وقد يكون نسبي متفاوت بين العِباد، وبعضُها لا يعلم الحكمة فيها.

وهذا هو الاعتقاد الراسخ الصحيح في أفعاله سبحانه[3]. والله تعالى أعلم.

❁❁ ❁❁ ❁❁

(١) انظر: «شرح عقيدة أهل السنة والجماعة» (١٩٠)، و«تفسير سورة آل عمران» (١٢٩/١)، و«تفسير سورة النساء» (١٢٨/١) (٢٢١/٢)، و«شرح القواعد المثلى» (١٢٣) لابن عثيمين.

(٢) «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (١٨٣/١).

(٣) للاستزادة انظر «الحكمة والتعديل في أفعال الله تعالى»، د. محمد بن ربيع المدخلي (٤٣).

(١) صفة الكمال (الاستواء على العرش) الجليلة

صفة فعليَّة سمعية، خبرية ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ في الكتاب والسنة.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

(٢) وقال عزَّ شأنُه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥][(١)].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ أخذ بيدي، فقال: «**يا أبا هريرة، إن الله خلق السموات والأرضين وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش اليوم السابع...**»[(٢)].

(٢) عن قتادة بن النُّعمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لَمّا فرغَ الله من خَلْقِه استوى على عَرْشِه**»[(٣)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الاستواء في اللغة: له أربع معانٍ: العلو، والارتفاع، والاستقرار، والصعود.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: «لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبَنا الله

---

(١) امتدح الله تبارك وتعالى نفسه بالاستواء على العرش، في سبع مواضع في القرآن الكريم: يونس (٣)، الرعد (٢)، الفرقان (٥٩)، السجدة (٤)، الحديد (٤).

(٢) أخرجه النسائي في سننه الكبرى (٤١٢)، وقال الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في تعليقه على مختصر العلو للذهبي: «إسناده جيد» (ص١١٢)

(٣) أخرجه الخلال في «السنة» كما في «إبطال التأويلات» (١٧٩، ١٨٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٦٨)، وقال الخلال: هذا حديث إسناده كلهم ثِقات وهم مع ثقتهم شرط الصحيحين، انظر: («إبطال التأويلات» ١/١٨٩)، وصححه ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» ص١٠٧، وضعفه الألباني في «الصحيحة» (٢/١٧٧).

عَزَّوَجَلَّ بلغتهم، وأنزل بها كلامه نوعان: مطلق، ومقيد، فالمطلق: ما لم يوصَل معناه بحرف، مثل قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤]، وهذا معناه: كَمُلَ، وتمَّ...، وأما المقيد: فثلاثة أضرب:

أحدها: مقيد بـ (إلى)، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، وهذا بمعنى العلو، والارتفاع بإجماع السلف.

الثاني: مقيد بـ (على)، كقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٣]، وكقوله سبحانه: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ [هود: ٤٤]، وهذا معناه أيضًا: العلو، والارتفاع، والاعتدال، بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون بِواو المعية، التي تعدى الفعل إلى المفعول معه، نحو: «استوى الماء والخشبة» بمعنى: ساواها»(١).

وقد ورد في تفسير معنى الاستواء عن كِبار التابعين، فعن مُجاهد رَحِمَهُٱللَّهُ أنه قال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]: «عَلا على العرش»(٢).

وعن أبي العالية الرياحي أنه قال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، يقول: ارتفع(٣)، وكذلك عن الربيع بن أنس(٤).

العرش: في اللغة له معنيان:

الأول: سرير الملك، يدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣].

---

(١) «مختصر الصواعق المرسلة» (٣٢٠)، وانظر: النونية له بشرح الهراس (١/٢١٥).

(٢) البخاري (١٣/٤١٣).

(٣) «التفسير الصحيح» (١/١٣٢).

(٤) «تفسير الطبري» (١/٤٢٩)، وانظر: أقوال التابعين في التوحيد (٣/٩٧٤).

الثاني: سقفُ البيت، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩][١].

فدلَّ مما ذكره أهلُ اللغة: أن العرش اسم للسرير المرتفع، الذي يجلس عليه الملك، ويطلق على السَّقف، وعرش الله جلَّ وعلا له المَعْنَيان: فهو محلّ استوائه تعالى، وهو سقف المخلوقات[٢].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف رَبّنا العظيم نفسه بصِفة الاستواء على العرش في سبع مواضع، وهي من الأفعال اللازمة، لأنه كما تقدم «أن أقسام الصفات الفعلية من جهة التعلق قِسمان: الأول: متعدية: كالخلق، والرِّزق، والإعطاء، والثاني: اللازمة: كالنزول، والاستواء..»[٣]، ومعنى متعدية: أنها تتعدَّى إلى المخلوقات، والاستواء هو: العلوّ والارتفاع؛ أي: علا على عرشه كما يَليق بِجَلاله، وكَماله، ولِحكمته، فهو سبحانه «استوى على العرش ليس لِحاجته إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضته، فهو الغنيُّ عن كلِّ شيء، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، فهو تَعالى فوق العرش، مع حمله بقدرته للعرش، وحملته، وغِناه عن العرش، وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش، وعدم إحاطة العرش به، وحصره العرش، وعدم حصر العرش إليه»[٤]، كما قال الطحاوي في نظمه المشهور الذي تلقته الأمة بالثَّناء والقَبول، «وهو مستغن عن العرش وما دونَه، محيط بكلِّ شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه»[٥].

---

(١) «تهذيب اللغة» (٤١٣/١).
(٢) «شرح كتاب التوحيد» لعبد الله الغنيمان (٢٥٦/١).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٤٤/٦).
(٤) «شرح العقيدة الطحاوية» (٣١٣).
(٥) المصدر السابق.

فهو سبحانه استوى على عرشه، الذي هو سرير مُلْكه، وسقف مخلوقاته جميعها من السموات والأرضين، وما فيهما، وما بينهما تحت العرش، مقهورون بقدرته ﷻ، وهو ـ أي العرش ـ ذو قوائم، أمر الله عَزَّوَجَلَّ ملائكته بحمله، وتعبَّدَهم بتعظيمه، والطواف به، كما خلق في الأرض بيتًا، وأمر بني آدم بالطَّواف به، واستقباله في الصلاة[(١)].

عظم العرش وحملته

العرش أعظم المخلوقات التي خلقها الله تعالى على الإطلاق، فلا يعلم أحد عظمَته إلا الله رب العالمين، فإذا كان الكرسي قد وسع السموات والأرض فما بالك بعرشه، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحدٌ قدرَه»[(٢)]، وهذا له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، لأنه من الغَيْبِيّات التي لا تعلم إلّا من الشارع الحكيم. وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقةٍ مُلْقاة بأرض فَلاة، وفضل العرش على الكُرْسي، كفضل تلك الفَلاة على تلك الحلقة»**[(٣)]. وقال ﷺ: **«أُذِنَ لي أنْ أُحَدِّث عن مَلَكٍ من حَمَلَة العرش، ما بينَ شحمة أذُنِهِ إلى عاتِقِه مسيرة سبعمائة سنة»**[(٤)].

لما كان العرش أعظم وأوسع المَخْلوقات، المحيط بها من جميع الجِهات، فقد شرف بأن يستوي عليه تعالى بأوسع الصِّفات، وهي الرحمة والتي وسعت من في الأرض والسموات، فاستوى على أوسع المخلوقات، وهو عرشه، بأوسع الصِّفات، وهي رحمته[(٥)]. قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾.

(١) انظر: ابن كثير (١٧٩/٤)، والأسماء والصفات للبيهقي (٣٩٢).
(٢) رواه الحاكم (٢٨٢/٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في «مختصر العلو» للذهبي (١٥٢).
(٣) صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٠٩).
(٤) صححه الألباني في «مختصر العلو» (١١٤).
(٥) انظر: «مدارج السالكين» (٣٤/١)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (١٢١/٢).

(٢) صفة الكمال (النزول، والهبوط، والتدلِّي)[٥] إلى السماء الدنيا

صفة فعلية خبرية سمعية، لازمة غير متعديَّة، ثابتة بالسنة الشريفة المطهرة، عن الصادق المصدوق نبينا محمد ﷺ، وقد جاءت متواترة، نصَّ على ذلك الأئمة الحُفّاظ الأثبات الثِّقات، منهم ابن عبد البَرّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]، والإمام الحافظ عبد الغني المقدسي[٣].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أحاديث النزول مُتَواتِرة عن النبي ﷺ، رواه أكثر من عشرين نفسًا من الصحابة بِمَحْضَر بعضهم من بعضٍ»[٤].

وقال ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نُزول الرَّبِّ تبارك وتَعالى تواترت به الأخبارُ عن رسول الله ﷺ، رواه عنه ثمانية وعشرين نفسًا...، وهذا يدلُّ على أنه كان يبلغه ﷺ في كلِّ موطنٍ، ومجمع»[٥].

وردت هذه الصفةُ الجليلة بأحاديث كثيرة كما تقدَّم، وكذلك بأوجه وألفاظ متنوعة، تدلُّ دلالة جليَّة على أهمِّيتها، وعظم شأنها عند الشارع الحكيم.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) حديث النزول المشهور قال ﷺ: «ينزلُ رَبُّنا تبارك وتَعالى كُلَّ ليلةٍ إلى السَّماء الدُّنيا حين يَبْقى ثلثُ الليل الآخر، فيقول: مَن يدعوني فأستجيب له، مَن يسألني فأعطيه، مَن يستغفرني فأغفر له»[٦].

---

(١) انظر هذه الروايات في الكتاب القيم «صفة النزول الإلهي» تأليف عبد القادر الغامدي الجعيدي (ص١٥٦).

(٢) «التمهيد» (١٣٧/٧).

(٣) «الاقتصاد في الاعتقاد» (١٠٠).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٦٠٧/٧).

(٥) «مختصر الصواعق المرسلة» (٤٢٣).

(٦) البُخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨).

(٢) وقال ﷺ: «إذا مضى شطرُ الليل أو ثلثاه، ينزل الله تبارك وتَعالى إلى السماء الدنيا، فيقول: هل مِنْ سائلٍ يُعْطى، هل من داعٍ يُستجاب له، هل مِن مستغفرٍ يُغفَر له، حتى ينفجِرَ الفجرُ»(١).

(٣) وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ينزل الله تعالى في السماء الدنيا لشطر الليل، أو ثلث الليل الآخر...، ثم يبسط يديه تبارك وتَعالى يقول: مَن يُقرض غير عدوم، ولا ظلوم»(٢).

(٤) وقال ﷺ: «لولا أنْ أشُقَّ على أمّتي لأَمَرْتُهم بالسِّواك مع الوُضوء، ولأَخَّرْتُ العِشاءَ إلى ثلث الليل الأول، فإنه إذا مَضى ثلثُ الليل الأول، وهبطَ الله تعالى إلى السَّماء الدُّنيا، فلم يزَلْ هناك حتى يطلعَ الفجرُ...»(٣).

(٥) وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «... مَن الذي يستكشف الضُّرَّ أكشفه، من ذا الذي يسترزقني أرزقه، حتى ينفجر الفجر»(٤).

(٦) وجاء عنه ﷺ: «... إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يتدلَّى في جوفِ الليل الآخر، فيغفر إلّا ما كان من الشِّرْك والبغي...»(٥).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

من الأصول العَقَدية عند أهل السنة والجماعة إثبات صِفات الله تعالى كُلّها، على الوجه الذي يَليق بِرَبّنا، فلا يفرقون بين صفة وأخرى، إذ إنَّها من

(١) مسلم (٧٥٨).
(٢) المصدر السابق.
(٣) رواه أحمد في المسند (٩٦٧، ٩٦٨)، وصحح إسنادَه أحمد شاكر (٢/٢٥ ـ ٢٦)، والألباني في إرواء الغليل (٢/١٩٧).
(٤) رواه أحمد في المسند (٧٥٠٩)، وصحح إسنادَه أحمد شاكر (٣/٢٥٠)، ومُحققو المسند (١٦/٤٤٠).
(٥) رواه أحمد في المسند (٤/٣٨٥)، وصحح الرواية عبد القادر الغامدي. انظر: صفة النزول الإلهي ص١٠٢.

جنس واحد صفات حقيقية تَليق بالله ﷻ ، ومن هذه الصفات: «الصفات الاختيارية؛ أي: التي تقع باختياره ومَشيئته، ولا يقع شيء من أفعاله إلا بإذنه، والصفات الفعلية كلها باعتبار الجنس: صفات ذاتِيَّة؛ أي: لم يزل ولا يَزال فَعَّالًا كما هو فعالًا في الأبد، والنوع الثاني: النوعي، وهو حادث؛ أي: أفرادها هي التي تحدث وتتجدَّد، مثل الاستواء على العرش، فإن الله تعالى لم يستوِ على العرش قبل خلقِ العرش، لأنَّنا لم نعلم فِعْلًا هو الاستواء إلّا ما كان خاصًّا بالعرش، والنوع الثالث: الآحادي، وذلك: كالنُّزول إلى السماء الدنيا كل ليلةٍ، وعشية عرفة، وغير ذلك»[1].

وصفة النزول لِرَبِّنا الجليلة كل ليلة، صفة حقيقية تليقُ بكماله، وعليائه، وجَلاله، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فنزوله سبحانه لا يماثل ولا يُشابه، ولا يُقارب بحال نزول المخلوقين، وحركاتِهم، وانتقالهم، فالمخلوق إذا نزلَ من علو إلى سفل زالَ عنه وصفه بالعُلُوِّ، وتبدلَ وصفُه بالسفول، وصار غيره أعلى منه.

والرَّبُّ العظيم ﷻ لا يكون شيء أعلى منه قط، فهو تعالى العلي الأعلى، وهو مستوٍ على عرشه فوق السموات العُلا، وينزلُ متى شاء، وكيف شاء إلى السماء الدنيا، وهو العلي الذي لا أعلى منه، ولا شيء فوقه[2].

❊ ❊ ❊

(١) «تفسير سورة النساء» (١/١٢٨)، و«سورة المائدة» (٤/٤٦٨) لابن عثيمين.

(٢) انظر: نقض الإمام الدارمي على المريسي (١/٣٥٨)، و«مجموع الفتاوى» (١٦/٤٢٤)، و«شرح حديث النزول» (١٥٣، ٢٣٢)، و«عقيدة السلف أصحاب الحديث» للصابوني شيخ الإسلام (٢٦، ٤٨).

أنواع النزول الإلهي

۞ النوع الأول: النزول إلى السماء الدنيا كل ليلة في شهر رمضان:

قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تعالى ليمهل في شهر رمضان كل ليلة، حتى إذا ذهبَ ثلثُ الليل الأول هبطَ إلى السَّماء، ثم قال: هل من سائلٍ يُعطَى، هل من مستغفر يغفر له، هل من تائب يُتابُ عليه»[(١)].

۞ النوع الثاني: النزول إلى سماء الدنيا عشية عرفة:

قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ما من يومٍ أكثر من أن يعتقَ الله تعالى فيه عبدًا من النّار من يوم عرفة، وإنه لَيَدنو، ثم يُباهي الملائكة فيقول: ماذا أراد هؤلاء»[(٢)].

قوله: «ليدنو»: «التعبير عن النزول بالدُّنُو لأنه يتضمنه»[(٣)]، والحديث بلفظ (النزول) شاهد له، قال ﷺ: «إذا كان يوم عرفة، فإن الله عَزَّوَجَلَّ ينزل إلى السَّماء الدُّنيا، فيباهي بهم الملائكة»[(٤)]، وصحح الحديث شيخ الإسلام ابن تيمية، قال رحمه الله: «كما وصف نفسَه بالنزول عشية عرفة في عدة أحاديث صحيحة، وبعضها في صحيح مسلم»[(٥)]، ثم ذكر الروايات.

۞ النوع الثالث: النزول إلى سماء الدنيا ليلة النصف من شعبان:

قال ﷺ: «ينزلُ الله تبارك وتَعالى ليلةَ النصف من شعبان إلى السماء

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٣)، وصححه الألباني وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين (ص٢٢٤).

(٢) مسلم (١٣٤٨).

(٣) «صفة النزول الإلهي» (ص١٥٦).

(٤) رواه البزار في مسنده (١١٢٨)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٨٤٠)، والحديث إسنادُه صحيح لولا عنعنة ابن الزُّبير، انظر: السلسلة الضعيفة (٢/١٢٥).

(٥) «مجموع الفتاوى» (٥/٣٧٣).

الدنيا، فيغفر لكلِّ نفس، إلّا إنسان في قلبه شحناء، أو مشرك بالله عَزَّوَجَلَّ»[(١)].

❁ النوع الرابع: النُّزول إلى السماء الدُّنيا بين يدي السّاعة:

عن ابن عَبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «يُنادي منادٍ بين يدي السّاعة: أتَتْكم السّاعة، فيسمعه الأحياءُ والأموات»، وفي لفظ: «كل حي ومَيِّت، ثم ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا، فيُنادي: لمن الملك اليوم لله الواحد القهار»[(٢)].

❁ النوع الخامس: النزول إلى الأرض يوم القيامة[(٣)]:

قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إنَّ الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القِيامة، ينزل إلى العِباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول ما يدعو به رجل جمع القرآن...»[(٤)].

❁ النوع السادس: النزول من العرش إلى الكرسي يوم القيامة:

قال ﷺ: «يجمعُ الله الأولين والآخرين لِميقات يوم معلوم، وينزل الله في ظُلَلٍ من الغَمام من العرش إلى الكرسي...»[(٥)].

❁ النوع السابع: النزول لأهل الجنة:

قال ﷺ: «كان جبريل وفي يده كالمرآة البيضاء فيها كالنكتة السوداء، قلت: يا جبريل ما هذه؟ قال: الجمعة...» وفيه: «فإذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتَعالى من عليين على كرسيه، ثم حفَّ المنابر بالكرسي من ذهب...»[(٦)].

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٠٩)، وصححه الألباني (ص ٢٢٢).

(٢) رواه الدارمي في الرَّد على الجهمية (١٤٠)، والعلو للذهبي، وقال الألباني: وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم، وهذا الحديث حكمُه حكم الرفع لأنه لا يقال بالرَّأي.

(٣) «صفة النزول الإلهي» (١٣٤).

(٤) رواه ابن حِبّان في صحيحه (٤٠٨)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٥) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٢/٥٢٠) (١٢٠٤)، وصححه الألباني في العُلُوِّ (١١٠)، وفي الترغيب والترهيب برقم (٣٥٩١).

(٦) صححه الألباني في الترغيب والترهيب برقم (٣٧٦١).

وجاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «سارعوا إلى الجمعة فإن الله ينزل لأهل الجنة في كل جمعة في كثيب من كافور أبيض، فيكونون منه في القرب على قدر تسارعهم إلى الجمعة»[1].

فوائد مهمة في صفة النزول

(١) وقت النزول الإلهي:

إنَّ لِنُزول رَبِّنا تبارك وتَعالى شأنًا عظيمًا، ليس شأنه كشأن غيره، فإن قدوم ملك السموات إلى هذه السماء التي تَلينا، ولا ريبَ أن للسموات وأفلاكها عند نُزول الرَّبّ تعالى إلى السماء الدنيا شأنًا وحالًا[2]، ولهذا تَرى خواصّ المؤمنين يتعرَّضون في هذا الوقت الجَليل لألطافِ رَبِّهم ومَواهبه، فيقومون لِعُبوديته خاضعين خاشِعين داعين متضرعين، يرجون منه حصولَ مطالِبهم التي وعدهم بها على لِسان رسوله ﷺ.

ولَمّا كانت الروايات مختلفةً في ألفاظها، متنوعة في أنواعِها، في الدلالة على وقت النزول، كان لِلعُلَماء فيها أقوال في التوفيق بينها، وتنحصر هذه الأقوال في ستة أقوال[3]:

الأول: وهو النزول حين يبقى ثلثُ الليل الآخر.

الثاني: إذا مضى ثلثُ الليل الأول.

الثالث: إذا مضى ثلثُ الأول، أو نصف الليل.

(١) رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٧٦)، وابن خزيمة في «كتاب التوحيد» (٦٠٢)، والذهبي في «العلو» (١٤٣) وقال: موقوف حسن، وقال: أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» بإسناد جيد اهـ وهو في حكم المرفوع.

(٢) انظر: مختصر الصواعق (٤٣١).

(٣) انظر تفصيل أقوال أهل العلم في: «صفة النزول الإلهي» (١٥٧ ـ ١٦٨).

الرابع: إذا مضى نصف الليل.

الخامس: النصف أو الثلث الأخير.

السادس: الإطلاق.

وأقوى هذه الأقوال وأرجحُها والله عَزَّوَجَلَّ أعلم هو القول الثالث[(١)]: وهو أن النزول أنواع ثلاثة: ففي بعض الليالي يكون النزول في أول الثلث الثاني، وبعضها في النصف، وبعضها في أول الثلث الآخر، وسبب ترجيح هذا القول أنه يجمع بين الرِّوايات، ويرفع التعارض بينها[(٢)]، كما هو عند أهل الأصول معلوم، فإعمال الأدلة جميعها أولى من إهمال بعضها وإعمال بعضها، فإن هذا هو الأصل الذي ينبغي أن يصار إليه.

(٢) نزول الرَّبِّ جَلَّاَلهُ لا يُنافي علوَّه:

فإن هذه الأخبار التي جاءت عن المصطفى ﷺ في نُزول الرَّبِّ جلَّ وعلا لا تُنافي علوَّه فوق عرشه، إذ لا يكون الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ إلا فوق كل شيء، ولا يكون شيء أعلى منه قط، بل هو العليُّ الأعلى، ولا يزال هو العلي الأعلى مع أنه يقرب إلى عبادِه، ويدنو منهم، وينزل حيث شاء، فعُلُوُّه من لوازم ذاتِه، فلا تناقض بين نزوله وعلوه[(٣)]، وذلك مما هو معلوم بالضرورة أن صفاتِه تعالى ليست كصِفات خلقه، ومن ذلك صفة النزول «فالمخلوق إذا نزل من علو إلى أسفل، زال وصفُه بالعُلُوّ، وتبدل إلى وصفِه بالسّفول، وصار غيره أعلى منه»[(٤)]، فلا تستلزم لوازم الخلق لوازم الرَّبِّ تعالى، وفي قوله ﷺ: «... **حتى ينفجر الفجر ثم يصعد**»[(٥)]،

---

(١) المصدر السابق (١٦٤).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٦/٤٢٤)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٤٢٨).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٦/٤٢٤).

(٥) كما في حديث رقم (٦) الآنف الذكر.

وفي لفظ: «... **حتى ينشق الفجر ثم يرتفع**»[١]، فصعوده تبارك وتعالى وارتفاعه إلى السماء من جنس نزوله، وإذا كان في نزوله لم يصر شيءٌ من المخلوقات فوقه، فهو سبحانه يصعد، وإن لم يكن منها شيء فوقه[٢].

(٣) إن الدعاء والاستغفار وغيرهما من العبادات يختلف فضلها بحسب الزَّمان والمكان[٣].

(٤) إن النزول الإلهي يشمل جميع ليالي العام.

(٥) إنَّ نزوله عَزَّوَجَلَّ إلى أقرب السموات إلى الأرض، دل من قوله: «**إلى السماء الدنيا**» والسموات سبع[٤].

(٦) إنَّ الاستجابة غير العَطاء، لقوله: «**من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه**»[٥].

(٧) دَلَّتْ هذه الأحاديث الكريمة، على عِظَمِ كرم الله عَزَّوَجَلَّ، وإحسانه الذي لا مُنْتَهى له من الكَمال.

** ** **

(١) رواه ابن العاصم في «السنة» (٥٠٠ ـ ٥٠١)، قال الألباني: إسناده جيد.
(٢) «شرح حديث النزول» (٣٩٤).
(٣) «شرح الواسطية» عبد العزيز السلمان (٢/٣٤٩).
(٤) «شرح الواسطية» ابن عثيمين (٢/٣٥٤).
(٥) «شرح العقيدة الطحاوية» (٥٣٨).

صفات الكمال

(المحبَّة، الرِّضا، الفرح، الضحك، والعجب، والبشبشة) الجليلة

۞ تمهيد:

قبل الكلام عن كلِّ صفة بمفردها، من المهم أن نذكرَ أهمية هذه الصفات الجليلة، الجميلة، الحبيبة إلى نُفوس أنبياء الله، ورسله، وأوليائه، فإن هذه الصفات الجليلة، من الصفات الفعليَّة، التي تتعلق بمشيئته وإرادته كما سبق، قد وصف بها الله تعالى نفسه، ووصفه بها رسله صلوات الله وسلامه عليهم، حيث اتفقت كلمتُهم وتواطأ خبرُهم على تعريف الرَّبِّ عز شأنُه المدعو إليه بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، تعريفًا مفصَّلًا، حتى كأن العبادَ يُشاهدونه ﷻ، وينظرون إليه، وكان من جملة ما عرفوه: أنَّ لِرَبِّهم صفات الكمال، وأنه يُحِبُّ ويُحَبُّ، ويفرح بتوبة عباده وطاعتهم، ويضحك منها، ويرضى بها، ويثني عليهم بها، فهذا من جملة مطالب الإيمان المشتركة بين أهل المِلَل كلهم، والعبد متى ما تدبرَ كتابَ الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، أشهده هذا التدبُّر، أنهما مملوءان بوصف الرَّبِّ تبارك وتعالى، بالمحبة، والرضا، والفرح، والضحك، وأنَّ نصوصهما محكمةٌ غاية الإحكام، مبينةٌ بأقصى غاية البَيان.

ولا ريب أن العلم الضروريَّ حاصلٌ بأن هذه الصفات من أعظم صِفات الكمال، وأنه فرض على الأمة التصديق بها فرضًا لا يتم أصل الإيمان إلا به، فيقوى القلب بهذا الإيمان، حتى يصير الغيب بمنزلة المشاهد بالعين، فينشأ من كمال الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته: مشهد الإحسان، وأن للعبد رَبًّا وإلهًا ومَلِكًا: خالِقًا حَيًّا، يُحِبُّ ويرضى، ويفرح ويضحك، وإن الكون بجملة ما فيه:

آيات وشَواهد وأدلة، دَعا الله ﷻ عبادَه إلى النَّظَر فيها، والاستدلال بها على هذه الصفات، ومَنْ له خبرة بِمَذاهب الناس وأقوال السَّلَف: يعلم قطعًا أن سلفنا قد اجتمعوا على القول بِدِلالة الوحي والعقل على إثبات هذه الصفات، حتى إن أحدهم إذا روى لغيرِه حديثًا عن رسول الله ﷺ في ذِكْر صفة من هذه الصفات، تلقاه بالقبول واعتقد ثبوتَ تلك الصفة على القطع واليَقين، واعتقد ثُبوتَ مقتضاها بمجرد سَماعها من العدل الصادق، ولم يرتَبْ فيها، فإذا سُئِلَ عن معنى هذه الصفات، أجاب بقوله: معانيها كلها مفهومة، وأما كيفيتها فغير معقولة، إذ تعقُّل الكيفية: فرع العلم بكيفية الذّات وكُنْهها، وإخبار العبد عن رَبِّه تبارك وتعالى بهذه الصفات الكريمة، هو أحد نوعي ذِكْر أسماء الرَّبّ تبارك وتعالى وصفاته، والثناء عليه بهما، وتنزيهه وتقديسه عَمّا لا يليق به تبارك وتعالى(١).

وإذا أراد رَبُّنا جلَّ وعلا أن يكرمَ العبد، وينعم عليه بأجلِّ نِعمه وآلائه، دَلَّه عليها، وفتح له من مقتضاياها، وثمراتها، ويَسَّرَ له أسبابَها، وموجباتها، وأعانه على ذلك، فيمتلئ الفؤاد حُبًّا وشوقًا، ورجاءً إلى رَبِّه عَزَّوَجَلَّ. وهذا أجل الغايات، وأعلى الأمنيات.

(٣) صفة الكمال (المحبة) الجليلة

صفة فعلية سمعية، جاءت في الكتاب والسنة.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

(٢) وقال سبحانه: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]

(٣) وقال جلَّ ثناؤه: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٤٥].

---

(١) انظر: «جهود ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصفات» د. وليد العلي (٣/١٧٧٤).

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب العبد التقي، الغنيّ، الخَفِيّ**»[(١)].

(٢) وقال ﷺ يوم خيبر: «**لأعطينَّ الرّاية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبه اللهُ ورسولُه..**»[(٢)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

صفة المحبة من أعظم الصفات التي يتعلق بها أولياءُ الله تعالى وأصفياؤه، فهذه الصفة الجليلة هي التي تسابقَ إليها الأنبياء، وشمَّر إليها الأولياء، «فليس عند القلوب السليمة، والأرواح الطيِّبَة، والعقول الزاكية، أحلى ولا ألَذّ ولا أطيب ولا أنعم من محبته تعالى»[(٣)]، ولهذا «فإن الشأن كل الشأن في أن الله تعالى يحبّك، فإن محبته لك أعلى من أن تحبَّه أنت»[(٤)]، فهو تعالى يحبُّ أولياءه ويُحبونه، فهو الذي أحبَّهم، وجعل في قلوبهم المحبة، فلما أحبُّوه أحبَّهم حُبًّا آخر، جزاء لهم على حبهم، وهذا هو الإحسان المحض على الحَقيقة، إذ منه السَّبب ومنه المسبب[(٥)].

وقد دَلَّ الكتابُ والسنةُ أنَّ الله تعالى قد علّق وصفَ المحبَّة بأعمال، وأقوال، وأفعال، وأخلاق، وأوصاف، وأماكن، وأنَّ محبته لذلك تتفاضل في هذه المحبوبات، بحسب كمالِها[(٦)].

---

(١) مسلم (٢٩٦٥).

(٢) البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٥).

(٣) «إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان» (٢/٢٨٠).

(٤) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٤٣١).

(٥) انظر: «جلاء الأفهام» (٢٤٣)، و«فتح الرحيم الملك» (٤٠).

(٦) «شفاء العليل» (١/٢٣٠)، و«مفتاح دار السعادة» (٣/٤١٢) بتصرف يسير.

فمن الأوصاف:

أنه تعالى يحب: المتقين، والمحسنين، قال ﷺ: «**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضَّعيف**»[1]، وفي الحديث «دليل على أنَّ محبَّته تعالى تتفاوتُ، فمحبته للمؤمن القوي، أعظم من محبَّتِه للضَّعيف»[2].

ومن الأماكن:

المساجد، قال ﷺ: «**أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها...**»[3]، ومحبته تعالى للمساجد الثلاثة أكثر من دونِها من المَساجد.

واعلم رعاكَ الله تعالى أن أعظمَ ما يحبه الله هو الثَّناء عليه، بِصِفاته، وأسمائه، وأفعاله.

قال ﷺ: «... **ولا شيء أحبّ إليه من المدح من الله عَزَّوَجَلَّ، من أجل ذلك مدحَ نفسَه**»[4].

يقول ابن القيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهو تعالى يحبّ نفسَه، ومن أجل ذلك يُثني على نفسِه، ويحمد نفسَه، ويقدِّس نفسَه، ويحب من يحبه، ويحمده، ويُثني عليه، بل كلما كانت محبة عبده له أقوى، كانت محبة الله تعالى له أكمل وأتمّ، فلا أحبّ ممن يُحبه ويحمده، ويُثني عليه»[5].

فقد دَلَّك رسولك الرؤوف الرحيم ﷺ على أحبّ الأعمال إلى الله تعالى على الإطلاق، وهو كما تقدَّم الثَّناء عليه سبحانه وحمده، ولا يكون كذلك إلّا

---

(١) مسلم (٢٦٦٣).

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» (٤١)، و«شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٢/٥٨٣).

(٣) مسلم (٦٧١).

(٤) البخاري (٧٤٠) (٤٦٣٤)، ومسلم (٢٧٦٠).

(٥) «طريق الهجرتين» (٤٣٠).

بأسمائه وصفاته، وجلاله، فشمِّر عن ساعِدِ الجِد، وادفع بخيول الذكر في ميدان السبق، وأنت خبيرٌ بأن ما نحن بصدده من هذه الدراسة يُعدُّ ذكرًا لصفاته جلَّ وعزَّ العلية، التي لا أجلَّ، ولا أجمل، ولا أعلى منها، على الإطلاق. فاحتسب.

(٤) صفة الكمال (الخُلَّة) الجليلة

صفة فعلية خبرية، جاءت في الوحيَيْن الكريمَيْن.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٥].

السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ

قال ﷺ: «إنَّ الله اتَّخَذَني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا»(١).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الخلة: أصفى المودَّة وأصحها(٢).

والخليل: المحب الذي ليس في محبَّتِه خلل، وسمي إبراهيم خليل الله بأنه الذي أحبه الله، واصطفاه، محبة تامَّة كاملة(٣).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصف ربنا الجليل بالصفة الاختيارية الخلة، «وهي أعلى أنواع المَحَبَّة، وليس فوق الخلّة شيء من أنواع المحبة أبدًا، وهي لم تثبت لأحد من البشر إلّا

(١) مسلم (٥٣٢).

(٢) «المفردات» (٢٩٠)، و«القاموس المحيط» (٣٩٢).

(٣) «معاني القرآن» للزجاج (٢/١١٢).

لاثنين هما: إبراهيم، ومحمد عليهما الصلاة والسَّلام»[(١)].

وقد تقدم في صفة المحبَّة أنها تتفاوت، على قدر الأسباب المتعلِّقة بها، ولهذا «سمي خليل الله لِشِدَّة محبة رَبِّه عَزَّوَجَلَّ، لِما قام له من الطاعة التي يُحِبُّها ويَرضاها»[(٢)].

(٥) صفة الكمال (الرِّضا) الجليلة

صفة فعليَّة سمعيَّة، جاءت في الكِتاب والسُّنّة.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

(٢) وقال سبحانه: ﴿لَّقَدۡ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «**رِضَى الله في رِضى الوالد، وسخط الله في سخط الوالد**»[(٣)].

(٢) وقال ﷺ: «**إنَّ الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا...**»[(٤)].

(٣) وكان من دُعاء المصطفى ﷺ في السُّجود: «**اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِرِضاكَ من سَخَطِكَ...**»[(٥)].

---

(١) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٤٤١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/٧٦٥).

(٣) «صحيح الترمذي» (١٨٩٩).

(٤) مسلم (١٧١٥).

(٥) مسلم (٤٨٦).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الرِّضا: خلاف السخط، ويقال: أرضاه إذا أعطاه ما يرضى به[1].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

رِضا رَبِّ العالمين هو مطلب كلِّ عابدٍ، وغاية كل سالك، فهو «الغاية التي أمَّها العابدون، والنهاية التي سعى نحوَها المُحِبُّون»[2].

والرِّضا صفة عَلِيَّة لله عَزَّوَجَلَّ، من الصفات الفعلية الكَماليَّة، الحقيقية، المتعلقة بمشيئته سبحانه، فهو سبحانه يَرضى عن أُناس، ولا يرضى عن أناس، وهو يرضى أعمالًا، ولا يرضى أعمالًا، فهو تعالى يرضى عن المؤمنين، وعن المقسطين، وعن الشاكرين، ولا يرضى عن الكافرين، والفاسقين، والظالمين، والثواب دليل على ثبوت الرِّضا، فهو تَعالى يُثيب الطائعين، ويجزيهم على أعمالهم وطاعتهم[3].

فصفة الرِّضا العظيمة تستلزم جميع خيرات ومَسَرّات الحياة الدُّنيوية، والأخروية، وهذا غاية أمنيات البرية.

وقد دَلَّت النصوص «أنه تعالى يرضى عن العمل، ويرضى عن العامل»[4].

أما العمل فهو نوعان:

إما بالقول: كالشُّكر، قال تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، وكما في الحديث: «**إنَّ الله يَرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو**

(١) «معجم مقاييس اللغة» (٢/٤٠٢).

(٢) «تفسير السعدي» (٣٤٤).

(٣) انظر: «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (١/٤٧٧)، و«المُحاضرات السنية» (١/٢٠٨).

(٤) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٤٧٧).

يشرب الشربة فيحمده عليها»(١).

«ففي هذا دليل على أنَّ رِضى الله عَزَّوَجَلَّ قد ينال بأدنى سبَب، قد ينال بهذا السبب اليسير...»(٢)، وهذا والله غاية الفضل من ربنا الجليل.

وبالفعل: المجاهدة بالطاعة ابتغاء الرِّضى من الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

«ويتعلق بالعامل، مثل قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]»(٣)، وكقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]

رضى الرب من أعظم ما يُدركه المؤمنون في جنات النعيم

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

فقوله: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾: «أي: رضى الله عنهم أكبر، وأجلُّ، وأعظم، مِمّا هم فيه من النَّعيم»(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبَّيْكَ رَبَّنا وسعدَيْك، والخير في يدَيْك، فيقول: هل رَضيتُم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رَبَّنا وقد أعطيتَنا ما لم تُعط أحدًا من خلقِك،

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣٤).

(٢) «شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين (٤١٥/١).

(٣) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (٤٧٧/١).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٥٠٢/٢).

فيقول: ألا أعطيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رِضْواني فلا أسخطُ عليكم بعدَه أبدًا»[1].

وفي رواية: «هل تشتهون شيئًا فأزيدكم؟ قالوا: يا ربَّنا ما خير مِمّا أعطيتَنا! قال: رضواني أكبر»[2].

فانظر رَعاكَ الله تعالى إلى كَمال وعِظم رِضاه سبحانه، إذ إن يسير اليَسير من رِضوانه أكبر من الجِنان وما فيها، لأنَّ رِضاه صفة من صِفات الله تبارك وتَعالى، والجنةُ خلقُه وثَوابُه، وهذا الرِّضى جزاء على رِضاهم عنه في الدُّنيا، ولَمّا كان هذا الجزاء، أفضل الجزاء كان سببه أفضل الأعمال[3].

(٦) صفة الكمال (الفرح) الجليلة

صفة الفرح من الصِّفات الفعلية الخبرية التي انفردت بها السُّنَّة المطهَّرة عن خير البرية محمد ﷺ.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «للهُ أشَدُّ فَرَحًا بتوبةِ عبدِه حين يتوبُ إليه من أحدِكم كان على راحلتِه بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيِسَ منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظِلِّها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذَ بخِطامِها، ثم قال من شدَّة الفرح: اللّٰهُمَّ أنت عبدي وأنا رَبُّك، أخطأ من شِدَّةِ الفَرَح»[4].

---

(١) البخاري (٦٥٤٩) (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٨٢/١) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذَّهبي، وقال الألباني: وهو كما قالا. «السلسلة الصحيحة» (١٣٣٦).

(٣) انظر: «مدارج السالكين» (٢٢٦/٢)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٣٤٨/٢).

(٤) البخاري (٦٠٣٨) (٦٠٣٩)، ومسلم (٢٧٤٤) (٢٧٤٦).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الفرح: خلاف الحزن وهو: السرور، يقال: فرح يفرح فرحًا، فهو فَرِحٌ؛ أي: مسرور.

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الفرح من أوصاف الله تعالى الكمالية، لأنَّ رَبَّنا لا يوصَف ولا يقوم به من الأفعال إلا الأكمل، والأحسن، والأطيب، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، وهو فرح حقيقي يَليق بِجَلال رَبِّنا وكَماله، ومعنى الفرح معلوم، أي: في أصل اللغة التي أنزل الله تعالى بها القرآن، وخاطب بها العرب وغيرَهم، والكيف: مجهول، لأنه لا يعلم كيف الله إلّا هو، فكما نعلم أن الله تعالى موجود على الحقيقة ولا نعلم كيفية ذاتِه وحقيقتها، فمن باب أولى أن لا تعلم كيفيةَ صِفاته، إذ إن الكلام في الصِّفات فرعٌ عن الكلام في الذَّات، ولهذا فعلينا الإيمان بها وبغيرها من أوصافِ رَبِّنا مع قطع الطمع في معرفة كيفيتها، وماهيتها، وهذا أسلم وأحكم، لكونها طريقة السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ في إثبات الصفات، «وهذه الصفة الجَليلة تدلُّ بالتضمُّن على لطف الله تعالى بِعِباده، ورحمته لهم، حيث يوفق من يَشاء من عبادِه لِيَتوبوا، فإذا تابوا تقبلَ توبتَهم، وفرح بها فرحًا شديدًا ولطيفًا في وقتٍ واحد، إذ يرد إليه عباده الشاردين من طاعته لِئَلّا يضيعوا، وهو الذي لا تضرُّه معصيتُهم، ولا تنفعه طاعتُهم»[(١)].

وقد وصف نبينا ﷺ فرحَ رَبِّنا العظيم كما تقدم بأعظم فرح يخطرُ على البال، أو يدور في الخيال، فلو كان في الوجود فرح أعظم، وأكمل من هذا الفرح لَبَيَّنَه ﷺ، وهذا يدلُّ على كَمال فَرحِ رَبِّنا تعالى من كل وجه، منزه عن كل نقص، لأنه «فرح لا يشبه فرحَ أحد من خلقه، لا في ذاتِه، ولا في أسبابِه، ولا

(١) «الصفات الإلهية» لمحمد بن أمان الجامي (٢٩٧).

في غاياته، فسببه كمال رحمتِه وإحسانه، التي يحب من عباده أن يتعرضوا لها، وغايته إتمام نعمته على التائب المُنيب»(١).

ففرحه سبحانه كما في الحديث الذي سبق: «فرحة إحسان، وبِرٍّ، ولطف، لا فرحة مُحتاج إلى شيء، أو منتفع به»(٢)، خلاف فرح في المخلوق الذي هو على أنواع، فقد يكون فرحه خفة، وسرور، وطرب، وقد يكون فرح أَشَرٍ، وبَطَرٍ، فالله عَزَّوَجَلَّ منزَّه عن ذلك كلِّه(٣).

فينبغي للعبدِ أن يتأمَّل عظم شأن فرح الرَّبِّ، يقول ابن القيم رحمه الله: «فإن هذا الفرح له شأن لا ينبغي للعبد إهماله، والإعراض عنه، ولا يطلع عليه إلّا من له معرفة خاصة بالله تعالى، وبأسمائه، وصِفاته، وما يَليق بعزِّ جَلالِه»(٤)، فهو تعالى ليس بمحتاج إلى توبتنا، بل نحن مفتقِرون إليه في كل أحوالِنا، لكن لِكَرمه جلَّ وعلا، ومحبته للإحسان، والإعطاء، والبِرِّ، والإنعام، والإفضال، يفرح هذا الفرح الذي لا نظير له بتوبة الإنسان، إذا تابَ إليه(٥).

(٧) صفة الكمال (الضحك) الجليلة

صفة فعليَّة سمعية، ثابتة بالسنة الشريفة المطهَّرة.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن أبي هريرة رَضِيَاللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يضحكُ الله إلى**

(١) «شرح الواسطية» للسعدي (٢/٣٥٩)، و«شرح الواسطية» للهراس (٣٦٠).
(٢) «مدارج السالكين» (١/١٩٥) بتصرف يسير.
(٣) «شرح الواسطية» للهراس (٢/٣٦٠).
(٤) «المدارج» (١/٢٣١).
(٥) انظر: «شرح الواسطية» لابن عثيمين (٢/٣٦٣).

رجلين يقتل أحدُهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة»[١].

(٢) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**يتجلَّى رَبُّنا ضاحِكًا يومَ القِيامة**»[٢].

(٣) عن أبي رزين رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**ضحكَ رَبُّنا عَزَّوَجَلَّ من قُنوط عباده، وقرب غيره**»، فقال أبو رزين: أو يضحك الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ؟! قال: «**نعم**»، فقال: لن نعدم من رَبٍّ يضحك خيرًا[٣].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الضحك أصله: انبساط الوجه، وقد يستعمل في السرور المجرَّد، ومنه قوله تعالى: ﴿مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ضَاحِكَةٞ﴾ [عبس: ٣٨ ـ ٣٩]، واستعير أيضًا لِمُجرد التعجب، لأنه مسبب عنه غالبًا، كما حكى تعالى عن سارة: ﴿فَضَحِكَتۡ﴾ [هود: ٧١]، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ﴾ [هود: ٧٢][٤].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصف رَبّنا تبارك وتَعالى بصفة الضحك الجَليلة، فهو ضحك حقيقي ليس له مثيل ولا شبيه من ضحك المخلوقين، عندما يستخفهم الفرح، أو الطرب، أما ضحك رَبِّ العالمين فهو نوع آخر، ضحك يليق بكمالِه[٥]، وجَلاله، وعظمته، لا نكيفه، ولا نشبهه، بل نُثبته كما أثبته النبي الأمين،

---

(١) البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠).

(٢) صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٨/٦).

(٣) صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨١٠).

(٤) «عمدة الحفاظ» (٣٧٠/٢)، ورجح شيخ المفسرين ابن جرير الضحك في الآية بمعنى: التعجب، «تفسير الطبري» (٢٩٣/٤).

(٥) «شرح الواسطية» للهراس (٣٦٨/٢).

وسلف الأمَّة من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم إلى يوم الدِّين، كما سيأتي في بيان ذلك.

«وهو سبحانه يضحك كما يشاء، ويقصد بضحكه أولياءه عندما يعجبه أفعالهم، ويصرفه عن أعدائِه بما يسخطه من أفعالِهم، فهو يضحكُ إلى قومٍ، ويصرفه عن قومٍ، ولا يضحك إلّا عن رِضا بما يأتونه من عبوديته»[(١)]، ومن هذا «ضحكه» ﷻ من عبده حيث يأتي من عبوديته بأعظم ما يحبه، فيضحك سبحانه فرحًا، ورضًا، كما يضحك من عبده إذا ثارَ عن وطائه، وفراشه، ومضاجعة حبيبته إلى خدمته، يتلو آياته ويتملقه...[(٢)]، وغير ذلك، كما في السنن، فهو يضحك سبحانه إلى عباده الذين قد أتوا بأعظم أنواع محابه، من جهاد في سَبيله، ومن بيع النفس له، ومن المُناجاة إلى تفضل الله بها عليهم، وهكذا تجده سبحانه يوفق من شاءَ من عباده ليأتي بِمَرْضاته فيتقبل منه، ثم يفرح به حتى يضحك إليه رضًا، ومحبة، سبحانك ما أعظم شانك..!![(٣)] إذ منه السبب، ومنه المسبب.

وقد تحقق إيمانُ الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في هذه الصفة، وفي بيانِها لِغيرهم، بأجمل ما يكون من البَيان، ففي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، يرفعه إلى النبي ﷺ عن آخر أهل الجنة دخولًا: «... **فيقول الله تعالى له: اذهبْ فادخل الجنةَ، فإن لكَ مثل الدنيا وعشرة أمثالِها، أو إنَّ لك عشرة أمثال الدنيا، قال: فيقول: أتسخرُ بي، أوَ تَضحك بي، وأنت الملك؟!**»، فضحكَ ابنُ مسعودٍ، فقال: ألا تسألوني مِمَّ أضحك؟ قالوا: مِمَّ تضحك؟ فقال:

---

(١) انظر: «التوحيد» لابن خزيمة (٢/٥٦٣)، و«رد الدارمي على بشر المريسي» (١٧٥)، و«مجموع الفتاوى» (٥/٦١).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/٢١٦).

(٣) «الصفات الإلهية» للشيخ محمد أمان الجامي (٢٩٣).

هكذا ضحك رسولُ الله ﷺ ، فقالوا: مِمَّ تضحك يا رسول الله؟! فقال: «**من ضَحِكِ ربِّ العالمين ، حين قال: أتستهزئ مني وأنت رَبُّ العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك ، ولكنِّي على ما أشاء قادر**»[(١)] .

وعن علي بن ربيعة قال: رأيتُ عليًّا أتي بدابَّة ليركبها ، فلمّا وضعَ رجلَه في الرِّكاب قال: بسم الله... ، ثم قال: (سبحانك لا إله إلا أنت ، قد ظلمتُ نفسي ، فاغفر لي ، إنه لا يغفر الذُّنوبَ إلى أنت) ، ثم ضحك ، قال: فقيل: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: كنتُ ردفًا لرسول الله ﷺ ، ففعل كالذي رأيتني فعلت ، ثم ضحك ، قلت: يا رسول الله ، ما يضحكك؟ قال: «**قال الله تبارك وتعالى: عجبٌ لعبدي ، يعلمُ أنَّه لا يغفرُ الذُّنوبَ غيري**»[(٢)] .

فانظر رحمك الله تعالى كيف كان اقتداءَ الصحابة رضي الله عنهم بالنبي ﷺ ، قولًا ، وفعلًا ، وتقريرًا ، وتأمل ما كان من ذلك في باب تحقيق صِفات الرَّبِّ ﷻ ، وفي ضحك النبي ، ثم الصحابة ، فيه حسنُ البَيان في تحقيق المَعاني للصفة ، وتعليمها لغيرهم ، وهذا من أجَلِّ الأساليب في التعليم وأيسرها في وتثبيت المَفاهيم ، وهذه سنة عظيمة قد هُجرت ، فرحم الله تعالى من أحياها ، فتشبَّثْ رعاكَ الله تعالى بهذا الهُدى القويم .

* * *

(١) انظر الروايات: البخاري (٦٥٧١ ، ٧٥١١) ، ومسلم (١٨٦ ، ١٨٧) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٧٥٣ ، ٩٣٠ ، ١٠٥٦) ، وصحح هذه الروايات العلامة أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/٤٩٢ ، ٢/٧ ، ٥٥) .

(٨) صفة الكمال (العجب) الجَليلة

صفة جَليلة من صِفات رَبِّنا تبارك وتَعالى الفعلية العليَّة، «التي تتجدد حسب مشيئته تَعالى، وإرادته (الحكيمة)، فهي فعلٌ من أفعاله جلَّ وعلا الكثيرة، التي تصدر عن حكمةٍ خفية، ما يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»(١).

وهي من الصفات السمعية الخبرية، التي لا تعلم إلّا عن طريق الشارع الحكيم، وهي ثابتة بالكتاب الكريم، وسنة النبي الأمين ﷺ.

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

(١) قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢].

(٢) وقال عز شأنُه: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: ٥].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لقد عجبَ الله عَزَّوَجَلَّ ـ أو ضحك ـ من فلان وفلانَةٍ**»(٢).

وفي لفظ: «**قد عجبَ الله من صَنيعكما بضيفكما الليلة**»(٣).

(٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجبَ الله من قومٍ يدخلونَ الجنَّةَ في سَلاسل**»(٤).

---

(١) انظر: «الصفات الإلهية» (٢٩٤).
(٢) البخاري (٣٧٩٨)، (٤٨٨٩).
(٣) مسلم (٢٠٥٤).
(٤) البخاري (٣٠١٠).

(٣) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله لَيعجب من الصَّلاة في جمع»[١].

(٤) عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله لَيعجب إلى العبد إذا قال: لا إله إلا أنت، إنِّي قد ظلمْتُ نفسي، فاغفر لي ذُنوبي، إنَّه لا يغفر الذنوبَ إلا أنت، قال: عبدي عرفَ أنَّ له رَبًّا يغفر، ويُعاقب»[٢].

وفي لفظ: «إنَّ رَبَّكَ لَيعجب من عبده إذا قال: رَبِّ اغفر لي ذُنوبي، قال: علمَ عبدي أنَّه لا يغفرُ الذُّنوب غيري»[٣].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

العجب، والتعجب: هو استغراب الشيء، ويكون بسببَيْن:

السبب الأول: خفاء الأسبابِ على هذا المستغرب للشيء المتعجب منه، بحيث يأتيه بغتة بدون توقُّع، وهذا مستحيل على الله تعالى، لأن الله تعالى بكل شيء عليمٌ، فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما تعجب منه.

السبب الثاني: عظم ذلك عندَه، وكبره لديه لخروج الشيء عن نظائرِه، وعما ينبغي له أن يكون عليه، فهو استعظامٌ للمتعجَّب منه، لِخُروجه عن نظائره، تعظيمًا له، والله تعالى يُعظم ما هو عظيم، إما لعظمة سَببِه، أو لعظمته، وهذا ثابت لله تعالى، لأنه ليس عن نقصٍ من المتعجِّب، ولكنه عجب بالنظر إلى حال المتعجَّب منه[٤].

(١) «سلسلة الأحاديث «الصحيحة» (٤/٢١٠) قم (١٦٥٢).

(٢) صححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٦٠٢)، وفي «السلسلة الصحيحة» (٤/٢١٠) (١٦٥٣).

(٣) صححه الألباني في صحيح موارد الظمآن (٢/٤٣٣) (٢٠٢٠).

(٤) انظر: «النهاية» (٥٩٣)، و«مجموع الفتاوى» (٦/١٢٣)، و«شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (٢/٣٧٨).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصف ربنا جَلَّ جَلَالُهُ بالعجب، وهي صفة جليلة كاملة من جميع الوُجوه على الإطلاق، كسائر صِفاته، سواء الذاتية، أو الفعلية، «وصفة التعجب قد تدلُّ على محبة الله تعالى للفعل الذي هو محل التَّعجُّب، وهي في هذه الصورة قريبة من معنى الفَرَح»[(١)]، وقد تقدم ذِكْرُ الأحاديث التي في السنة الدالَّة على هذه المعاني السامية، وقد تبين في المعاني اللغوية للعجب أن الله تعالى متصِفٌ بالكمال من هذه المعاني الجليلة، «فليس عجبه سبحانه ناشئًا عن خَفاء في الأسباب، أو جهل بِحَقائق الأمور، كما هو الحال في عجب المخلوقين، لأن التعجب في حَقِّ الإنسان منشأه غرابة الفعل، وأنه حدث على شكل يُثير العجب والغَرابة، لأن الإنسانَ فوجِئَ بالفعل الذي هو محلّ التعجب، إذا كان هذا هو مثار التعجب عند المخلوق فإن الله تبارك وتَعالى مُنَزَّهٌ عن هذه المعاني، لأنه سبحانه هو الذي قَدَّرَ ذلك الفعل الذي هو محلّ التعجُّب، فلا ترد في حَقِّه سبحانه هذه المَعاني، وتلك اللوازم لتعجب الإنسان»[(٢)]، فإن الله تبارك وتَعالى هو الذي خلقَ الأسبابَ والمسببات ومقادير العباد قبل أن يخلقَ الأرض والسموات بخمسين ألف سنة، كما ثبت في الصحيح[(٣)]، «فعجبه جَلَّ جَلَالُهُ هو معنًى (يليق بكماله وجَلالِه) يحدث له سبحانه على مقتضى مشيئته وحكمتِه، وعند وجود مقتضيه (من الأسباب)، وهو الشيء الذي يستحق أن يتعجب منه»[(٤)].

قال الفَرّاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العجب إن أُسندَ إلى الله عَزَّوَجَلَّ فليس معناه من الله

(١) «الصفات الإلهية» للجامي (٢٩٤).
(٢) «شرح الواسطية» للهراس (٢/٣٧٤)، و«الصفات الإلهية» للجامي (٢٩٤ ـ ٢٩٥).
(٣) مسلم (٦٥٦٣).
(٤) «شرح الواسطية» للهراس (٢/٣٧٤).

تعالى كمعناه من العِباد، وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، ليس ذلك من الله تعالى كمعناه من العِباد»(١). وهذا من حسن اعتقاده رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

«وقد يدلُّ التعجب على بُغْضِ الله تعالى للفِعل الذي هو محل التعجب، ومن أمثلة هذا النوع: قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ [الرعد: ٥]، وقوله: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢]»(٢) على قراءة الضم، وهو عجبٌ من كفرهم مع وضوح الدّلالة(٣). وهذه القراءة؛ أي: بالضم (عجبتُ) هي قراءة عامة الكوفة، بمعنى: بل عظم عندي، وكبر اتخاذهم لي شريكًا، وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون، وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة، وبعض قرَّاء الكوفة: ﴿عَجِبْتَ﴾ بفتح التاء، بمعنى: بل عجبت يا محمد، ويسخرون من القرآن، وهاتان القراءتان مشهورتان في قرأة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب(٤)، لأن القاعدة في القرآن أن «تنوع القراءات بمنزلة تعدد الآيات»(٥)؛ أي: إذا كان لكلِّ قراءةٍ معنًى يُغايِرُ معنى القراءة الأخرى في آية واحدة، لهما حكم الآيتَيْن(٦)، فـ(قراءة الفتح) يكون العجب راجع للنبي ﷺ؛ أي: «قد عجب محمد مما أعطاه الله تعالى من الفضل، وسخر منه أهل الشرك بالله، و(القراءة بالضمّ): وقد عجب ربُّنا من عظيم ما قاله المشركون في الله، وسخر المشركون بما قالوه»(٧).

(١) «معاني القرآن» (٢/٣٨٤).
(٢) «الصفات الإلهية» لأمان الجامي (٢٩٦).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٦/١٢٣).
(٤) «تفسير الطبري» (٦/٢٩٧).
(٥) انظر هذه القاعدة في: البرهان للزركشي (١/٣٢٦)، و«مجموع الفتاوى» (١٣/٣٩١ ـ ٣٩٢)، و«أضواء البيان» للشنقيطي (٢/٨، ١٢٠).
(٦) انظر: «أضواء البيان» (٢/٨).
(٧) تفسر الطبري (٦/٢٩٧).

(٩) صفة الكمال (البَشَاشَة) الجليلة

صفة فعلية سمعية، ثابتة بالسُّنَّة الصحيحة.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما توطَّنَ رجلٌ مسلم المَساجِدَ للصَّلاة، والذِّكر، إلا تَبَشْبَشَ الله له، كما يَتَبَشْبَشُ أهلُ الغائِبِ بِغائِبِهمْ إذا قدموا**»(١).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

توطَّنَ؛ أي: التزمَ وداومَ على حُضورها.

البَشّ: فرح الصديق بالصَّديق، واللطف في المسألة، والإقبال عليه، وقد بششت به أبش، وهذا مثل ضربه لتلقيه إياه ببرِّه، وتقريبه، وإكرامِه(٢).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

أخبر نبيُّنا محمد ﷺ أن رَبَّنا تبارك وتَعالى موصوف بالبشاشة، وقد علقها بسببٍ، وهو ملازمة العبدِ لِلمساجد، وقد تقدم بيان: أن كُلَّ صفة علقت بسبب فهي فعليَّة، فمتى وُجِدَ سببَ التبشبش منه تعالى تبشبش بعبده المصلي كما يَليقُ بِجَلاله، وعليائِه.

وهذه الصفة الجميلة معناها «يقرب معنى الفرح، والعرب تقول: رأيتُ لِفلان بشاشة، وهشاشَةً، وفرحًا، ويقولون: فلان هَشٌّ بَشٌّ فرحٌ، إذا كان منطلقًا»(٣).

---

(١) صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٨٠٠)، وفي «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٢٥).

(٢) «النهاية» (٧٨).

(٣) «إبطال التأويلات» (١/٢٤٣).

وهذه الصفة الكريمة كغيرِها يعلم أصلُ معناها ويُجْهَل كيفيتها وكنهها، وهذه القاعدة تقع على كلِّ الصِّفات، كما نَصَّ على ذلك أئمةُ الدُّنيا. جاء عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في صفة الضحك أنه قال: «يضحكُ الله، ولا نعلم كيفَ ذلك، إلا بتصديقها الرسول ﷺ، والقرآن»[(١)].

وقوله: (ولا نعلم كيف ذلك): لأنَّ الكيفيَّة لا تدرك ولا تعلم إلا بمعرفة حقيقة الشيء وأصله، وهذا منتفٍ في حَقِّنا في حَقِّ رَبِّنا جَلَّ جَلَالُهُ.

صفات الكمال (الغضَب، والأَسَف، والسُّخْط، والكُرْه، والمَقْتُ)

تمهيد:

لَمّا كانت الصفات التي تقدمَ شرحُها وبيانُها صفات حبيبة إلى النفوس، موقدة إلى شد الهمم والرجاء والأمل، ناسب أن يعقبها ذكر صِفات تقابلها، تتضمَّن معاني القهر والانتقام، مع كمال العدل، تستوجب الخوف، والرهبة، حتى يُجمع بين الرجاء والخوف، وهي طريقة القرآن في الجمع بين الترغيب والترهيب، وهكذا ينبغي للسالك إلى الله تبارك وتعالى في هذه الدّار، أن يكون الخوف والرجاء له كجناحي الطير، يجمع بين الرغبة والرَّهبة، فلا يغلب واحدًا على الآخر، فلا يغلب الرجاء فيقع في الغُرور وطُول الأمل، ولا يغلب الخوف فيقع في القنوط واليأس.

«وهذه الصفات إنما تقع بأسباب تناقض موجب ما يُحِبُّه الله تعالى ويَرْضاه، فهو سبحانه كما يحبّ أسماءه وصفاته، ويحب آثارَها وموجبها: فهو يكره ما يُضادها، ووجود هذه الصفات مستلزم لِما يحبه الله تعالى ويَرْضاه، لِذا لم تبق هذه الصفات مقصودة بعدما يحصل عنها من الآثار والمُوجِبات التي

(١) المصدر السابق (١/٢١٧).

يُحبُّها الله ﷻ ويَرْضاها، لا لِنفسها، ولا لغيرها، فتزول ويخلفها أضدادُها، التي هي أحبّ إلى الله تعالى منها، وهي موجب أسمائه وصِفاته.

وهذه الصفات لها أعظم الأثَر على أولياء الله تعالى المُتَّقين، لأنهم إذا شاهدوا أحوالَ أعداء الله تعالى ورسله من العُصاة والظَّلَمَة وما نزلَ بهم من البَطْش والانتقام والعُقوبة والإهانَة والإبعاد والخُذْلان، ازدادوا خُضوعًا، وذُلًّا، وافتقارًا، وانكسارًا، وله عبادة، وبه استعانة، وإليه إنابة، وعليه توكُّلًا، وفيه رغبة، ومنه رهبة، فالعبد إذا علمَ أنَّ الله ﷻ متَّصِفٌ بهذه الصِّفات: تفكَّرَ في أوصافِه المُخالِفة لأمره، فاستحى من رَبِّه تعالى أن يَراه، أو يسمع منه ما لا يحبُّه، ولا يَرضاه من قبيح أفعاله وأقواله، وأعماله الدالَّة على هوانه ونُقصانه.

فالله تعالى مع اتِّصافه بهذه الصِّفات القهرية: إلّا أنه لا يخرجُ عن عَدْلِه، فهو يُجازي عدوَّه بما يفعله من الخير والمعروف في الدُّنيا، ويخفف به عنه يوم القِيامة، فالله تعالى لا يُضيع على العبد بما يعمله من الإحسان، ولو كان عند رَبِّه من أبغض بني الإنسان، بل شرٌّ وأضل سَبيلًا من الحيوان»(١).

(١٠) صفة الكمال (الغضب) الجليلة

صفة فعليَّة خبريَّة اختيارية، تقوم بِذات الله تعالى وفق مَشيئته، وإرادته المقترنة بحكمتِه، ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ بالكِتاب والسُّنَّة.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٢].

---

(١) «جهود الإمام ابن القيم في تقرير توحيد الأسماء والصِّفات» (١٨١١/٣ ـ ١٨١٤).

(٢) وقال عزَّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ١٣].

(٣) وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَمّا خلقَ اللهُ الخلقَ كتبَ في كِتابِه فهو عندَه فوق العَرْش: إنَّ رَحمَتي سَبقَتْ غَضَبي**»[(١)].

(٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**من لم يسأل اللهَ يغضب عليه**».

وفي لفظ: «**من لا يدعُ اللهَ يغضب عليه**»[(٢)].

(٣) وفي حديث الشَّفاعة العظيم في اعتذار الأنبياء حين يطلب الناس منهم الشفاعةَ عند الله تعالى، فكان كلُّ واحد منهم يقول: «**إنَّ رَبِّ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لم يغضبْ قبلَه مثلَه، ولن يَغضبَ بعدَه مثله...**»[(٣)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الغضب: نقيض الرِّضا، وأصله: ثوران دَمِ القلب، إرادة الانتقام، ومنه محمود ومذموم، فالمذموم ما كان في غير الحَقِّ، والمحمود ما كانَ في جانب الدِّين والحَقِّ[(٤)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف رَبّنا نفسَه ورسولُه الأمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصفة الكمال العليَّة الجليلة

---

(١) البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٢) صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣٣٧٣)، و«صحيح الأدب المفرد» (٢٤٦)، و«صحيح ابن ماجه» (٣١٠٠).

(٣) البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٤) «عمدة الحفاظ» (٣/١٦٥)، و«اللسان» (٦/٦٣٢).

(الغضب)، قلنا صفة كَمال لأنَّ غضبَه تبارك وتَعالى «خِلاف غضب خلقِه، فإن غضبَ المخلوق هو غليان دَمِ قلبِه، طلبًا للانتقام، والله يتعالى عن ذلك»[١]، وغضب الرَّبِّ ليس له مثيل، ولا شبيه من الخلق أجمعين، لا في أسبابه، ولا في غاياته، ولا في موجِباته، وآثاره، قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عقيدته: «والله يغضب ويرْضَى لا كأحدٍ من الوَرَى»[٢].

فغضب المخلوق غالِبًا ما يكون عن سَفَهٍ، وجهل، وظلم، وطيش، وهذه المقتضيات واللوازم لا تلزم صفةَ الخالِق، إذْ لا مُناسبة بين صفات الخالق وصِفات المخلوق من كل وجهٍ، حتى تُقاس صفاتُه سبحانه على صِفاتهم، كما نثبت أنَّ ذات الباري تعالى تَليق به ولا تُشابه ذَوات خلقِه، وكذلك صِفاتهم.

«وغضبه تبارك وتَعالى وسخطه: فليس من صِفاته الذّاتيَّة التي يستحيل انفكاكه عنها، بحيث لم يزل، ولا يزال غضبان»[٣]، بل هو من صِفات أفعاله التي تتعلَّق بِمَشيئته، فيحدث غضبُه بعد أن لم يكن؛ أي: أنه سبحانه «يغضب على معين بعد أن لم يكن غاضِبًا عليه»[٤]، على حسب ما تقتضيه حكمتُه وإرادتُه، فتعلق غضبِه سبحانه بأسبابٍ تقتضيه.

وغضب رَبِّنا تبارك وتَعالى له شأن عظيم، وخطرٍ جسيم، حيث يترتَّب عليه العَذاب والهلاك، وإحلالُ أنواع العُقوبات، وصنوف المثلات في أي وقت شاء، للأمم المشركة بالله تعالى، المستكبرة عن عِبادته.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العذاب إنما ينشأ من صِفَةِ غضبِه، وما سُعِّرَت

---

(١) «شفاء العليل» (٢/٥٩٦).
(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» (٥٢٤).
(٣) «حادي الأرواح إلى بِلاد الأفراح» (٤٥٣).
(٤) «اللآلئ البهية» في «شرح العقيدة الواسطية» لآل الشيخ (١/٣٦٧).

النارُ إلا بغضبه...، فمخلوقاته سبحانه نوعان: نوع مخلوقٌ من الرَّحمة وبالرحمة، ونوع مخلوقٌ من الغضب وبالغضب، فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له الكَمالُ المطلق من جميع الوجوه، الذي يتنزَّهُ عن خلافه، ومنها: أنه يرضى ويغضبُ، ويُثيب ويُعاقبُ...، فإذا زالَ غضبُه سبحانه، وتبدَّلَ بِرِضاه: زالت عقوبتُه، وتبدَّلَت برحمته، فانقلبت العقوبةُ إلى رحمة».

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهم لَمّا أغضبُوا الرَّبَّ تعالى وقابلوه بِما لا يَليق أن يُقابل به، وعاملوه أقبح المُعامَلَة، وكذَّبوه، وكَذَّبوا رُسُلَه، وجعلوا أقلَّ خلقِه وأخبثهم وأمقتَهم نِدًّا له، وآلهةً معه،...: اشتدَّ مقتُه لهم، وغضبه عليهم، وذلك يُوجِبُ كمالَ أسمائه، وصِفاته، التي يَستحيل عليه تقدير خلافها، ويستحيل عليه تخلف آثارها، ومقتضاها عنها»[(١)].

وينبغي أن يفرق بين صفة الغضب القائمة بالرَّبّ، وبين أثر وموجِب الغضب، فإن «القرآن مملوءٌ بِذِكْر سخطه وغضبه على أعدائه، وذلك صفة قائمةٌ به، ويترتَّبُ عليها العذابُ واللعنةُ، لا أن السّخط هو نفس العَذاب واللعنة، بل هما أثر السّخط والغضب، وموجبهما، ولهذا يفرَّق بينهما، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، ففرَّق سبحانه بين عَذابه وغضبه ولعنته، وجعلَ كلَّ واحدٍ غيرَ الآخر»[(٢)].

فالانتقام والهَلاك والعذاب نتيجةُ الغضب، وأثرُه، ومقتضياته، وهذا باب عظيم ينبغي أن يعلمَه الموحدون في حَقِّ رَبِّ العالمين، فهو طريق الرّاسخين في العلم

(١) «حادي الأرواح» (٤٥٣ـ٤٥٤).
(٢) «مدارج السالكين» (١/٢٧٨).

بالله تعالى، السالكين طريق الأنبياء والمرسلين، في أعظم وأجلِّ أبواب الدِّين.

وقد تقدم بيانه: أنَّ صِفات الرَّبِّ تعالى الفعلية تتفاوت على قدر ما تقتضيه أسبابُها، ولهذا فإنها تحدث في وقتٍ دون وقت، وغضبه سبحانه كذلك، فإن أشد ما يكون في يوم الدِّين، ولهذا فإن «غضبه تعالى الذي سيكون في عرصات القيامة غير مسبوقٍ بمثلِه، وغير ملحوقٍ بمثلِه»[1]، كما تقدم (ذكر حديث الشفاعة الطويل)، وهو يخبر عما يقوله الأنبياء اعتذارًا للناس عندما يتقدمون إليهم لِطَلب الشَّفاعة منهم، بدئاً بآدم أبو البشر، ثم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام، كما أخبر بذلك سيد البشر عليه الصلاة والسلام أنَّ كلَّ واحد منهم يقول: «**إنَّ ربي قد غضبَ اليومَ غضبًا لم يغضبْ قبلَه مثلَه، ولن يغضبَ بعدَه مثلَه، اذهبوا إلى غيري**»[2] إلى آخر الحديث الطويل.

والحديث يدلُّ دلالة واضحة على أن إثبات صِفة الغضب من دِين الرُّسُل جميعًا، لأن الشرائعَ كلها متفقة في الأصول، بَيْد أنَّ الله جعل لكلِّ واحدٍ منهم شِرْعةً ومنهاجًا»[3].

(١١) صفة الكمال (الأسف) الجليلة

صفة فعليَّة سمعيَّة، ثبتت بالكتاب الحكيم.

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الأسف: يطلق على المُبالغة في الحزن، والغضب معًا، وقد يقال لكلِّ واحدٍ

(١) «اللآلئ البهية» (١/٣٦٩).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) «الصفات الإلهية» (٢٩٩).

منهما على الانفراد[1].

فمن الأول: وهو شدة الحزن، قوله تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤].

والثاني: شدة الغضب، كما في الآية السابقة، فيُقال: أسف عليه يأسف، بمعنى: غضب عليه، والمعنى الأول ممتنعٌ بالنسبة لله عَزَّوَجَلَّ، والثاني مثبت لله تعالى، لأنَّ الله وصف به نفسَه[2].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الأسف من صفات الله تعالى الفِعليَّة، وهو من جنس الغضب، وينبغي هنا أن يعلم: أنَّ الصفة قد يكون لها أصل، وبعض الصِّفات تكون متنوعة اللفظ، ولكنها مشتركة في الأصل، فالغضب منه الأسف (وهو أشدّه)، وقد يكون منه أشياء أخرى، وكذلك صفة البغض، ومنه: المقت، الذي هو أشد البغض، إذ البغض جنس منه الكراهية، ومنه المقت... إلى آخره، فإثبات أصل الصفة لا يعني أنَّ الصفات الأُخَر مردّها إلى هذا الأصل، يعني لا نقول: المقت هو البغض، أو الكراهية، لأنَّ كلَّ صفةٍ من صفات الله تعالى العُلا تثبت على ما دَلَّ عليه النَّصُّ، لكن لها أصل، ولها جنس، فالمقت من جنس البُغض، ولذلك فسَّروه بأنه أشدّ البغض؛ أي: ليس هو البغض فقط، بل البغض الشَّديد، والبغض له مراتب متعددة.

وخلاصة الأمر:

أنَّ هذه الصفات وإن كانت عند التفسير يقرب بعضُها من بعضٍ، لكن

(١) «المفردات» (٧٥).

(٢) «لسان العرب» (١٥٠/١)، «شرح الواسطية» لابن عثيمين (٤٩٩/١)، و«شرح الواسطية» للهراس (٤٨١/١).

لا يُقال: إن معنى صفة أثبتها الله تعالى لِنَفْسِه هو معنى صفةٍ أخرى بالتَّرادُف المطلق[1]، ودلَّ قوله سبحانه ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أن الانتقامَ نتيجة الغضب[2].

(١٢) صفة الكمال (السُّخط) الجليلة

صفة فعليَّة سمعيَّة، ثابتة بالكتاب والسُّنَّة النبوية.

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

(١) قال ﷻ: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ١٦٢].

(٢) وقال سبحانه: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك وسعديك... فيقول: ألا أعطيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: وأي شيءٍ أفضلُ من ذلك؟** (أي من النعيم الذي هم فيه) **فيقول: أحِلُّ عليكم رِضْواني، فلا أسخط عليكم بعدَه أبدًا**»[3].

(٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيدِه، ما من رجلٍ يدعو امرأته إلى فِراشِها فتأبى عليه، إلا كانَ الذي في السَّماء ساخِطًا**

---

(١) «اللآلئ البهية» (١/٣٨١).

(٢) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٤٩٩).

(٣) البخاري (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩).

عليها حتى يَرضى عنها»[(١)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

السخط: نقيض الرِّضا، وهو الكراهية للشيء، وعدم الرضا بعد، يقال: تسخط، وسخط الشيء سخطًا إذا كرهه[(٢)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

السخط قريبٌ من معنى الغَضَب، فهو من الأفعال الاختياريَّة، ومعنى الاختيارية أنها تقع باختياره ومَشيئته، فتكون في وقتٍ دون وقتٍ، وفي حالٍ دون حالٍ، على مقتضى حكمتِه.

وهذا النوع من الصفات أي: السخط، والفرح، والضحك، والعجب، والغضب... من الصفات الفعليَّة اللازمة، يعني: أنها غير متعدية، لم يفعلها في غيره؛ أي: لم تتعدَّى فيهم، فالفرح لم يفعله تعالى في غيره، وكذلك العجب لم يفعله في غيره[(٣)]، وكل صفات الأفعال اللازمَة والمتعدية متعلقة بأسباب، «وما كان له سبب فإنه يوجد بالسبب، ويعدم بعدمِه»[(٤)].

وعلى هذا فإن سخط رَبِّنا الجَليل يقع منه عند وجود مقتضيه من الأسباب، سواء كانت هذه الأسباب قولية، أو أسباب فعليَّة، فمن الأول: كما جاء في قول النبي ﷺ: «**لا تقولوا لِلْمُنافِق: سيد، فإنه إنْ يك سيدًا، فقد أسخطتم رَبَّكم عَزَّوَجَلَّ**»[(٥)].

والفعلية: كما تقدمَ في الحديث الثاني عن نُشوز الزوجة في حَقِّ زوجها.

---

(١) مسلم (١٤٣٦).

(٢) «كتاب العين» (٢/٢٢٦)، و«النهاية» (٤٢٢).

(٣) انظر: «اللآلئ البهية» في «شرح الواسطية» للشيخ صالح آل الشيخ (٢/٣٩).

(٤) «تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (٢/١٩٢).

(٥) «صحيح أبي داود» (٤٩٧٧).

صفات الكمال (الكره، والبغض، والمقت، والعتب) الجليلة

تمهيد:

هذه الصفات الفعلية معانيها مُتَقاربة، لكنَّها تختلف أحيانًا بالنوع لا بالحقيقة، فتخلف في أنواعِها شدة، وخفة، في هذا المعنى العام[(١)].

وقد تقدَّم بيان أن بعضَ الصفات يرجعُ معناها إلى جنسِ الصِّفات الأخرى، إلا أنَّها ليس فيها ترادُف محض، بل لكلِّ صفةٍ خاصية غير الصفة الأخرى، وإن كان اشتقاقهما واحدًا.

وهذا ينطبِق كذلك على أسمائه الحسنى فـ (القادر، والقدير، والمقتدر) و(الرحمن، والرحيم) و(الملك، والمالك، والمليك) كلها من جنسٍ واحد، إلّا أن كلَّ واحد منها له معنًى ومزية غير الآخر.

وهذا يدلُّ على كَمال رَبّنا ﷻ، إذ إنه تعالى ما مِن وصف كمال إلّا اتصف به سبحانه، على الوجه الأقصى «وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه، وأوسعه، بحيث لا يكون وراءه كمال أصلاً»[(٢)] الذي لا تستطيع كلُّ الخلائق من أوَّلهم إلى آخرهم أنْ يُحيطوا بصفة واحدة منها، فما ظَنُّكَ بها كلّها؟!

* * *

(١) «المُحاضرات السنية» (١/٢٢٤).

(٢) «شرح النونية» للهراس (٢/٦٨).

(١٣) صفة الكمال (الكره) الجليلة

صفة فعليَّة خبرية، ثبتَتْ في الكتاب، وسنة خير العباد ﷺ

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال ﷺ: «إنَّ الله حرَّمَ عليكم عُقوقَ الأمَّهات، ومنعًا وهات، ووأد البَنات، وكره لكم: قيلَ وقال، وكثرة السُّؤال، وإضاعةَ المالِ»[(١)].

(٢) وقال ﷺ في تفسير «من أحبَّ لقاءَ الله»: «وإن الكافرَ إذا بُشِّرَ بِعَذاب الله وسَخطه، كره لِقاء الله، وكرِهَ اللهُ لِقاءَه»[(٢)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصف رَبّنا جَلَّ جَلَالُهُ بأنه يكره، «وكراهة اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للشيء تكون للعمل كما في الآية ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦]، وكما في قوله سبحانه: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا﴾ [الإسراء: ٣٨]، وتكون كراهتُه سبحانه أيضًا للعامل، كما في الحديث: «إنَّ الله تعالى إذا أبغضَ عبدًا نادى جبريل: إنِّي أبغض فلانًا فأبغِضْه»[(٣)]»[(٤)].

وتكون كذلك في الوصف: كما قال رسول الله ﷺ: «... وإنَّ الكافر إذا

---

(١) البخاري (٢٤٠٨)، ومسلم (١٧١٥).

(٢) مسلم (٢٦٨٤).

(٣) البخاري (٣٢٠٩، ٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧).

(٤) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (٥٠١/١).

بُشِّرَ بعذابِ الله، وسخطه، كرِهَ لِقاءَ الله، وكرِهَ اللهُ لِقاءَه»[1].

وفيه بيان: أن الله تعالى يُعامل عبادَه بحسب مُعاملتهم له، عدلًا وقسطًا.

وكراهته تكون كذلك لِلمَكان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أحبُّ البِلاد إلى الله تعالى مَساجِدُها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقُها»[2].

(١٤) صفة الكمال (البُغض) الجليلة

صفة فعلية اختياريَّة خبرية، ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ بالأحاديث الصحيحة.

السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله إذا أحبَّ عبدًا...، وإذا أبغضَ عبدًا دعا جبريل فيقول: إنِّي أبغِضُ فلانًا فأبْغِضْهُ، فيُبغِضُه جبريل، ثم يُنادي في أهل السماء، ثم توضع له البَغْضاءُ في الأرضِ»[3].

(٢) وقال ﷺ: «أحبُّ البِلادِ إلى الله مساجدُها، وأبغضُ البِلاد إلى الله أسواقُها»[4].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

البُغض: خلاف الحب، ويقال: بغض الرجل؛ أي: صارَ بغيضًا[5].

---

(١) مسلم (٢٦٨٤).
(٢) مسلم (٦٧١).
(٣) مسلم (٢٦٣٧).
(٤) مسلم (٦٧١).
(٥) «الصحاح» (٩٩).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

البغض صفة كماليَّة لله سبحانه تعالى كَسائر صفاته الجليلة العليَّة، «وبغضُه سبحانه من الكمال الذي لا تُدركه الخلائق، وفوق الكمال، إذ كلّ الكَمال فمن كماله يستفاد، وله الثَّناء الحسن، الذي لا تُحصيه العباد، وإنما هو كما أثنى على نفسِه، (فإن) من الكَمال أنه يفعل ما يفعله بعد أن لم يكن فاعله، وأنه إذا كان كامِلًا في ذاتِه، وصِفاته، وأفعاله، لم يكن كاملًا بغيره، ولا مفتقرًا إلى سِواه، بل هو الغني، ونحن الفقراء»[1]، فهو سبحانه وتعالى يُبغض من يشاء، وكيف شاء، ومتى شاء، وهذا من كماله الذي لا مُنتهى له، فإن إثبات هذا الكمال يمكن إثباتُه، وإدراكه في العقل في غاية البَيان، وذلك أنه «إذا قدر اثنان: أحدهما يبغض المتصف بضد الكمال، كالجهل، والظُّلم، والكذب، ويغضب على من يفعل ذلك، والآخر لا فرق عنده بين الجاهل، والكاذب، الظالم، وبين العالم الصادق، العالم، لا يبغض لا هذا، ولا هذا، ولا يغضب لا على هذا، ولا على هذا، كان الأول أكمل، (وكذلك): الغضب مع الرِّضا، والبغض مع الحُبّ: فهو أكمل مِمَّن لا يكون منه إلّا الرِّضا، والحب، دون البغض، والغضب للأمور المذمومة التي تستحق أن تُذَم، وتبغض، ولهذا كان اتصافه تعالى بأنه يُعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويعز ويُذِلّ، أكمل من اتصافه بمجرَّد العَطاء، والإعزاز، والرفع، لأن الفعل الآخر حيث تقتضي الحكمة ذلك، أكمل مِمّا لا يفعل إلا أحد النوعَيْن، ويخل بالآخر في المحلِّ المناسب له، ومن اعتبر هذا الباب، وجده على قانون الصَّواب، والله الهادي لأولي الألباب»[2].

* * *

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/٣٦١).

(٢) المصدر السابق (٦/٩٢، ٩٤).

(١٥) صفة الكمال (المقت) الجليلة

صفة فعليَّة خبرية، ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ بالكتاب والسنة.

الكِتَابُ الحَكِيمُ

قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [غافر: ١٠].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

عن عياض بن حمار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «... **وإنَّ الله نظرَ إلى أهلِ الأرض، فمقتهم، عربهم وعجمَهم، إلّا بَقايا من أهل الكتاب**...»[(١)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

المقت: البغض الشديد[(٢)]، قال الزَّجّاج: المقت: أشد البغض[(٣)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

البغضُ من صِفات الله تبارك وتعالى الاختيارية، «والتي كلها متعلقة وصادرة عن هذه الصفات الثلاثة: القدرة الكاملة، والمشيئة النافذة، والحكمة الشاملة التامَّة»[(٤)].

والمقت من جنس البغض، فهو أشد البغض؛ أي: ليس هو البغض فقط، بل هو أشده، لأنَّ البغضَ جنس، منه الكراهية، ومنه المقت...، فإثبات أصل

---

(١) مسلم (٢٨٦٥).

(٢) «المفردات» (٧٧٢).

(٣) «معاني القرآن» (٢/٣٢).

(٤) «توضيح الكافية الشافية» (١٣١).

الصفة لا يعني أن الصفات الأخر مردُّها إلى هذا الأصل، يعني: لا نقول: المقت هو البغض أو الكراهية، لأنَّ كل صفةٍ من صفاته عَزَّوَجَلَّ تثبت على ما دلَّ عليه النص، لكن لها أصل، ولها جنس[(١)]. ـ وقد تقدَّم ذكر ذلك ـ.

وقد أعدت هذا الشرح لأهميته، لأن هذا الباب من أدَقِّ الأبواب على الإطلاق، لِتعلقه بِرَبِّ الأرض والسماء، ولِهذا كان السلف رَضِحَالِلَّهُعَنْهُمْ في كل زمانٍ ومَكان حريصين على إثبات هذه المعاني الجَليلة على وفق مفهوم الكِتاب والسنة.

ومَقتُ الله عَزَّوَجَلَّ كَباقي صفاته الفعلية، والتي تتجدد حسب مشيئته الحكيمة، «فالله تعالى يمقتُ الفعل، ويمقت صاحبَه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠]، وذلك أنَّ الكافرين إذا حقت الحَقائق يعودون على أنفسهم بالمقت، لأنَّهم قد تمكنوا من الإيمان، وكثرت آيات الله أمامَهم، وأصبحوا يكفرون على عمد، فيقال لهم: ﴿لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾، والسبب أنكم قد دُعيتُم إلى الإيمان فكفرتُم، وهذه الآية يقول العلماء: إنَّها تدلُّ على وجوب الوفاء بالوعد، لأن الله تعالى يمقت على إخلافِه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ ـ ٣]، فهذا الوعد، وكون الإنسان يعد الشيء ثم لا يفي به، فإنه يجبُ عليه أن يفيَ، كي لا يقع في مقت الله جل وعلا»[(٢)].

فدلَّت الآيات السابقة على أن «مقت الله تبارك وتعالى يتفاوت»[(٣)] لقوله:

---

(١) «اللآلئ البهية» (١/٣٨١).

(٢) «السبائك الذهبية بشرح العقيدة الواسطية» للعلامة عبد الله بن الغنيمان حفظه الله (١٤٥).

(٣) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (١/٥٠٢).

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾، وأنه يكون بالفعل: كعدم مطابقة القول بالعمل، ويكون بالعامل، وبالوصف المُصاحب للشخص كالكفر، والعِياذ بالله تعالى.

(١٦) صفة الكمال (العتب) الجليلة

صفة فعلية سمعية، انفردت السنة الصحيحة بها، وأهل السنة والجماعة الطائفة المنصورة، لا يُفرقون في إثبات صفات رَبِّهم عَزَّوَجَلَّ سواء جاءت في الكتاب، أو في سنة خير العباد، فكلاهما يخرجان من مشكاة واحدة.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قامَ موسى خَطيبًا في بني إسرائيلَ، فسُئِلَ: أي النّاس أعلم؟ فقال: أنا أعلمُ، فعتبَ الله عليه إذْ لم يَرُدّ العلمَ إليه...**»[(١)].

(٢) قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو يقصُّ ما جرى بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزوجاتِه: فاعتزل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجلِ ذلك الحديث حين أفشَتْهُ حفصةُ إلى عائشة، وكان قد قال: «**ما أنا بِداخِلٍ عليهنَّ شهرًا، من شدة موجدته عليهنَّ حينَ عاتَبَهُ الله...**»[(٢)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

العتب: الموجِدَة، عتبت على فلانٍ عتبًا ومعتبة؛ أي: وجدتُ عليه، والعِتاب: مخاطبة الإدْلال، ومذاكرة الموجدة. وأعتبني فلان إذا عاد إلى مسرَّتي، واستعتب: طلب أن يَرضى، والعتب: أدنى الغضب، وبالجملة يُطلق على: الموجِدة، والسخط، والغضب، واللَّوْم[(٣)].

---

(١) البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠).

(٢) البخاري (٢٤٦٨).

(٣) «كتاب العين» (٣/٩٠)، «الصحاح» (٦٦٧)، و«القاموس المحيط» (٨٣٥)، «المجموع المغيث» (٢/٤٠٠).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

العتب صفة كماليَّة من صفات رَبِّنا سبحانه الفعلية، وهذه الصفة ثابتة في حق أحبابه وأصفيائه، أي: في مقابلتهم، فإنها تتضمَّن الرحمة واللطف، يقول ابن القيم رحمه الله: «عِتابه لأحبابِه ألطفُ عِتاب، وإنه مع ذلك مقيل عَثَراتهم، وغافر زَلّاتهم، ومُقيم أعذارِهم، ومُصلح فسادهم، والدافع عنهم، والحامي عنهم، والناصر لهم، والكفيل بِمَصالحهم، والمنجي لهم من كُلِّ كربٍ، والموفي لهم بوعدِه، وإنه وليّهم الذي لا ولي لهم سِواه، فهو مولاهم الحق، ونصيرُهم على عدوِّهم، فنعم المولى ونعم النصير»[(١)].

والعتب وهو من الله تعالى، فإنه المحسن العادل، فلا يتصور عليه عبده، وإلّا والعبد ظالم، فإعْتاب الله تعالى عبده: إزالة عتب نفسه عن عبده[(٢)].

(١٧) صفة الكمال (الغَيْرة) الجليلة

صفة فعلية سمعيَّة، ثبتت بالسُّنَّة الشريفة.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله تعالى يَغار، وغيرةُ الله تعالى أن يأتيَ المرءُ ما حرَّمَ الله عليه»**[(٣)].

(٢) وقال ﷺ: **«لا شيء أغيرُ من الله»**[(٤)].

---

(١) «الفوائد» (٣٧).

(٢) «بدائع الفوائد» (٤/١٥٢).

(٣) البخاري (٥٢٢٩)، ومسلم (٢٧٦١).

(٤) البخاري (٥٢٢٢).

(٣) وقال ﷺ: «أتعجَبون من غَيْرَة سعد؟! فوالله لأنا أغير منه، والله أغيرُ مِنِّي، من أجل غيرةِ الله حرَّم الفَواحشَ ما ظهر منها وما بطن، ولا أشخص أغير من الله...»[١].

(٤) وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «يا أمَّة محمَّد، ما أحد أغيرُ من الله أن يزنيَ عبدُه، أو تزنيَ أمتُه...»[٢].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الغيرة: تدلُّ على صلاح، وإصلاح، ومنفعة، ومنه: غارهم الله بالغَيْث؛ أي: أصلحَ شأنَهم، ونفعهم به. وتطلق الغيرة على: الحميَّة والأنَفَة، إذ إن أصلها: المنع، والرجل غيور على أهله؛ أي: يمنعهم من التعلق بأجنبي بنظر، أو حديث، أو غيره[٣].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الغيرة من صِفات الله تعالى الفعلية، لأنها مربوطةٌ بسبَب، وكل صفة مربوطة بسبب فإنها من الصفات الفعلية، لأنَّ السببَ واقع بمشيئة الله تعالى، والمترتب عليه واقع على ما وقع بالمَشيئة، وهي صفة حقيقية لله عَزَّوَجَلَّ، وهي بإضافَتِها إلى الله تعالى لا يمكن أن يعتريَها نقصٌ، وأما إذا أُضيفت للآدمي فقد يعتريها نقصٌ[٤].

وغيرته تعالى لا يعلم كنهها وكيفيتها إلا هو سبحانه، كسائر صفاته، لكن نعلم أصلَ المعنى الذي خوطِبْنا به.

---

(١) البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩).

(٢) البخاري (١٠٤٤) (٥٢٢١).

(٣) «النهاية» (٦٨٥)، و«اللسان» (١٠٣٦/٢)، و«معجم مقاييس اللغة» (٤٠٣/٤).

(٤) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (١٨٧/٥).

وقد تقدَّمَ ذِكْر الأدلة السنية والتي جاءت في وصف غيرةِ رَبِّنا العظيم، وكلها جاء فيها «وصف النبي ﷺ رَبَّه بالأكمليَّة في ذلك، فنفى وجود من هو أغير من الله تعالى»[(١)]، كما في الحديث: «**يا أمة محمد، ما أحدٌ أغيرُ من الله، أن يزنيَ عبده أو تزني أمتُه**...» فلم يصفه ﷺ بمطلق الغيرة، بل بيَّن أنه لا أحد أغيرُ منه، وإن رسول الله ﷺ أغيرُ من المؤمنين، وقد قدَّمْنا غير مرَّة أن الله سبحانه لا يُساوي في شيء من صِفاته، وأسمائه، بل ما كان من صِفات الكَمال فهو أكمل فيه، وما كان من سَلْب النَّقائص فهو أنزَهُ منه، إذ له المَثَل الأعلى سبحانه وتعالى، فوصفه بأنه أغير من العباد، وأنه لا أغير منه[(٢)].

ولقد جاءَ في تحقيق هذه الصفة على لِسان نبيه الأمين ﷺ في أحسن البَيان من أساليب التعليم في تحقيق صِفات رَبِّ العالمين، كما في حديث سعد، حيث قدَّمَ ﷺ كلامَه في صيغة الاستفهام «**أتعجبون من غيرةِ سعد؟**» ثم تدرجَ في بَيان تفاضلها بينه وبينَ سعد بالقسم، وصيغة التفضيل «**فوالله لأنا أغيرُ**»، ثم أصّل المعنى في هذا الوصف على وجه المفاضلة المطلَقة في حَقِّه تعالى «**والله أغيرُ مني**»، وهذا أسلوب الحكيم أن يضربَ الأمثالَ في الأمور المشاهدة على الأمور الغيبية، وإن معاني الأسماء والصفات وإن اشتركت بين العبد وبين الرَّبِّ، فإنَّ هذا لا يدلُّ على التَّساوي، فإذا كان التفاضل متفاوتًا بين الخلق، فمن باب أولى أن يكون على وجه الأقصى الأكمل المطلق في حَقِّ الرَّبِّ جل جلاله.

«وغيرة الله تعالى تتضمَّن البغض، والكراهةَ لِما يَغار منه»[(٣)]، وإن من مقتضاها وآثارها أنه تعالى حرَّمَ الفواحشَ[(٤)]، ولهذا جمعَ النبي ﷺ في الحديث

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/١١٩).
(٢) «بيان تلبيس الجهمية» (٧/٤١٠).
(٣) «الصواعق المرسلة» (٤/١٤٩٧).
(٤) «شرح كتاب التوحيد» للغنيمان (١/٣٤٠).

الآتي «بين وصفِه سبحانه بأكمل المحبَّة للمَدائح، وأكمل البُغْض للمَحارم»[(١)] كما قال ﷺ: «**ما أحدٌ أغيرُ من الله تعالى... وما أحدٌ أحبُّ إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرينَ ومُنْذِرِين**»[(٢)]، فالغيرة أصلُها كراهة القبائح وبغضها. وبَيَّنَ محبةَ العُذْر الذي يوجب كَمالَ العدل والرَّحمة والإحسان، والله سبحانه مع شدَّة غيرته يُحبُّ أن يعتذرَ إليه عبدُه، ويقبل عذرَ من اعتذرَ إليه، وأنه لا يُؤاخذ عبدَه بارتكاب ما يغار من ارتكابه، حتى يعذر إليهم، ولأجل ذلك أرسلَ رسلَه، وأنزل كتبَه، إعذارًا وإنْذارًا، وهذا غاية المجد، والإحسان، ونهاية الكمال[(٣)].

والنصوص الدالَّة على ثُبوت صفة الغيرة لِرَبِّنا ﷻ تدلُّ على أن غيرته تعالى نوعان: إما خاصَّة، وإما عامَّة، فالخاصَّة: وهي أن يأتيَ المؤمنُ ما حرم عليه. والعامة: وهي غيرته من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وهذه الغيرة أخص من مطلق البُغض، والمقت، والسخط[(٤)].

فالله تبارك وتعالى يَغار على إمائه وعبيده من المفسدين شرعًا وقدرًا، ومن أجلِ ذلك: حرم الفواحشَ، وشرع عليها أعظمَ العُقوبات، وأشنع القتلات، لِشِدَّة غيرته على إمائه وعبيده، فإن عطلت هذه العقوبات شرعًا أجراها سبحانه قدرًا[(٥)]، وهذا يدلُّك رعاك الله على كَمال غيرتِه، فهي أشدُّ من خلقه وأعظم، وهي كاملة في أسبابها، ونتائجها، وآثارها، ولوازمها، فهي مقارنة لحكمته، متضمنة لغاية الرأفة، وسنن الهدى والخير للعباد، بخلاف المخلوق فإن غيرته

---

(١) «الاستقامة» (٣/٢) لابن تيمية.

(٢) البخاري (٧٤١٦)، ومسلم (١٤٩٩) (٢٧٦٠).

(٣) «الداء والدواء» لابن القيم (١٠٨).

(٤) انظر: «الاستقامة» (٩/٢، ١١، ١٣).

(٥) «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» لابن القيم (٣١٠).

قد تودي به إلى البغي والطغيان، فسبحان ربنا العظيم ما أكمله: يغار علينا، وهو غنيٌّ عنا، فأي كماله يسمو إلى كماله سبحانه؟.

(١٨ـ١٩) صفتا الكمال (الإتيان) و(المجيء) الجليلتين

صفتان فعليتان سمعيتان، ثابتتان في الكتاب والسنة.

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

(١) قال تبارك وتعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

(٢) وقال عزَّ شأنُه: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

(٣) وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا﴾ [الفجر: ٢٢].

السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عَزَّوَجَلَّ: أنا عندَ ظَنِّ عبدي بي، وأنا معه حين يَذْكُرني...، وإن تقرَّبَ إليَّ ذِراعًا تقرَّبْتُ إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيتُه هروَلَةً**»[(١)].

وفي رواية: «... **وإذا تلقاني بِباعٍ جئته أتيتُه بأسرع**»[(٢)].

(٢) حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث رؤية المؤمنين رَبّهم في الآخرة: «... **فيأتيهم الجَبَّارُ في صورةٍ غير صورَتِه التي رآه**

(١) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) مسلم (٢٦٧٥).

فيها أولَ مَرَّةٍ، فيقول: أنا رَبُّكم...»[(١)].

وفي لفظ: «أتاهم رَبُّ العالمين ﷻ»[(٢)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الإتيان: مجيء بِسُهولة، ومنه قيل لِلسَّيْل المارّ على وجهه: أتِيٌّ وأتاوِيٌّ، والإتيان يقال لِلمَجيء بالذَّات، وبالأمر، وبالتدبير، ويقال في الخير والشَّرِّ، وفي الأعيان والأعراض[(٣)].

ويُسند الإتيان لِلباري تعالى، كما أسنِدَ إليه المجيءُ على معنًى يليقُ بجَلاله، ويُعبّر بالإتيان عن الهَلاك، قال تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ [الحشر: ٢][(٤)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصف رَبّنا تبارك وتَعالى بصفتي الإتيان والمَجيء الفعليتان، على الحَقيقة كما يَليق بِكَمال رَبِّنا وجَلاله، وقد «تَلَقَّاها علماءُ السَّلَف بالقبول، ونقلوها من بعدهم كما فهموها، ودرج على الإيمان بها من بعدهم وإقرارها، وإمْرارها كما جاءت وكما تَلَقَّوْها، وهم خير القرون، بل هم الناس الذين يسألون عن فهمهم للنُّصوص كيف فَهِموها، وكيف عملوا بها، لِيقتدى بهم، ولا سيما باب «الأسماء والصفات»، فالخير والهُدى والاطمئنان في اتِّباعهم، والتأَسِّي بهم»[(٥)].

---

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٢) مسلم (١٨٣).

(٣) «المفردات» (٦٠).

(٤) «عمدة الحفاظ» (١/٥٤ ـ ٥٥).

(٥) «الصفات الإلهية» (٢٥٧ ـ ٢٥٨).

وقد تقدمَ ذِكْر الأدلة على هاتين الصِفتين، فالآية الأولى يُخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنه «يأتي يومَ القِيامة لِفَصْل القَضاء بين الأولين والآخرين، فيجزي كلَّ عاملٍ بعمَلِه، إنْ خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ﴾»[(١)].

وقوله سبحانه: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: يأتيهم الله نفسه، لأن كلَّ فعلٍ أضافَه الله تعالى إليه فهو نفسه، ولا يُعدَل عن الظّاهر إلّا بِدَليل، وقوله: ﴿فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾: (في) معناها (مع)، يعني: يأتي مُصاحبًا لهذه الظّلل، وإنما أخرجْناها عن الأصل الذي هو الظَّرْفية، لأنا لو سلمنا على أنها للظرْفِيَّة لكانت هذه الظلل محيطةً بالله عَزَّوَجَلَّ، والله أعظم وأجلُّ من أن يُحيطَ به شيء من مخلوقاته، و(الغَمام): هو السَّحاب الأبيض الرَّقيق، لكنه ليس كسَحاب الدُّنيا، والاسم هو الاسم ولكن الحقيقة غير الحقيقة، وهذا الغَمام يأتي مقدمة بين يدي مَجيء الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥]، تتشقق السماء بالغمام هو مقدمة ذلك النزول لِلفَصْل بين عبادِه، (في ظلل) نكرة، تدلُّ على أنها ظلل عظيمة وكثيرة، وهذا يدلُّ على عظمَة الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا تحذير من هذا اليوم الذي يأتي على هذا الوجه، فهو مشهدٌ عظيم من مَشاهد يوم القِيامة، يحذر الله به المكذِّبين»[(٢)].

والآية الثانية في الأنعام (١٥٨) في قوله: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

يقول شيخ المفسرين في وشرحها بَيانِها على منهَج أهل السنة والجَماعة: «يقول جلَّ ثَناؤه: هل ينتظر هؤلاء العادِلون بِرَبِّهم الأوثان والأصنام ﴿إِلَّآ أَن

(١) «تفسير ابن كثير» (١/٢٤٨).

(٢) «تفسير سورة البقرة» (٣/١٢ ـ ١٦)، و«شرح العقيدة الواسطية» (١/٥١٣ ـ ٥١٤) لابن عثيمين، بتصرف يسير.

﴿تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ بالموت فتقبِض أرواحَهم، أو أن يأتيهم ربُّك يا محمد، بين خلقه في موقف القِيامة...»[1].

وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٢ ـ ٢٣] فيها إثبات صِفة المَجيء لله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾، بعد أن تدك الأرض وتسوّى، وتأتي الملائكة كلُّهم كما دَلَّ قوله ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ فـ(أل) هنا للعموم، يعني: وكل مَلَك ينزل في الأرض، ويكون مَجيءُ الملائكة قبل مَجيء الله تَبارك وتعالى لِلفَصْل بين العالمين[2]، بِميزان الحَقِّ، والعدل المُبين، «يأتي بنفسِه جلَّ وعلا على ما وصف إلى الفَصْل والحكم بين عِبادِه وهم في الأرض، ولا يتولَّى الحكم والفصل غيرُه، وهو سريعُ الحِساب تعالى وتَقدَّسَ»[3].

وقد نَبَّه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن: الإتيانَ والمَجيء من الله تعالى نوعان: مطلق، ومقيَّد، فإذا كان مجيء رحمته، أو عذابه، كان مقيَّدًا، كما في الحديث «**حتى إذا جاء الله بالرَّحمة والخير**»، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الأعراف: ٥٢]، وقوله: ﴿بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ [المؤمنون: ٧١]، وفي الأثر: (لا يأتي بالحَسنات إلا الله).

النوع الثاني: المَجيء والإتيان المُطْلَق، كقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾، وهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه، هذا إذا كان مُطْلَقًا، فكيف إذا قُيِّد بما يجعله صَريحًا في مجيئه بنفسِه، كقوله: ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ﴾ فعطفَ مَجيئَه على مَجيء الملائكة، ثم عطف مجيء آياتِه على مجيئه.

(١) «تفسير الطبري» (٣٨٧/٣).
(٢) انظر: «شرح الواسطية» لابن عثيمين (٥١٦/١)، و«اللآلئ البهية» (٣٩٦/١).
(٣) «السبائك الذهبية بشرح الواسطية» للغنيمان (١٤٩).

ومن المَجيء المُقيَّد قوله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]، فلمّا قيَّدَه بالمفعول وهو البُنْيان، وبالمجرور وهو القواعد: دَلَّ ذلك على مَجيء ما بينه، إذ من المعلوم أنَّ الله سبحانه إذا جاءَ بنفسِه لا يَجيء من أساس الحِيطان وأسفلها، وهذا يُشبه قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ [الحشر: ٢]، فهذا مَجيءٌ مقيَّد لقومٍ مخصوصين، قد أوقع بهم بأسه[(١)].

(٢٠) صفة الكمال (العدل) الجَليلة

صفة فعليَّة، سمعية، فطرية عقلية، ثابتة لله تبارك وتَعالى في الأحاديث الصَّحيحة، وهذه الصفة الكريمة قد أقرَّ بها جميعُ المخلوقات إنسها وجِنّها، مؤمنها وكافِرها، فالخلق جميعًا مفطورون على الإيمان بها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد اتَّفقَ أهلُ الأرضِ والسموات على أنَّ الله تعالى (عدلٌ) لا يظلم أحدًا، حتى أعداءه المشركين الجاحدين لِصفات كَماله، فإنَّهم مُقِرون له بالعَدْل، ومنزِّهون له عن الظُّلْم، حتى إنَّهم ليدخلون النار وهم معترفون بعَدْلِه، كما قال تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ﴾ [الملك: ١١]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠]»[(٢)].

السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ

ثبتت هذه الصفة الكريمة في الصحيحين من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في قوله ﷺ للذي قال: والله إنَّ هذه قسمةٌ ما عدل فيها، فقال النبي ﷺ: «فمَنْ

(١) «مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٤٢٧)، وانظر: (٢/٣٣٩).
(٢) «مختصر الصواعق المرسلة» (١/٢٢١).

يعدِل إذا لم يعدِل الله ورسولُه»[1].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

العدل: ضد الجَوْر، وهو ما قامَ في النُّفوس أنه مستقيم، والعدل: هو الذي لا يميل به الهَوى، فيجور في الحكم، والعدل: الحكم بالاستواء؛ أي: بالحَقِّ[2].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الله تبارك وتَعالى هو العَدْل، الذي لا أعدل منه على الإطلاق، «الذي كُلُّ أفعاله، وأحكامه سَداد، وصَواب، وحقٌّ، وهو سبحانه قد أوضح السّبل، وأرسل الرُّسل، وأنزل الكتب، وأزاح العلل، ومكن من أسباب الهِداية، والطاعة، بالأسماع، والأبصار، والعقول، وهذا عَدْلُه»[3].

فهو تعالى الحكم العدل الذي تمتْ كلماتُه صدقًا في الأخبار، وعدْلًا في الأوامر والنَّواهي، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥]، فأوامره كلُّها عدل، لأنَّها منافع ومَصالح، فهي عدل ممزوجة بالرَّحمة، ونواهيه كلُّها عدل، لكونِه لا ينهى إلا عن الشُّرور والأضرار، وهي أيضًا مقرونة برحمته وحكمتِه، ومُجازاته لِلعِباد بأعمالهم عدل، لا يهضم من حَسَناتهم، ولا يَزيد في سَيِّئاتهم، أو يعذبهم بغير جُرم اجترحوه، فعدلُه سبحانه شامل للخليقة كلِّها، حتى من قضي عليهم العَذاب يعترفون له بالعدل، وأنه لم يظلمهم مِثْقال ذَرَّة، قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

---

(١) البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

(٢) «اللسان» (٥/٢٨٣٨)، و«النهاية» (٥٩٦)، و«القاموس المحيط» (٨٤٧).

(٣) الفوائد (٣٣).

بل إنَّ عدلَه شمل الحيوانات والبهائم، فإنه يقتص لِلشاة الجَمّاء من الشاة القَرْناء[1]، كما قال ﷺ: «**يُحْشَرُ الخلائقُ كلُّهم يوم القِيامة، والبهائم والدّواب والطير وكل شيء، فيبلغ من عَدْلِ الله تعالى أن يأخذَ للجَمّاء من القَرْناء**»[2]، بل حتى النملة من النَّمْلة، قال ﷺ: «**يقتص الخلقُ بعضُهم من بعضٍ، حتى الجَمّاء من القَرْناء، وحتى الذَّرَّة من الذَّرَّة**»[3].

(٢١) صفة الكمال (الغَلَبَةُ) الجَليلة

صفة فعلية خبرية، عقليَّة، ثابِتة لِرَبِّنا ﷻ في الكتاب والسنة، وهذه الصفة الكريمَة عزيزة وحبيبة في نُفوس وقُلوب المؤمنين، تعلو بها نفوسُ المُجاهدين، والدّاعين إلى الله تبارك وتَعالى، وتأنس بها قلوب المستضعفين.

الكِتَابُ الْحَكِيمُ

(١) قال ﷻ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلَة: ٢١].

(٢) وقال جلا جلالُه: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ كان يَقول: «لا إلٰه إلا الله وحده، أعزَّ جُنْدَه، ونصرَ عبدَه، وغلبَ الأحزابَ وحدَه، فلا شيء بعدَه»[4].

(١) «فتح الرحيم الملك» (٣٢)، وتوضيح الكافية (١٢٧).
(٢) «السلسلة الصحيحة» (١٩٦٦).
(٣) المصدر السابق (٤/٦١٢).
(٤) البخاري (٤١١٤).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الغَلَبَة: القهر؛ أي: القوي القادر، يقال: تغلَّب على بلَد كذا: استولى عليه قهرًا[1].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الله تبارك وتَعالى هو الغالب الذي لا يُغْلَب «بل هو الغالب البالغ مراده من خلقِه، أحبُّوا أو كرهوا، وهذه إشارة أيضًا إلى كَمال القُدرة، والحكمة، (والعِزَّة، والمنعة)، وأنه تعالى لا يُقهَر ولا يُخدع ولا يُغْلَب»[2] بحالٍ من الأحوال، فهو تعالى «من يتمسَّك به فهو الغالِب، ولو أن كلَّ مَنْ في الأرض له طالب»[3] وهذا الوعد منه تَعالى «وحكم كتب في كتابه الأول، وقدره (قبل خلق الخلائق) الذي لا يخالف، ولا يبدّل، ولا يُمانع، قال سبحانه: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [المجادِلَة: ٢١]؛ أي: كتب القوي العزيزُ أنه الغالِب لأعدائه، وهذا قدر محكم، وأمر مُبْرَم، أن النصرةَ له، ولِكتابه، ورسله، وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة»[4].

(٢٢) صفة الكمال (استطابة الرَّوائح) الجَليلة

صفة فعليَّة خبرية، ثبتت في السُّنّة المُطَهَّرة على صاحبِها خير الصلاة والتسليم.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «**ولَخَلُوفُ فَمِ الصّائمِ أطيبُ عندَ اللهِ من رِيحِ المِسْكِ**»[5].

(١) «عمدة الحفاظ» (٣/١٦٨)، و«الصحاح» (٧٨٠).
(٢) «المنهاج» (١/١٩٨)، و«الأسنى» (٣١٨).
(٣) «الأسنى» (٣١٨).
(٤) «تفسير ابن كثير» (٤/٤٣٢).
(٥) البخاري (٥٥٨٣)، ومسلم (١١٥١).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الطِّيب: ضدّ الخَبيث، فعله طاب يَطيب طيبًا فما أطيبه، يعني: ما أجمله، وما أزْكاه، وما أنفسَه. ويأتي بمعنى: الطاهر، والطيب من كلِّ شيء أفضله، والطيب يكونُ في المَحسوسات وغيرها، فالطِّيب من المَحسوسات هو ما لَذّ، وزكا من خِيار المَطْعومات والمَلْبوسات، وفي غير المحسوسات: كالطيب من القول، والكلمات، أو الباقِيات الصالحات[(١)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصف رَبّنا جَلَّ جَلَالُهُ أنه يستطيب ما يَشاء من الرَّوائح، وأخبر ﷺ أنَّ ريحَ فَمِ الصائم عند الله سبحانه أطيب ما يكون من الطِّيب، وهذا يدلُّ على كَمال صِفاته، وأنها لا تشبه، ولا تُماثل، ولا تقارب صِفات أحدٍ من خَلقِه، فإنه من المعلوم أن أيَّ أحدٍ من الخلق لا يستطيب رائحة الفم، خاصة عند خُلُوِّ المعدة، والتي تظهر جليّةً عند الصوم، ولكن لِكَمال الله تبارك وتَعالى من جميع الوُجوه، يستطيب هذه الرائحة بأطيب ما علمه الخلق من الطِّيب.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من المعلوم أن أطيبَ ما عند الناس من الرائحة رائحة المِسك، فمثَّل النبي ﷺ هذا الخلوف عند الله تعالى بِطيب رائحة المسك عندنا، وأعظم، ونسبة استطابة ذلك إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كنِسْبة سائر صِفاته، وأفعاله إليه، فإنها استطابةٌ لا تماثل استطابة المخلوقين، كما أنَّ رِضاه وغضبة وفرحه وكراهيته وحُبّه وبغضه لا تماثل ما لِلمَخلوق من ذلك، كما أن ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا تُشبه ذَوات خلقه، وصفاته لا تُشبه صِفاتهم وأفعالهم، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يستطيبُ الكَلِمَ الطيبَ فيصعد إليه، والعمل الصالح فيرفعه، وليست هذه الاستطابة كاستطابتنا[(٢)].

---

(١) «معجم مقاييس اللغة» (٣/٤٣٥)، و«لسان العرب» (١/٥٦٣)، و«كتاب العين» (٧/٤٦١).

(٢) «الوابل الصيب» (١/٥٢).

(٢٣) صفة الكمال (الصَّبْر) الجَليلة

صفة سمعية، ثبتت عن الصادق المصدوق ﷺ.

السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «**لا أحد أصبر على أذًى يسمعُه من الله** عَزَّوَجَلَّ، **إنه يُشرَكُ به، ويُجعَلُ له الولدُ، ثم هو يُعافيهم، ويَرْزُقُهم**».

وفي رواية: «**ما أحدٌ أصبر على أذًى يسمعه من الله تعالى، إنَّهم يجعلون له نِدًّا، ويجعلون له وَلَدًا، وهو مع ذلك يَرزُقُهم، ويُعافيهم، ويُعْطيهم**»[(١)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الصبر: الحَبْس، وهو نقيض الجزع[(٢)]، والصبر أعالي الشيء[(٣)].

الأذى: هو ما خفّ أمره، وضعف أثرُه من الشر والمكروه، بخلاف الضّرر، فقد أخبر سبحانه أن العِبادَ لا يضرُّونه، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٧٦][(٤)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الله تبارك وتعالى هو الصبور الذي لا أصبر منه على الإطلاق، كما وصف بذلك أعرف الخلق به ﷺ، وجاء وصفُه بأكمل وأفضل وأعلى صيغ الثَّناء عليه: «**لا أحد أصبر**» «**ما أحد أصبر**» «**ليس أحد أصبر**» بصيغة التفضل من

(١) البخاري (٧٣٧٨)، ومسلم واللفظ له (٢٨٠٤).
(٢) «القاموس المحيط» (٧٢٥).
(٣) «اللسان» (٥/٢٦٧).
(٤) من كلام شيخ الإسلام بواسطة «شرح كتاب التوحيد» للغنيمان (١/٧٣).

الصَّبْر»[(١)]، وكذلك النكرة في سِياق النفي، والتي تفيد العموم كما هو معلوم، فصبر رَبِّنا تعالى أكمل صبر، وأجمله، وأحسنه، لأنه عن كَمال القُوَّة، والاقتدار، وعن كَمال الغِنى عن كل الورى، مع إنعامِه عليهم بالليل والنَّهار، وفي السِّرِّ والجهار، مع الفُجار أو الكفّار، فضلاً على الأبرار، فإنَّ العِباد يتبغضون إليه بالمَعاصي، ويُبارزونه بالذُّنوب العِظام، وهم مُضطرُّون إليه في كل الأحوال، فيتحبَّب إليهم بالآلاء والنِّعَم، ويصرف عنهم الآفات والنِّقَم، كأنَّهم لم يعصوه في أي ساعةٍ ولا آن، يَتمادَوْنَ في الطغيان، والله تعالى لا يَزيده ذلك إلّا صبرًا، وحلمًا، وكرمًا بالأنام[(٢)].

ومن كمال صبر رَبِّنا الذي ليس له فيه شبيه، ولا عديل، أن الكُفّار والمُعاندين يَسبونَه بأشدّ السّباب، ويجعلون معه الشُّرَكاء والأنداد، «فلا يُزعجه ذلك كله إلى تَعجيل العِقاب، بل يصبر على عبده ويمهله، ويستصلحه، ويرفق به، ويحلم عنه، إذا لم يبق فيه موضع للضيعة، ولا يصلح على الإمهال، والرِّفْق، والحلم، من باب البَلاء والنِّقم، أخذه أخذ عزيزٍ مقتدر، بعد غاية الإعذار إليه، وبذل النَّصيحة إليه، ودُعائه مع كل باب»[(٣)].

فأيُّ صبرٍ أكمل من هذا، بل أي صبر يقرب من هذا الصبر، وهو العزيز الجَبّار المتكبِّر، ألا يزيدُك هذا يا عبد الله حُبًّا وشوقًا، وإخباتًا إلى ربك العظيم الصبُور سبحانه؟!

❋ ❋ ❋

(١) «فتح الباري» (١٣/٤٤١).

(٢) «توضيح الكافية» (١٢١)، و«"الحق الواضح"» (٥٧)، و«فتح الرحيم» (٤٣) بتصرف.

(٣) «عدة الصابرين» (٢٨٢).

(٢٤) صفة الكمال (الحَثْو) الجَليلة

صفة فعلية سمعيَّة، ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ بالسنة الصحيحة.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «وعدَني رَبِّي أن يدخلَ الجَنَّة من أمَّتي سبعين ألفًا، لا حِسابَ عليهم، ولا عَذاب، مع كلِّ ألفٍ سبعون ألفًا، وثلاث حَثَيات من حَثيات رَبِّي»[(١)].

وفي لفظ: «وزادَني ثلاثَ حَثَيات»[(٢)].

(٢) عن عتبة بن عبدٍ السُّلمي رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ رَبِّي وعدَني أن يدخل الجنةَ من أمتي سبعين ألفًا بغير حِساب، ثم يتبع كل ألف سبعين ألفًا، ثم يحثي بِكَفِّه ثلاثَ حَثَيات» فكبر عمر...[(٣)].

(٣) وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ ربي وعدَني أن يدخلَ الجنةَ من أمَّتي سبعين ألفًا بغير حِساب، ويشفع لِكُلِّ سبعين ألفًا، ثم يحثي ربِّي ثلاثَ حَثَيات بِكَفَّيْه». (فحسب ذلك عند رسول الله ﷺ فبلغ أربع مائة ألف وتسع مائة ألف)، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ ذلك يستوعبُ إنْ شاء الله مُهاجري أمتي، ويوفينا الله بشيءٍ من أعرابِنا»[(٤)].

---

(١) صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٤٣٧)، و«السنة» لابن أبي عاصم (٥٨٩).

(٢) صححه الألباني في «السنة» لابن أبي عاصم (٥٨٨).

(٣) رواه الدارمي في «رده على بشر المريسي» (١/٢٧٧، ٢٨٠)، وقال الحافظ ابن حجر: سنده جيد، الفتح (١١/٤١٨)، وصححه الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (٢٢٣٤).

(٤) رواه الدارمي في «رده على بشر المريسي» (١/٢٨٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٣٥)، وصححه محقق كتاب «السنة» لابن أبي عاصم أ.د. باسم الجبوري (١/٥٥٥).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

قوله ﷺ: «**وثلاث حثيات**» بفتح الحاء والمثلثة جمع حثية، **والحثية والحثو** يستعمل فيما يعطيه الإنسان بِكَفَّيه دفعة واحدة من غير وزنٍ ولا تقدير(١).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

صفة الحثو من الأوصاف الكمالية، لأنها تقومُ به سبحانه، ولا يقوم به إلا «الأطيب، والأحسن، والأجمل، والأفضل»(٢) من وصف كمالٍ على الإطلاق، قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠].

وقوله ﷺ: «**وثلاث حَثَيات من حَثَيات ربي**»؛ أي: ثلاث غرف يغرفها سبحانه بكَفَّيه الكريمتين، والله تعالى أعلم بكيفية الحثو، لكن نؤمنُ بذلك ونُصدِّقه، هذا هو الواجب على المؤمن، لأن رَبَّنا لم يأمرنا بالبحث عن الكيفيَّة، لأنه تعالى أعظم وأجلُّ أن يُحاطَ به، قال رب العالمين: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

(٢٥ ـ ٢٦) صفتا الكمال (الإرادة) و(المشيئة) الجليلتان

صفتان فعليتان خبريتان، فطريتان، ثابتتان بالكتاب والسنة، فإرادته سبحانه نافذة في جميع المخلوقات، ومشيئته شاملة لجميع البريات، في الأرض والسموات، في كل الأوقات، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

الكِتَابُ الحَكِيمُ

(١) قال عز شأنُه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٦/٣١١).
(٢) «تفسير الطبري» (٤/٥٣٠).

(٢) وقال سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]

(٣) وقال جل جلاله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

(٤) وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ

(١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**وكَّل اللهُ بالرَّحِم مَلَكًا، فيقول: أي رب نطفة...، فإذا أرادَ الله أن يقضي خلقها قال...**»(١).

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**احتجَّت النار والجنة...، فقال الله عَزَّوَجَلَّ لهذه ـ أي النار ـ: أنتِ عذابي أعذِّبُ بكِ مَنْ أشاء، وقال لهذه ـ أي: الجنة ـ: أنتِ رحمتي أرحمُ بكِ مَنْ أشاءُ، ولكلِّ واحدةٍ منكما مِلْؤُها**»(٢).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

من أصول أهل السنة والجماعة إثباتُ مشيئة الرَّبِّ العامَّة، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون، كما أنَّ من أصولهم الثابتة إثباتُ صِفة الإرادة، وهي قسمان:

إرادة كونيَّة قدريَّة: كالمشيئة، وهذه الإرادة لا يخرج عن مُرادِها شيء، كالمشيئة، فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواء، فالظلمات والمَعاصي والأرزاق كلُّها بِمَشيئة الرَّبّ، وإرادته الكونية.

---

(١) البخاري (٣١٨، ٦٥٩٥)، ومسلم (٢٦٤٦).

(٢) مسلم (٢٨٤٦).

وقد ذكر سبحانه هذه الإرادة في قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

القسم الثاني من الإرادة: **الإرادة الشرعية الدينية**، وتتضمَّن محبةَ الرَّبّ للمُراد، ورِضاه به، وهذه الإرادة لا يلزم وجود مُرادها، بل قد يوجد، وقد لا يوجد، فالله سبحانه قد أراد من عبادِه شرعًا أن يعبدوه ويُطيعوه، فمنهم مَنْ عبده وأطاعَه، ومنهم من لم يفعل ذلك.

وبهذا يعلم أن الإرادتَيْن تجتمعان في حقِّ المُطيع، وتنفرد الإرادة الكونية في حق العاصي، لأنَّ الله تعالى لم يُرد منه المعصية شرعًا، بل قد نَهاه عنها، وقد ذكر الله هذه الإرادة بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥](١).

الفرق بين الإرادتَيْن:

(١) الإرادة الكونيَّة قد يُحبُّها الله تعالى ويَرضاها، وقد لا يُحبها ولا يَرْضاها، والإرادة الشرعية لا بُدَّ أن يحبَّها ويرضاها، فالله تعالى أراد المعصية كونًا، فقد أذن لبعض المعاصي أن توجد في الأرض، لكنه لا يرضاها شرعًا.

(٢) الإرادة الكونية مقصودة لغيرها، كخلق إبليس وسائر الشُّرور، لتحصل بسبب ذلك المُجاهدة والتوبة والاستغفار، وغير ذلك من المحاب، والإرادة الشرعية مقصودة لِذاتِها، فالله أراد الطاعةَ كونًا وشرعًا، وأحبَّها ورضيَها.

(٣) الإرادة الكونيَّة لا بُدَّ من وقوعِها، والإرادة الشرعية لا يلزم وقوعُها،

(١) «شرح العقيدة الواسطية» لِعلامة الزمان الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/٣٧٦ ـ ٣٧٧).

فقد تقع، وقد لا تقع[(١)].

وينبغي أن «نؤمن بأنَّ مُراده الكوني والشرعي تابعٌ لِحِكمته، فكلُّ ما قَضاه كونًا، أو تعبد به خلقه شرعًا فإنه لِحِكمة، وعلى وفق الحكمة، سواء علمنا منها ما نعلم، أو تَقاصرت عقولُنا عن ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، فوصف الله نفسَه بالعِلْم، والحكمة، فدلَّ ذلك على أن الله تعالى لا يَشاء شيئًا إلا مبنيًّا على علمٍ، وحكمةٍ»[(٢)].

(٢٧) صفة الكمال (الرُّشْدُ) الجليلة

صفة فعلية خبرية ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ، تقوم بِمَشيئته وإرادته وقدرته، ثبتت عن المصطفى ﷺ في سُنَّتِه.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «**الإمام ضامِنٌ، والمؤذن مؤتَمَنٌ، اللَّهُمَّ أَرْشِدِ الأئمة، واغفر للمؤذِّنين**»[(٣)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الرشد: الرشاد، والرشد: نقيض الغي والضلال، فالرشد: الهداية، والغي: الضَّلال، يقال: رشد الرجلُ فهو راشد، إذا أصاب وجه الأمر والطريق، وأرشده الله: هداهُ[(٤)].

(١) «شرح الواسطية» للعلامة الفوزان (١/٤٠٩).
(٢) «شرح عقيدة أهل السنة» للعلامة ابن عثيمين (١١٧ ـ ١١٨، ١٩٦ ـ ١٩٧).
(٣) صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٠٧).
(٤) «عمدة الحفاظ» (٢/٩٣)، و«النهاية» (٣٥٩).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الله تبارك وتعالى هو الموصوف بالرُّشْدِ، الذي لا أكمل، ولا أرفع منه في هذا الوصف على الإطلاق، «فهو سبحانه قوله رشد، وفعله كله رشد»[1]، الذي أسعد من شاء بإرشاده، وأشقى من شاء بإبعاده، وهو الذي لا يوجد سهو في تدبيره، ولا لهو في تقديره[2]، وهو سبحانه الذي تنساق تدبيراته إلى غاياتها، على سنن السداد، من غير إشارة مشير، ولا تسديد مسدد، وإشارة مرشد[3] من أحدٍ من العَبيد، وهو الذي أرشد الخلق كلَّهم إلى مَصالِحهم وما فيه منافعهم، فيما يحتاجونه بما يُقيم حَياتَهم، وأرشد أولياءه خاصة إلى الجنة، وهو مرشد الحائرين في الطريق الحسي، والضالين في الطريق المعنوي، فيهديهم إلى الصراط المستقيم بيانًا وتعليمًا وتوفيقًا، فيما يشرعه لِعِباده من الشَّرائع، التي هي رشد وهدًى، ونور وحكمة، ويرشد عبدَه المؤمن إذا خضع له وأخلص عملَه، أرشده إلى جميع مصالحه[4]، ولهذا سأل الفتية المؤمنة أصحابُ الكهف منه الرَّشاد ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠] «لأنه تعالى هو المُرشد الدالّ على المَصالح، والداعي لها، (كما في الآية السابقة)، فإن مهيئ الرشد مرشد، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، فكان ذلك دليلًا على أنَّ مَن هداه فهو وليه ومرشدُه»[5].

* * *

(١) «الحق الواضح» (٧٨).

(٢) «شرح الأسماء» للرازي (٣٣٨).

(٣) «النهاية» (٣٥٩).

(٤) توضيح الكافية (١٢٧)، و«فتح الرحيم» (٥٠ ـ ٥١)، و««الحق الواضح»» (٧٨ ـ ٧٩).

(٥) «المنهاج» للحليمي (١/٢٠٧).

(٢٨) صفة الكمال (الطيّ) الجَليلة

صفة فعلية سمعية، ثابتة في كتاب رَبِّنا العظيم، وفي سنة نبينا محمد الأمين ﷺ، وهي من الصفات الفعلية المتعدية.

القُرآنُ الكَرِيم

(١) قال تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

(٢) وقال عز شأنُه: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «**يقبض الله تبارك وتَعالى الأرضَ يومَ القيامة، ويطوي السماءَ بيَمينه، ثم يقول: أنا المَلِك، أين ملوكُ الأرض؟**»[(١)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الطي: نقيض النشر وهو لفُّ الشيء بعضه على بعضٍ، كطيِّ الدرج، ويقال: طويت الصحيفة أطويها طيًّا، فالطي مصدر، وطويتها طية واحدة؛ أي: مرَّة واحدة، وإنه لحسنُ الطَّيَّة، لا يراد به المرة الواحدة، ولكن ضربٌ من الطيِّ، مثل: الجلسة، والمشية، يراد: نوعٌ منه[(٢)].

---

(١) البخاري (٧٣٨٢)، ومسلم (٢٧٨٧).

(٢) «عمدة الحفاظ» (٢/٤٢٨)، و«اللسان» (٥/٦٧٢)، و«كتاب العين» (٣/٦٨).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الطي صفة من صِفات رَبِّنا ﷻ الفعلية الاختيارية؛ أي: التي تقع باختياره، بمعنى: بِمَشيئته وإرادته، المقترنة بِحِكمته، والطي: هو ملاقاة الشيء بعضه على بعضٍ، وجمعه، وهو قريب من القبض، الذي هو: أخذ الشيء باليد، وجمعه (كما سيأتي عند صفة القبض).

وهذه الصفة الجليلة مما يجب الإيمان بها، لأنها داخلة في الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، وهي من الصفات المتعدية التي تتعدَّى آثارها، فحدوث ما يحدثه تعالى من المخلوقات تابع لِما يفعله من أفعالِه الاختيارية القائمة به تعالى[(١)].

وهذا الطي حقيقي للسَّماء، وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ الطيَّ للسموات لا القبض، لأن السماء أوسع من الأرض وأشد وأعظم، وطيُّها أبلغ في القدرة، وقد شبَّه الله تعالى هذا الطيَّ بقوله: ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[(٢)] يخبر الله تعالى أنه يوم القيامة يطوي السموات على عِظَمِها واتِّساعها، كما يطوي الكاتب السِّجل؛ أي: الورقة المكتوب فيها، فتنتثر نجومُها، وتكور شمسها وقمرها، وتزول عن أماكنها[(٣)]، فلا إله إلا الله، فهذه السموات العظيمة يطويها بيَمينه كطي السجل للكتب، ثم يقول: «**أنا المَلِك، أين مُلوكُ الأرض؟**» الله أكبر، أين ملوك الأرض، وهل أحدٌ منهم يرفع أصبعه؟ الجواب: لا، لأنه لا يوجَد ملِكٌ يوم القيامة، فالناس سواءٌ، أصغر الخدم وأقوى الملوك، فكلهم حُفاة، وكلهم عُراة، وكلهم غُرْل، فالمُلْكُ لله عَزَّوَجَلَّ[(٤)].

---

(١) انظر: «شرح كتاب التوحيد» للغنيمان (١/١٤٠) ببعض التصرف.

(٢) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٨/٩٣).

(٣) «تفسير السعدي» (٥٣١).

(٤) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٨/٩٣).

(٢٩) صفة الكمال (الحَنان) الجليلة

صفة فعلية سمعية، ثابتة بالكتاب وسنة خير العباد ﷺ.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: ١٢ ـ ١٣].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «**يوضَعُ الصِّراطُ ظهراني جهنَّم، عليه حَسَك**[١] **كحَسَك السعدان... ثم يشفع الأنبياء في كل من كان يشهدُ أن لا إله إلا الله مُخْلِصًا، فيُخرجونَهم منها، قال: ثم يتحنَّنُ اللهُ برحمتِه على مَنْ فيها**»[٢].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الحَنان: الرحمة والعطف، والفعل: التحنُّن، وحنانيك يا فلان افعل كذا، ولا تفعل كذا تذكره، تذكره بالرحمة والبِرّ. والحنان: البركة والرِّزق، وحنانيك؛ أي: تحنُّنًا بعد تحنن، ولما كان الحَنين متضمِّنًا للشفقَة، والإشفاق لا ينفك عن الرَّحمة، عبر عن الرحمة به، في نحو قوله تعالى: ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا﴾[٣].

وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر (الحنان) بالرحمة ﴿وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا﴾ يقول: ورحمة من عندنا[٤].

---

(١) (عليه حسك) بفتحتين، قيل: هو جمع حسكة، وهي شوكة صلبة. و(السعدان): نبت ذو شوك. «حاشية السندي على مسند أحمد» (١٤٣/١٧).

(٢) رواه أحمد في المسند (١١٠٨١)، وحسن إسنادَه شعيب الأرنؤوط (١٤٣/١٧).

(٣) انظر: «كتاب العين» (٣٦٧/١)، و«لسان العرب» (١٠٢٩/٢)، و«عمدة الحفاظ» (٤٦٠/١)، و«شأن الدعاء» (١٠٥).

(٤) «التفسير الصحيح» (٣٣٤/٣).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصف رَبّنا الجليل بصفة الحنان الكريمة، وهي من أفعاله الاختيارية التي تقع متى شاء سبحانه، وهي خاصة بأنبيائه وأصفيائه في حياتهم الدنيوية، وفي الأخروية، كما دلَّت على ذلك الأدلة السنية، وحنانُ رَبِّنا ليس كحَنان خلقِه، لا في ذاته ولا في أسبابِه، ولا في غاياته، ومتعلقاته، فجنس حَنانِه سبحانه خِلاف المخلوق من كلِّ وجهٍ، فالعبد يحِنُّ لِضعفه، ونقصِه، واحتياجِه، وهوانه، أما حَنان الرَّبّ فليس له مثيل، وذلك أنه يحنو وهو الغني، العزيز، المنيع، الذي لا ينتفع بحنانه من أحد من خلقه، ولا يتضرَّر بخِلافه، ومع ذلك فهو سبحانه الحَنّان الذي «يقبلُ على من أعرض عنه»[(١)] وهو الغني عنه من كلِّ وجهٍ.

ويتجلَّى حَنانُه سبحانه في يوم موعوده، حين يتحنَّن على من في النار من أهل الإسلام: «**فما يتركُ فيها عبدًا في قلبِه مثقال حَبَّة من إيمانٍ إلّا أخرجَه منها**» الحديث.

وأجلُّ ما يكون حنانه سبحانه عند دُخول أوليائه جناته «لأنَّ من حنَّ إلى غيره من الناس أكرمَه عند لِقائه، وكلف به عند قُدومِه»[(٢)]. ولله المثل الأعلى، فهو تعالى أولى بذلك من خلقه.

(٣٠) صفة الكمال (السُّرْعَة) الجَليلة

صفة فعلية اختيارية، سمعية، ثابتة بالقرآن وفي السنة الشريفة.

الكِتَابُ الحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٢، النور: ٣٩].

---

(١) «شرح حديث النزول» لابن تيمية (١٨٤).

(٢) «المنهاج» للحليمي (١/٢٠٧).

(٢) وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الأنعام: ٦٥].

(٣) وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢].

(٤) وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ [يونس: ٢١].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنتُ أغارُ من اللاتي وهبْنَ أنفسَهن لرسول الله ﷺ، وأقول: أتَهبُ المرأةُ نفسَها؟! فلما أنزلَ الله تعالى: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾، قلتُ: يا رسول الله! ما أرى ربك إلّا يُسارِعُ في هَواكَ)[(١)].

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله عز وجل قال: إذا تَلَقّاني عبدي بِشِبْرٍ تَلَقَّيْتُه بِذِراعٍ، وإذا تَلَقّاني بِذِراعٍ تَلَقَّيْتُه بِباعٍ، وإذا تَلَقّاني بباعٍ جِئْتُه أتيتُه بأسرع**»[(٢)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

السُّرعة: في الأصل ضدّ البُطْء، ويستعمل في الأجسام والأفعال، يقال: سرع فهو سريع، وأسرع فهو مسرع، وسرعان القوم: أوائِلهم، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

فمعنى سرعة حِسابِه تعالى أنه لا يشغله حساب زيدٍ عن حساب عمروٍ مثلًا، وإذ لا يشغله شأنٌ عن شأنٍ فهو أسرعُ الحاسبين، وقيل: هو عبارة عن وقوعه لا مَحالة[(٣)].

---

(١) البخاري (٤٧٨٨، ٥١٣)، ومسلم (١٤٦٤).

(٢) مسلم (٢٦٧٥).

(٣) «المفردات» (٤٠٧)، و«عمدة الحفاظ» (٢/١٩٢ ـ ١٩٣).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصف رَبّنا تبارك وتعالى بصفة الكمال (السُّرْعَة) الاختيارية، وجاءت هذه الصفةُ الفعلية في كتاب الله مُضافة إليه في سِياق الجَزاء والمُقابلة، إمّا للعُقوبة، وإما للمَثُوبة، وقد مَجَّد نفسَه تعالى بهذا الوصف في مواضع عديدة في كتابه، قال الزجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنى السريع في صِفات الله جلَّ وعلا أنه سريع الحِساب لِعِباده، وأن أفعاله تسرع، فلا يُبطئ منها شيء عما أراد، لأنه بغير مباشرة، ولا علاج، ولا كلفة، وإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له (كن فيكون)، فهذا معنى السَّريع على توجيه اللغة، والله أعلم وأحكم»[(١)].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنَّما وصف جلَّ ثناؤه نفسه بسرعة الحساب، لأنه جلَّ ذِكْرُه يُحصى ما يحصي من أعمال عباده بغير عقد أصابع، ولا فكر، ولا روية، فِعلَ العجزة الضعفة من الخَلْق، ولكنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يعزب عنه مثقال ذَرَّة فيهما، ثم هو مجازٍ عباده على كلِّ ذلك، فلذلك امتدحَ نفسَه جلَّ ذِكْرُه بسرعة الحساب، وأخبر خلقَه أنه ليس لهم بمثلٍ، فيحتاج في حسابه إلى عقدِ كَفٍّ، أو وعي صدر، ولا روية، ولا فكر»[(٢)]، فهو سبحانه وصف نفسه بسرعة حِسابِ الخلائق على كثرة عددهم، وأنه لا يشغله شأن عن شأن[(٣)]، فهو تعالى يُحاسب كلَّ الخلق في وقتٍ واحد، كما كان يرزقهم في الدنيا في وقتٍ واحد.

يقول العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السرعة عدم التباطؤ في الشيء، فالله

---

(١) «اشتقاق أسماء الله» (١٢٧).

(٢) «تفسير الطبري» (١/٥٥٤ ـ ٥٥٥)، وانظر: «تفسير البغوي» (١/٢٣٣).

(٣) «تفسير الشوكاني» (١٥٨).

تعالى سريع الحِساب، هذه جملة خبرية يُقصد بها التهديد، والسرعة قد تكون سرعة الزمن، بمعنى: أن حساب الله قريب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]، فإن الدنيا مهما طالت فهي سريعة الزَّوال، وأما السرعة في التقرير، أن سرعة محاسبة الله؛ أي: أن نفسَ حسابه سريع، والثاني أبلغ، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يحاسب الخلائق كلها في نصف يوم، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]، والقيلولة تكون في نصف نهار، حتى إن كل واحدٍ يقيل في منزلِه ومستقره، وهذه سرعة الحساب»(١).

وقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ ومعنى وصفه بالأسرعية أنه تعالى قضى بعِقابهم قبل تدبيرهم ومَكايدهم، و(أسرع) أفعل التفضيل(٢)، وقد دلَّ على أن مكرهم كان سريعًا، ولكن مكر الله تعالى أسرع منه(٣).

(٣١) صفة الكمال (الوِقَاية) الجَليلة

صفة سمعية فعلية نقلية، جاءت في الكتاب الحكيم وسنة النبي الأمين ﷺ

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾ [غافر: ٩].

(٢) وقال سبحانه: ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الطور: ١٨].

---

(١) انظر: «تفسير سورة البقرة» (٢/٤٣٦)، وآل عمران (١/١٢٧) (٢/٥٩٧).
(٢) البحر المحيط لابن حيان (٦/٣١).
(٣) «تفسير الشوكاني» (٧٢٧).

(٣) وقال عز شأنه: ﴿فَوَقَـٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥].

(٤) وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥٦].

(٥) وقال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ رَبَّنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»[(١)].

(٢) دعاء القنوت: «... وقِنِي شَرَّ ما قَضَيْتَ»[(٢)].

(٣) ومِن دُعائه ﷺ: «اللَّهُمَّ قِني شَرَّ نَفْسِي»[(٣)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الوقاية: حفظ الشيء مِمّا يُؤذيه ويَضره، ويقال: وَقاه الله؛ أي: صانَه، ووقيت الشيء؛ إذا صنته، وسترته عن الأذى[(٤)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف رَبّنا العظيم نفسه بالصِّفة الفعلية (الوِقَاية)، وهي من الصفات التي تتعلق بالمَخْلوقات، أي: يتعدَّى مفعولها إلى خلقه، وقد تقدم بيانه «أن

---

(١) البخاري (٦٣٨)، ومسلم (٢٩٠).
(٢) «صحيح أبي داود» (١٢٦٣).
(٣) «صحيح موارد الظمآن» (٢/٤٥٠).
(٤) «عمدة الحفاظ» (٤/٣٣٤)، و«لسان العرب» (٨/٤٩٠١).

الأفعالَ الاختيارية للباري نوعان: نوعٌ متعلق بذاته المقدَّسة كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء... ونوع متعلق بالمخلوقات كالخلق، والرِّزق، والعَطاء...، وأنواع التدابير الكونية، والشرعية»[(١)].

والله تبارك وتَعالى له الوقاية المُطْلَقة، وهي الوقاية العامَّة لكل الخليقة: فهو تعالى يقيهم في حياتهم الدُّنيوية، بما خلق لهم من الأسباب الكونية، التي تقيهم الشرور والمَضار والمَساوئ، والتي تعود عليهم بالمَسارّ والمَنافع. والوقاية الخاصَّة: وهي الوقاية الشرعيَّة التي اختصَّها سبحانه لأوليائه، في حياتهم المعيشية، والمَعادية، فهو سبحانه سخَّر لهم الأسباب الكونيَّة التي تصونهم عن الأذى، والرَّدى، من الورى، قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾، وسخر لهم الأسباب الشرعية من الهُدى على ألسنة أنبيائه ورسله مما يقيهم من ناره الكبرى، حتى يتبوأ كل وليّ منهم مقعده في جناته العلا ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الطور: ١٨].

(٣٢ ـ ٣٣) صفتا الكمال (الرَّفع) و(الخَفْض) الجليلتان

صفتان فعليتان سمعيتان، جاءتا في الكتاب والسنة.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة: ١١].

(٢) وقال عز شأنُه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا﴾ [الرعد: ٢].

(٣) وقال ﷻ: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

(١) «الكافية الشافية» (١٣١).

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «يَدُ الله مَلأى لا يَغيضُها[١] نفقة، سحَّاء[٢] الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يَغُضْ ما في يده، وكان عرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان، يخفض ويرفع»[٣].

(٢) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلماتٍ: «إنَّ الله لا ينامُ ولا ينبغي له أن ينامَ، يرفعُ القِسطَ ويخفِضُه، ويُرفَعُ إليه عملُ الليل قبل عملِ النَّهار...».

وفي لفظ: «ويخفضُ القسطَ ويرفعُه»[٤].

(٣) وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٩]، قال: «مِن شأنِه أن يغفرَ ذَنْبًا، ويُفرج كربًا، ويُجيب داعِيًا، ويرفع قومًا، ويخفِضُ آخرين».

وفي لفظ: «ويضعُ آخَرين»[٥].

(٤) وقال ﷺ: «إنَّ الله يرفَعُ بهذا الكِتابِ أقوامًا، ويَضَعُ آخَرين»[٦].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الرفع: خِلاف الوَضْع، تقول: رفعتُ الشيء رَفْعًا، وهو خلاف الخفض.

(١) لا يُنقصها.
(٢) كثيرة العطاء بلا انتهاء.
(٣) البخاري (٤٦٨٤) (٧٤١١)، ومسلم (١٧٩).
(٤) مسلم (١٧٩).
(٥) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٠١)، وصححه الألباني (ص١٣٠)، وفي «صحيح ابن ماجه» (٢٠٢).
(٦) صحيح مسلم (٨١٧).

والرفع تارة يكون في الأجسام الموضوعة إذا أعليتها من مقرِّها، كقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣]، وتارة في الذِّكر إذا نَوَّهته، وتارة في المنزلة إذا شرفتها، نحو قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الزخرف:٣٣][1]

والخفض والرفع يُستعملان عند العرب في المكان والمَكانة، والعِزّ والإهانة، وربما ترتَّب أحدهما على الآخر بزيادة الدَّرجات في المكان، بحسب الزيادة في المكان[2].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

هذان الوصفان الجَليلان ثبتَ أحدُهما وهو صفة (الرفع) في القرآن، وأما (الخفض) فقد تفرَّدَت السنة بإثباته مع (الرفع) في سِياق التَّقابل بينهما، ولهذا فإن الكمالَ يكون في كل واحدٍ منهما منفردًا، ويزداد ويعلو كمالًا عند اقترانِهما مع بعضِهما.

«وهذان (الوصفان)[3] يدلّان على الارتفاع والانحطاط، ويتضمَّنان الإقبالَ والإعراض، والقرب والإبعاد، والعِزّ والإذلال، والموالاة والمُعاداة، وغير ذلك[4]، والخفض والرفع يكونان في الدين، وهو من الإضلال والإرشاد، وأن كانا في الدُّنيا فهما للإعلاء والإسقاط[5]، فالله تبارك وتَعالى يرفع أولياءَه

(١) انظر: «معجم مقاييس اللغة» (٢/٤٢٣)، و«كتاب العين» (٢/١٣٧)، و«المفردات» (٣٦٠).

(٢) «الأسنى» (١/٣٦٤).

(٣) في المصدر اسمان، والصحيح ما أثبتُ لأن الحديثَ الذي جاء ذِكْرهما فيه ضعف بإجْماع أهل العلم، وإنما ذكرت الأسماء فيه من اجتهاد الراوي، وكذلك أنهما وردا بصيغة الفعل، لا بصيغة الاسم، ومن الشُّروط «الصحيحة» في إثبات الأسماء: أن يرد ذكره بصيغة الاسم، لا بصيغة الفعل، لأن أسماء الله تعالى توقيفية ولا تشتق من الأفعال.

(٤) «الأسنى» (١/٣٦٥) بتصرف يسير.

(٥) شرح أسماء الله الحسنى للبيضاوي (٢٢٥).

بالتَّقرب والإسعاد، ويخفض الكفار بالإشقاء والإبعاد، وكل ذلك حكمة منه وصَواب، وهو تعالى الذي يداول بين عباده، فيخفِض أقوامًا، ويذهب شأنهم وعزهم، ويرفع آخرين فيورثهم ملكهم ودِيارهم[(١)].

وهو الذي يرفع أولياءَه بالطاعة، فيعلي مراتبَهم، وينصرهم على أعدائه وأعدائهم في الدِّين، ويخفض ويُهين الجبّارين، ويُذل الفراعنة المتكبِّرين[(٢)].

وفي الحديث الأول في قوله ﷺ: «... **وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع**»: «يعني إحدى يديه لِلعَطاء، وهو فضل محض، والأخرى فيها العدل، و«يخفض ويرفع»: يخفض من اقتضت حكمتُه خفضَه، ويرفع من اقتضت حكمته رفعَه، كما في قوله تعالى: ﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [آل عمران: ١٢١].

وقوله: «القسط»؛ أي: العدل، يعني أنه تعالى يحكم بالعدل»[(٣)].

(٣٤) صفة الكمال (المَسْح) الجَليلة

صفة سمعية فعلية خبرية نقلية، ثبتت بالسنة الشريفة.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «لَمّا خلقَ اللهُ آدمَ ومسحَ على ظهره، فسقط من ظهرِه كلُّ نسمةٍ هو خالقُها من ذُرِّيَّته إلى يوم القيامة...»[(٤)].

---

(١) «شرح النونية» للهراس (٢/١١١).

(٢) انظر: «شأن الدعاء» (٥٨)، و«النهاية» (٢٧٤).

(٣) «شرح صحيح البخاري» (٨/٤٠٥)، و«شرح صحيح مسلم» (١/٣٨١) لابن عثيمين.

(٤) صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣٠٧٦)، وفي «السنة» لابن أبي عاصم (٢٠٥).

(٢) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمّا نزلت آيةُ الدَّيْن، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أوَّلَ من جحد آدم، إنَّ الله تعالى لَمّا خلقه، مسح ظهره، فأخرجَ منه ما هو ذارِئٌ إلى يوم القيامة، فعرضَهم عليه...**»[(١)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

المَسْحُ: إمرار اليَدِ على الشيء، وإزالة الأثر عنه[(٢)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

المَسْح من صِفات رَبِّنا الاختيارية المتعديَّة، أي: تتعدَّى آثارها إلى مخلوقاته، «وليعلم أن الصفات الفعلية كلها باعتبار الجنس صفات ذاتيَّة، لكن أنواعها وأفرادها هي التي تحدث وتتجدَّد (وفق حكمته)، أما أصلها وهو الفعل: صفة ذاتيَّة، والدليل: أن الله تعالى لم يزل ولا يزال فَعّالًا، لكن المتجدّد هو أنواع الفعل، أو آحاد الفعل»[(٣)].

والمَسْح الذي يوصَف به رَبُّنا الجَليل مسح حقيقي، لأن صِفات رَبِّنا كلها حقيقية تليقُ بِجَلاله، وكمالِه، وعظمته، إلا إننا لا نعرف كيفيةَ المسح، ولكن علينا الإيمان والتَّسليم والتصديق، هذا هو منهج أهل السنة والجماعة، المقتفى من مشكاة الكتاب والسنة، في كلِّ القُرون، لا يختلفون بهذه الحقيقة الإيمانِيَّة.

والمَسْح يكون إمرار اليد بالشيء الذي يمسح عليه، وهو يدلُّ على صفة اليد العظيمة، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وورد لفظُ اليد في القرآن والسنة وكلام

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢٢٧٠)، وصحح إسناده العلامة أحمد شاكر (٧١/٤)، وصححه الألباني في «السنة» لابن أبي عاصم (٢٠٤).

(٢) «المفردات» (٧٦٧).

(٣) «تفسير سورة النساء» لابن عثيمين (١٢٨/١) (٢٢١/٢).

الصحابة والتّابعين في أكثر من مئة موضعٍ ورودًا متنوِّعًا متصرفًا فيه، مقرونًا بما يدلُّ على أنها يد حقيقية، من الإمساك، والطي، والقبض، والمسك... وأنه مسح ظهر آدم بيده...»[(١)].

والمسح هو الفعل لأنه حادِث بعد أن لم يكن، أما اليد فصفة ذاتِيَّة لا تتعلق بالمَشيئة، ولا تكون في زمنٍ وحال دون أخرى، أما الفعل فهو متعلِّق بالمَشيئة، مربوط بالسبب، يوجَد حيث وجد السبب، وينتفي بانتفائه، كما تقدَّم بيانُه، والله تعالى أعلم.

(٣٥) صفة الكمال (الأَذَنُ) «بمعنى الاستماع» الجَليلة

صفة فعلية سمعية، ثبتَتْ بالسنة المطهَّرة.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «ما أذِنَ الله لِشَيْءٍ كَأَذَنِهِ لنبيٍّ يتغنَّى بالقرآن يَجْهَرُ به».

وفي لفظ: «ما أَذِنَ الله لشيءٍ، ما أَذِنَ لنبيٍّ حَسَن الصوت، يتغنَّى بالقرآن»[(٢)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الأذن: الاستماع، قال تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ٢]. والأذن والأذان: لِما يُسمع، وأذن لكذا: استمعَ له، وفي الحديث: «ما أذنَ الله لشيءٍ» يريد: ما استمعَ الله لشيءٍ كاستِماعه، والله تعالى لا يشغلُه سمع عن سمعٍ[(٣)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الأذن من أفعال الله تعالى الاختيارية، «والله تعالى يقومُ به من الأفعالِ ما

(١) «مختصر الصواعق المرسلة» (١٧١/٢).
(٢) البخاري (٥٠٢٣) (٧٤٨٢)، ومسلم (٧٩٢) واللفظ له.
(٣) «عمدة الحفاظ» (٨٠/١)، و«شرح السنة» للبغوي (٤٨٤/٤).

لا يُحصيه إلّا هو سبحانه، كما أنه يقوم به من الأقوال ما لا يُحصيه إلّا هو»[(١)].

وقولنا: (اختيارية)؛ أي: أنها تقع باختِيارِه، ومشيئته سبحانه، وهي نوعان: لازمة، ومتعديَّة، والأذن هو من الأفعالِ اللازمة، وصفة الأذن هي أخصُّ من صفة السَّمْع المشتقَّة من اسمه الجَليل (السَّميع) فهو تعالى وسع سمعه كلَّ الأصوات في الأرض والسموات في كلِّ اللحظات، وعلى هذا المعنى فهو من أوصافِه الذاتية العليَّة، أما الأذن فهو من الصِّفات الفعليَّة التي تقع بِمَشيئته، لأنه يتعلق بسبب، فهو يتجدد على حسب الاستماع للقراءة، والذي يكون في وقت دون وقت آخر، يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الحديث المتقدم: «... ومعناه: أن الله تعالى ما استمعَ لشيءٍ كاستِماعِه لِقِراءة نبيٍّ يجهر بِقِراءته، ويحسنُها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء أطيب الصَّوت، لِكمال خلقهم، وتمام الخَشْية، وهو الغاية في ذلك، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يسمعُ أصواتَ العِباد كلِّهم، بَرِّهم وفاجِرِهم، كما قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: (سبحان الذي وسعَ سمعه الأصوات)، ولكن استماعَه لِقراءة عبادِه المؤمنين أعظم...، ثم استماعُه لِقراءة أنبيائِه أبلغُ، كما دَلَّ عليه هذا الحديث العَظيم»[(٢)].

وهذا يدلُّ كما تقدَّم: أن صفاتِ الله تبارك وتعالى الفعلية، تتفاوتُ حسب الأسباب المتعلقة بها، فإنَّ الله تعالى يحبُّ كلَّ المؤمنين، لكن القويَّ منهم أحبّ إليه من الضَّعيف منهم، وكذلك استماعه لقراءة أنبيائه أعظم وأبلغ عنده سبحانه من استماع دونهم من أوليائه، والله تعالى أعلم.

* * *

(١) «تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (١/١١١).

(٢) «فضائل القرآن» (١١٤).

(٣٦) صفة الكمال (الدّفع) الجَليلة

صفة خبرية، ثابتة بالكتاب، وفي السنة المحمدية ﷺ.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

(١) قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨].

(٢) وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

(٣) وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّه أن يُمَدَّ اللهُ في عمره، ويُوسّع عليه في رِزْقه، ويُدْفَع عنه ميتةَ السّوء، فَلْيَتّقِ الله، ولِيَصِلْ رَحِمَهُ»[(١)].

(٢) وقال ﷺ: «لا أحدَ أصبر على أذًى يسمعه من الله عز جلَّ، إنه يُشْرَكُ به، ويُجْعَلُ له ولدٌ، وهو يُعافيهم، ويَدْفَعُ عنهم، ويَرْزُقُهم»[(٢)].

(٣) وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إذا كانَ يوم القِيامة، دفعَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إلى كلِّ مسلمٍ يَهودِيًّا أو نصرانِيًّا، فيقول: هذا فكاك من النّار»[(٣)].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٧٣٦٢)، وعبد الله بن أحمد في «الزوائد على المسند» (١/١٤٣)، وحسن إسنادَه د. محمد النجدي في تعليقه على «إبطال التأويلات» (٢/٤٢٩).

(٢) رواه أحمد في المسند (١٩٥٢٧) (١٩٦٣٣)، وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط (٣٢/٢٩٣، ٤٠٦).

(٣) مسلم (٢٧٦٧).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الدَّفع: الإزالة بقوة، وتدافعوا الشيء: دفعه كل واحد منهم عن صاحبِه.

واستدفعت الله الأسواء؛ أي: طلبت منه أن يدفعَها عني، ودفعت عنه كذا؛ أي: منعت[(١)].

والدفع إن عدي بإلى، فمعناه: الإنالة، كقوله تعالى: ﴿فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ﴾ [النساء: ٦].

وإن عُدِّيَ بعن، فمعناه: الحِماية، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ [الحج: ٣٨].

وقرئ: ﴿يدفع الله﴾، ﴿دفاع الله﴾ تنبيهًا على المُبالغة في الدفع عن خلقه، فأبرزه في صورة المُفاعَلة[(٢)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصَف رَبّنا العظيم بالصفة الفعلية الاختيارية الدفع، وهذه الصفة الكريمة عزيزة عند أوليائه، مقوية لعزائمهم، لِما تتضمنه من النُّصرة، والتمكين، والحِماية.

ودَفْعُ الله ﷻ نوعان: دفع عام، ودفع خاص، ومنه ما يكون قدريًّا، ومنه ما يكون شرعيًّا.

الدِّفاع العام: هو ما يدفعه سبحانه بحكمته عن من يشاء من خلقه بصرفِ الشَّر، والسوء، والهلكات، والرزايا، والبلايا، وهذا الدفع العام لِلبَرِّ والفاجِر، وللمؤمن والكافر، كما في الحديث المتقدم: «**لا أحد أصبر على أذًى يسمعُه من الله** عَزَّوَجَلَّ، **إنه يشرك به، ويجعل له ولدًا، وهو يُعافيهم، ويدفع**

(١) «اللسان» (٣/٣٧٦)، و«كتاب العين» (٢/٣٤).

(٢) «عمدة الحفاظ» (٢/١٨).

عنهم، ويرزقُهم»، فكم دفعَ الله تعالى هذه البلايا عن البرايا، دفعًا قدريًا، لا شرعيًا، بما لا يحصيه عدّ، ولا يحيطه أحد.

النوع الثاني: الدفع الخاص، وهو أشرف النوعين، وهو دفاعه جلَّ وعلا عن أهل الدِّيانات، ويكون شرعِيًّا، وقدريًّا، وهو نوعان كذلك:

الأول: الدِّفاع عن أهل الدِّيانات، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠]؛ «أي: لولا أنه تعالى يدفع بقومٍ عن قوم، ويكفُّ شرور أناسٍ عن غيرِهم، بما يخلقه من الأسباب، لفسدت الأرض، ولأهلك القوي الضعيف»[١]، وقد تكون هذه الأسباب قدرية، كونية، وتكون شرعية، وهي أعظم هذه الأسباب، وأسماها: الجهاد، ولولا «ما شرعه الله سبحانه للأنبياء، والأولياء، من قِتال الأعداء، لاستولى أهلُ الشرك، وعطَّلُوا ما بنته أربابُ الدّيانات من مواضع العِبادات»[٢]، ولِهذا منَّ الله تعالى عليهم، كما قال سبحانه في سورة البقرة: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، «حيث شرعَ لهم الجِهاد الذي فيه سَعادتهم، والمدافعة عنهم، ومكنَهم من الأرض بأسبابٍ يعلمونها، وأسباب لا يَعلمونها»[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾: «صوامع الرُّهْبان»[٤]، وهي: «المَعابد الصغار للرهبان»[٥]، وقيل: «صوامع الصابئين»[٦].

(١) «تفسر ابن كثير» (٣/٣١٢).

(٢) «تفسير القرطبي» (٦/٣٨٤).

(٣) «تفسير السعدي» (١٠٩).

(٤) صح عن مُجاهد. انظر: «التفسير الصحيح» (٣/٤١٩).

(٥) انظر: «تفسر ابن كثير» (٣/٣١٢).

(٦) صح عن قتادة. انظر: «التفسير الصحيح» (٣/٤١٩).

﴿وَبِيَعٌ﴾: وهي أوسع منها، وأكثر العابدين فيها، وهي: للنصارى أيضًا[(١)]. ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾: «كنائس اليهود»[(٢)]. ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾؛ أي: ولا للمسلمين مساجد. ﴿يُذۡكَرُ فِيهَا﴾؛ أي: في هذه المعابد. ﴿ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ تُقام فيه الصلوات، وتتلى فيها كتب الله[(٣)].

وهذه المواضِع التي اتخذت قبل تحريفهم، وتبديلهم، وقبل نسخ تلك المِلَل بالإسلام، وإنما ذكرت لهذا المعنى؛ أي: لولا هذا الدفع في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الصوامع، وبيع، وفي زمن محمد المساجد، لهدمت[(٤)].

ومن الأسباب القدرية التي قدرها الله تعالى في الدفاع عنهم: إهلاك أعدائهم، منهم بالغَرَق، والطوفان، والصيحة، والرِّيح، والخسف، والحصى، وغير ذلك مما لا يُحصى.

الثاني: دفع أخص الخاص: وهو دِفاع حِسِّيّ، ومعنوي، إضافة على ما تقدم قدري، وشرعي، وهو دِفاع الله تعالى عن أنبيائه، وأصفيائه في معاشهم، ودِينهم، وهو المقصود في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: فيه بِشارة وإخبار محقق من الله تبارك وتعالى في سِياق المبالغة في الدِّفاع عنهم، كما دلَّت القِراءات المتواترة، كقراءة: ﴿يدافع﴾ ﴿ولولا دفاع﴾ و﴿يدفع﴾ ﴿ولولا دفع﴾ ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ﴾[(٥)].

«ولم يذكر سبحانه ما يدفعه عنهم لِيكون أفخم، وأعظم، وأعم، فوعد سبحانه أنه يدفع عن المؤمنين السوء والشَّرّ، بِسبب إيمانهم به تعالى، من ذلك،

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/٣١٢).
(٢) صح عن قتادة. انظر: «التفسير الصحيح» (٣/٤١٩).
(٣) «تفسير السعدي» (٥٣٩)، وتفسير النسفي (٧٤١).
(٤) «تفسير القرطبي» (٦/٣٨٤).
(٥) انظر هذه القراءات وتوجيهها في: «التفسير المحيط» (٧/٥١٤)، و«تفسير الطبري» (٦/٣٨٢).

الأول: أعداؤهم من الكفار وغيرهم، فيردُّ كيدهم في نحرهم. الثاني: شر وسوسة الشيطان. الثالث: شرور أنفسهم، وسيئات أعمالِهِم»(١).

ومن دِفاعه سبحانه عن أوليائه أنه يكون بالقول، وبالفعل، بالقول: أنهم «إذا ذمّوا بالقول دافع الله عنهم بالقول، كما قال تعالى (عن المُنافقين): ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣]، والله عَزَّوَجَلَّ هو الذي جادل عن المؤمنين، فقال جل شأنه: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ يعني: هم السفهاء لا أنتم، فهذا من تحقيق دِفاع الله تبارك وتعالى عن المؤمنين.

أما دِفاعه عن المؤمنين، إذا اعتدي عليهم بالفعل، فاستمع إلى قوله تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ [الأنفال: ١٢]، فهذه مُدافعة فعلية، حيث تنزل جنودُ الله عَزَّوَجَلَّ من السماء لتقتل أعداءَ المؤمنين، فهذا تحقيق لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾»(٢).

ومن دِفاعه سبحانه القدري الفعلي لهم: ما هيَّأه تعالى من الأسباب الكونية في إهلاك أعدائهم، كما أرسل الريح للأحزاب، وإدخال الرُّعب في قلوب الأعداء، وإنزال السكينة على الأولياء، بنُزول المطر، والجند من السَّماء، وغيرها مِمّا نعلمه، ومِمّا لا يعلمه إلّا رَبّ الأرض والسماء.

❊ ❊ ❊

(١) انظر: «أضواء البيان» (٤٧٧/٥)، و«تفسير السعدي» (٥٣٩).

(٢) «تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (٥١/١).

(٣٧) صفة الكمال (الصَّلاة) «بمعنى الثناء»

صفة فعلية سمعية خبريَّة، ثابتة بالكتاب، وفي سنة خير العِباد ﷺ.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

(٢) وقال عز شأنُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «... مَنْ صَلَّى عليَّ صلاةً، صَلَّى الله عليه بها عشرًا»[١].

(٢) عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قومٌ بصدقتهم قال: «اللّهُمَّ صَلِّ على فلانٍ»، فأتاه أبي بِصدقته فقال: «اللّهُمَّ صَلِّ على آلِ أبي أوفى»[٢].

(٣) الصلاة الإبراهيمية التي جاءت بعدة صِيَغٍ، منها: «اللّهُمَّ صَلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صَلَّيْتَ على إبراهيمَ وآل إبراهيم...»[٣].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الصلاة: أصل الصلاة: الدُّعاء والتبريك، والتمجيد، يُقال: صليتُ عليه؛ أي: دعوتُ له، وزكيت، كما في الحديث: «إذا دُعِيَ أحدُكم إلى طعامٍ، فَلْيُجِبْ، وإن كانَ صائمًا فَلْيُصَلِّ»[٤]؛ أي: لِيَدْعُ لأهله.

---

(١) مسلم (٣٨٤).

(٢) البخاري (١٤٩٧)، ومسلم (١٠٧٨).

(٣) البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٥).

(٤) مسلم (١٤٣١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤](١).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصَف رَبّنا الجَليل الذي لا أجل، ولا أكمل منه بالصَّلاة، وهي صفة فعلية تقوم وتتعلَّق بِمَشيئته، وإرادته، وحكمته، كسائر الصفات الفعلية العليَّة.

ومعنى الصلاة من الله لِخَلقه: حُسن ثَنائه عليهم، وحُسن ذِكْره لهم(٢)؛ أي: إنَّ الله تعالى يُثني عليهم في الملأ الأعلى، رَفْعًا لِذِكرهم، وإعلاءً لِشأنهم.

وقيل: إن معنى الصلاة: المغفرة، والرحمة، وهذان القولان ضَعيفان، لأن الله تعالى غاير بين الصلاة، والرحمة، بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾ [البقرة: ١٥٧]، لأن الرحمةَ أعمّ من الصلاة، ولهذا عطفهما على (الصلوات) من باب عطف العام على الخاص، لأنَّ الثَّناء عليهم في الملأ الأعلى من الرحمة(٣).

وقد صحَّ في تفسير هذا المعنى الصحيح عن كبير التابعين أبي العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: «صلاةُ الله على رَسولِه، ثناؤه عليه عند الملأ الأعلى»(٤).

وصلاة الله تعالى على عبده نوعان: عامة، وخاصَّة.

الأول: صلاته العامَّة: فهي صلاته على عبادِه المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ومنه دُعاء النبي ﷺ لآحاد المؤمنين (كما تقدم في الأدلة).

النوع الثاني: صلاته **الخاصة** على أنبيائه، ورسله، خُصوصًا على خاتمِهم، وخيرهم محمد ﷺ(٥).

---

(١) «المفردات» (٤٩١).

(٢) «كتاب العين» (٤١٠/١)، و«القاموس المحيط» (٧٥١).

(٣) «تفسير سورة البقرة» (١٨٢/٢)، و«سورة الأحزاب» (٤٦٩/٧، ٥٤٥) لابن عثيمين.

(٤) رواه البخاري تعليقًا (٥٣٣/٨)، وحسنه الألباني في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (٩٥).

(٥) «جلاء الأفهام» (١٢١).

(٣٨) صفة الكَمال (الزَّكي) جل جلاله

صفة اختياريَّة سمعية، فطرية، جاءت في الكتاب والسنة.

القُرْآنُ الكَرِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩].

(٢) وقال عزَّ شأنُه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) دُعاء النبي ﷺ الذي فيه: «... **اللَّهُمَّ آتِ نفسي تقواها، وزَكِّها أنتَ خيرُ مَنْ زَكَّاها، أنت وليُّها ومولاها**...»[١].

(٢) وقال ﷺ: «... **إنْ كانَ أحدُكم مادِحًا لا مَحالة، فَلْيَقُلْ: أحسبُ فلانًا كذا، والله حَسيبُه، ولا أُزَكِّي على الله أحدًا**».

وفي لفظ: «**والله حسيبُه، ولا يزكى على الله أحد**»[٢].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الزَّكاة: النَّماء، ومنه زَكا المالُ يزكو، ويقال: زَكا الزَّرْعُ يزكو: إذا حصل منه نمو.

وقيل: أصل الزَّكاة: الطَّهارة، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾؛

---

(١) مسلم (٢٧٢٢).

(٢) البخاري (٢٦٦٢ـ٦٠٦١)، ومسلم (٣٠٠٠).

أي: ما طهرَ، وينسب إلى الله تعالى، لِكونِه فاعِلًا لذلك في الحَقيقة[1].

والزَّكاة: الصَّلاح، يقال: زَكا الرجل يزكو إذا صلح.

وزَكاه الله تعالى وأزْكاه: صلح، وتنعمَ.

وقيل: أصلها: الثناء الجميل، من ذلك زُكِّي فلانٌ عند القاضي؛ أي: أُثْنِيَ عليه[2].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الله تباركَ وتَعالى هو الزكي من جَميع الوجوه والاعتبارات، «فلا يُقال لِموصوف زكي، حتى تجتمع فيه جِهات الخَير وخِصالُها ظاهرًا وباطِنًا، وذلك لا يكون حقيقة إلا لله تعالى وحده، فهو سبحانه الزكي على الإطلاق، القدوس، السلام، الطاهر، الطَّيب[3] في جميع صِفاته، المحمود من كلِّ أسمائه»[4].

فهو سبحانه الذي يُزكي أولياءه، ويُطهرهم من الآفات والمَذام الظاهرة والباطنة، فيكونوا أهلاً لِلثَّناء، والحمد، على قَدْر قِيامهم بالأسباب الشرعية المقتضية له، فهو تعالى يُزكي من اسْتَقام «بالإيمان والعمل الصالح، بالتَّخلي عن الأخلاق الرَّذيلة، والتحلِّي بالصفات الجَميلة، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ من يعلم منه أن يزكي بالتزكية، ولهذا قال تعالى: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾»[5].

---

(١) «عمدة الحفاظ» (٢/١٤٢)، و«المفردات» (٣٨٠).

(٢) «كتاب العين» (٢/١٨٩)، و«القاموس المحيط» (٥٦٧)، و«المصباح المنير» (١٤٩).

(٣) هذه الصفة فعلية، وليست من الصفات الذاتية أو المنفية كما جاءت بالأدلة السنية بالفعل المتعدي وليس بالفعل اللازم، وعلى هذا فإنَّ إدخال هذه الصفة من جملة الصفات المنفية أو الذاتية، لم ينهض له دليل، وإن كانت المَعاني المذكورة صحيحة في حقه سبحانه، والله تعالى أعلم.

(٤) «الأسنى» (٢٨١).

(٥) «تفسير السعدي» (١٨٢، ٥٦٤).

(٣٩) صفة الكَمال (المُعَافِي) الجَليلة

صفة اختيارية سمعية، عقلية، جاءت بالسنَّة المُطَهَّرة.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «ليسَ أحد أصبر على أذًى يسمعُه من الله عَزَّوَجَلَّ، إنه يُشْرَكُ به، ويُجْعَلُ له الوَلَدُ، ثم هو يُعافيهم، ويَرْزُقُهمْ»[(١)].

وفي لفظ: «وهو مع ذلك يَرزقُهم، ويُعافيهم، ويُعطيهم»[(٢)].

(٢) دعاء القُنوت الذي علَّمَه رسول الله ﷺ لِحَفيدِهِ الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «اللَّهُمَّ اهْدِني فيمَنْ هدَيْت، وعافِني فيمَنْ عافَيْت...»[(٣)].

(٣) الدعاء الذي علمه النبي ﷺ لشَكَل بن حميد: «اللَّهُمَّ عافِني من شَرِّ سَمْعي، وبَصَري...»[(٤)].

(٤) الدعاء بين السجدتين في الصلاة: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي، وارْحَمْني، وعافِني»[(٥)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

العافية: هي دِفاع الله تعالى عن العبد بدفع المكاره، تقول: عافاه الله تعالى من المَكْروه عفاءً، ومُعافاة، وعافية: وهب له العافية من العِلَل، والبَلاء، وعافاه الله: مَحا عنه الأسْقام.

والمُعافاة: أن يُعافيَك الله من النّاس، ويُعافيهم منك؛ أي: أن يُغنيَك

(١) البخاري (٦٠٩٩) (٧٣٧٨)، ومسلم (٢٨٠٥).
(٢) مسلم (٢٨٠٥).
(٣) «صحيح أبي داود» (١٤٢٤).
(٤) «صحيح الأدب المفرد» (٥١٥).
(٥) «صحيح ابن ماجه» (٨٩٨).

عنهم، ويُغنيَهم عنك، ويصرف آذاهم عنك، وآذاك عنهم[1].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصف رَبّنا العظيم الذي لا أعظمَ منه بأنه هو المُعافي على الإطلاق: الذي يُعافي من يَشاء من العِباد، فيدفع عنهم البَلايا، والرَّزايا، والأمراض، والأسقام، والخَزايا، وهذه مُعافاته العامة لكلِّ الخليقة.

ويخصُّ أولياءَه الكِرام: بالتجاوز عن الذّنوب والآثام، ويدفع عنهم المحنَ، والنِّقَم، والفِتَن، ما ظهر منها وما بطن، ويُعافيهم من أشد الأمراض المعنوية الدِّينية: كالكفر، والشر: والنِّفاق، والعِصيان، لِيُقْبِلوا عليه يومَ الدِّين، سالمين مطهرين من الآثام، فيدخلوا دارَه دارَ السلام.

وبالجملة: إنه تعالى يُعافيهم من جميع الشرور، والأخطار، والأضرار الحسية، والمعنوية، المعاشية، والشرعية، والمعادية.

(٤٠) صفة الكَمال (الهادي) الجَليلة

صفة سمعية خبرية، فطرية، عقلية، جاءت بالكتاب والسنة.

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

(٣) وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

(١) «اللسان» (٥/٣٠١٨)، و«كتاب العين» (٣/١٩٢)، و«النهاية» (٦٢٧)، و«القاموس المحيط» (٨٩٢).

السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ

(١) في الحديث القدسي يقول الله تعالى فيه: «... **يا عبادي كلكم ضال إلّا من هديته، فاسْتَهْدوني أَهْدِكم**»[١].

(٢) عن علي رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**قل اللّهُمَّ اهْدِني، وسَدِّدْني**»[٢].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الهِداية: هي الدلالة بلطف، وإرشاد، يقال: هديته الطريقَ والبيت هِداية؛ أي: عرفته، والهدى: خِلاف الضَّلالة، وهي الطاعة، والورع[٣].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الله ﷻ هو الهادي: الذي يهدي عبادَه إليه، ويدلّهم عليه، وعلى سبيل الخير، والأعمال المقربة منه عَزَّوَجَلَّ، فهو تعالى بصَّر عبادَه، وعرَّفَهم طريق معرفته، حتى أقرُّوا بِرُبوبِيَّتِه[٤].

وهذه الهداية الشرعية الفطرية، حيث أودعَ الله في النُّفوس الإقرار والتصديق بوحدانيته سبحانه.

أما الهداية الدنيوية العامة الفطرية: «أنه سبحانه خلق المخلوقات فهداها الهِداية العامة لِمَصالحها، وجعلَها متهيئة لِما خُلقت له، فأرشد عبادَه إلى جلب مَصالحها، ودفع مَضارِّها، كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣].

(١) مسلم (٢٥٧٧).
(٢) مسلم (٢٧٢٥).
(٣) «المفردات» (٨٣٥)، و«الصحاح» (١٠٩٢).
(٤) انظر: اشتقاق أسماء الله (١٨٧)، و«النهاية» (١٠٠٣)، وتفسير الأسماء (٦٤).

فقد هدى كلَّ مخلوقٍ إلى ما لا بُدَّ منه في قَضاء حاجته، فهدى الطفل إلى الْتِقام الثدي عند انفِصالِه، والفرخ إلى الْتِقاط الحَبّ وقت خروجه... وشرح ذلك مِمّا يطول»[(١)].

وبالجملة: «إنَّ هداية الله تعالى للإنسان على أربعة ضروب:

الأول: الهداية العامَّة التي عم بجنسِها كل مكلَّف، من العقل، والفِطْنة، والمَعارف الضرورية، وهي المشتركة بين الخلق كلهم، كما تقدم من الآيات في سورة (طه)، و(العلق).

الثاني: هداية البَيان والدّلالة، والتعريف لِنَجدَي الخير والشَّرّ، وطريقي النَّجاة والهَلاك، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]؛ أي: بَيَّنا لهم، وأرشدناهم، وهي التي يملكها الرسل وأتباعهم.

الضرب الثالث: هِداية التوفيق والإلْهام، (التي من وفق إليها لا يَزيغ، وهي التي اختصَّ بها سبحانه وحده)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

الرابع: غاية هذه الهداية، وهي الهِداية إلى الجنة، أو إلى النار، فأما الهداية إلى الجنة، فقد دلَّ عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].

وأما الهداية الثانية إلى النار ـ عافانا الله وإياكم منها ـ فقد دلَّ عليها قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢ ـ ٢٣].

والهداية المطلقة التامَّة هي الهداية التي يسألها المؤمنون إلى رَبِّهم (في كل

---

(١) المقصد «الأسنى» (٩٣)، و«فتح الرحيم» (٥٠).

صلاة بل في كلِّ ركعةٍ) ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]؛ أي: اهدنا إليه، واهدنا فيه»(١).

(٤١) صفة الكمال (المُغيث) الجَليلة

صفة فعلية اختيارية، نقلية، وعقلية، ثبتت بالكتاب والسنة.

القُرْآنُ الكَرِيم

قال ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنَّ رجلًا دخل المسجدَ يوم الجمعة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب.. (إلى أن قال): فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا ثم قال: يا رسول الله! هلكت الأموال، وانقطعت السُّبُل، فادعُ الله أن يُغيثَنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «**اللَّهُمَّ أَغِثْنا، اللَّهُمَّ أَغِثْنا، اللَّهُمَّ أَغِثْنا**...»(٢).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

المغيث: مأخوذ من الإغاثة، وهي: الإعانة، والنصرة عند الشَّدائد، واستغاثَ: صاحَ وا غوثاه، واستغثته: طلبتُ الغوثَ، واستَغاثَني فلان فأغثته؛ أي: فرجت عنه.

وأغاثهم الله برحمته: كشف شِدَّتَهم، وأغاثَنا المطرُ من ذلك فهو مغيث أيضًا(٣).

---

(١) «بدائع الفوائد» (٢/٣٦)، و«المفردات» (٨٣٥)، و«فتح الرحيم» (٥١).

(٢) البخاري (٩٣٣، ١٠١٣٥)، ومسلم واللفظ له (٨٩٧).

(٣) «المفردات» (٦١٧)، و«لسان العرب» (٦/٦٩٢)، و«المصباح المنير» (٢٦٤).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصَف رَبّنا الجَليل بأنه هو المغيث، إذْ لا غِياث ولا مُغيث على الإطلاق إلّا هو عز شأنُه، وإن كل غوثٍ فمن عنده، وإن كان جعل ذلك على يدي غيرِه، فالحقيقة له ﷻ وحده، ولِغيره مجاز، فهو سبحانه مدرك عباده في الشَّدائد إذا دعوه، ومُجيبهم، ومخلصهم[(١)].

فهو تعالى المُغيث إغاثة عامَّة، وخاصة، فالإغاثة على ذلك نوعان:

الأول: الإغاثة العامة، فهو سبحانه مغيثُ العالَمين: «فهو المُغيث لجَميع المخلوقات عندما تتعسر أمورَها، وتقع في الشدائد، والكربات، يطعم جائعَهم، ويكسو عاريهم، ويخلص مكروبهم، وينزل الغيثَ عليهم في وقت الضرورة والحاجة، وكذلك يُجيب إغاثة اللهفان؛ أي: دعاء من دَعاه في حالة اللهف، والشِّدَّة، والإضرار، فمن استغاثه أغاثَه، (وبالجملة إنه تعالى) هو المنقذ من الشدائد الفادحة، والكروب.

وفي الكتاب والسنة من ذِكْر تفريجِه للكربات، وإزالته الشَّدائد، وتيسيره للعَسير، شيءٌ كثير جِدًّا معروف، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٦٣]»[(٢)].

الثاني: الإغاثة الخاصة، فهو سبحانه مغيثُ المؤمنين: فهو تعالى أسرع لهم غَوْثًا، وعونًا، وتفريجًا للهموم، والكربات، يستجيب لهم عند الشدائد، والهلكات، ولا يردُّ منهم أحدًا عند طلب الحاجات، والتضرع بالدعوات، وبالجملة فهو تعالى مُغيث لهم في الدنيا في الملمات، ويوم القيامة في العرصات.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١/١١٠).

(٢) «الحق الواضح» (٦٧)، و«توضيح الكافية الشافية» (١٢٤).

(٤٢) صفة الكمال (الفَطْرُ) الجَليلة

صفة فعلية، خبرية، وفطرية، ثابتة بالكتاب والسنة المطهَّرة.

القُرْآنُ الكَرِيمُ

(١) قال ﷻ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

(٢) وقال ﷻ: ﴿قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١].

(٣) وقال جلَّ ثناؤه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) حديث عائشة رضي الله عنها في افتتاح النبي ﷺ صلاته بالليل: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السموات والأرض**...»[(١)].

(٢) حديث علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ إذا قام من الصلاة قال: «**وَجَّهْتُ وجهيَ للذي فطرَ السموات والأرضَ حنيفًا**...»[(٢)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

فطر: أصله: الشق، فطر الشيء يفطره فطرًا فانفطر، وفَطَرَه: شَقَّه، قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مريم: ٩٠]؛ أي: يتشققن.

والفطر: الابتداء، والاختِراع، يقال: فطرت البئرَ: ابتدعتها، وحفرتها.

ويقال للذي يحرث الأرض: فاطر، لأنه يشقُّها بالحِراثة[(٣)].

---

(١) مسلم (٧٧٠).

(٢) مسلم (٧٧١).

(٣) «عمدة الحفاظ» (٣/٢٣٩)، و«لسان العرب» (٧/١٢٥).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف رَبُّنا العظيم نفسه بأنه هو الفاطِر على الإطلاق: الذي فطر كل الخَليقة، فما مِن شيء إلّا هو مفطور بفطرة الله تعالى، فأوجده بعد العدم، فكل مخلوق في عالم الملكوت، أوجده الله، بعد أن لم يكن موجودًا، فهو تعالى (فاطر السموات والأرض): «أي: إنه مبتدعهما، ومبتدئهما، وخالقهما»[1] وحده على الإطلاق، من غير شيء، ولا مِثال سبق[2].

وهو سبحانه فاتق الرتق؛ أي: المتصل المتلاصق من السماء والأرض، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]؛ أي: كان الجميع متصلًا بعضه ببعض متلاصقًا، متراكمًا بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر، ففتق هذه من هذه، فجعل السماء سبعًا، والأرض سبعًا، وفل بينهما بالهواء، كما أنه فتقَ السماء بالمطر، والأرض بالنَّبات[3].

وكما أنه سبحانه فاطر للمحسوسات في الأرض والسموات، فهو تعالى فاطر للمَعْنويات الجِبِلّيات، فهو تعالى فطر الخلق على الإيمان به، وتوحيده، والإخلاص له بالعُبودية، كما قال سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]؛ أي: «فسدِّدْ وجهَك، واستمر على الدِّين الذي شرعه الله لك، من الحَنيفية ملة إبراهيم، الذي هَداك الله لها، وكملها لك غايةَ الكَمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلقَ عليها، فإنه تعالى فطرَ خلقَه على معرفته، وتوحيده، وأنه لا إلَه غيره، كما في الحديث: «**إنِّي خلقتُ عِبادي**

(١) «تفسير الطبري» (١١/٢٨٢)، و«شأن الدعاء» (١٠٣).

(٢) «الأسنى» (٤٢٣).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/١٦٠)، وابن كثير (٣/٢٤٥).

حُنَفاء، فاجْتالتهم الشياطينُ عن دِينهم»[(١)]، وقوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا تُبدلوا خلقَ الله، فتُغيروا الناس عن فِطرتهم التي فطرهم الله عليها، فهو تعالى ساوى بين خلقه كلِّهم في الفِطْرة على الجِبِلَّة المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك»[(٢)].

وهذا من كَمال عَدْلِه سبحانه، الذي لا مَثيل له.

(٤٣) صفة الكمال (الكتابة والخط) الجَليلة

صفة فعلية اختيارية، ثابتة بالكتاب، والسنة المحمدية.

الكِتَابُ الْحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١٨١]

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً﴾ [الأعراف: ١٤٥].

(٣) وقال عز شأنه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمّا قضى اللهُ الخلقَ كتب في كِتابه، فهو عندَه فوقَ العرش: إنَّ رحمتي تَغلِبُ غضَبي»[(٣)].

وفي رواية: «إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ حينَ خلقَ الخلقَ، كتبَ بيده على نفسه، إنَّ

---

(١) مسلم (٢٨٦٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/٥٨٥)، ثم سرد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحاديث في ذلك، منها: «ما مِنْ مولودٍ يولَدُ إلّا على الفِطْرَة، فأبواهُ يُهَوِّدانِه، أو يُنَصِّرانِه، أو يُمَجِّسانِه...» البخاري (٤٧٧٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٣) البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

رحمتي تغلبُ غضبي»[١].

(٢) وفي حديث احتجاج موسى وآدم عليهما السلام، وفيه قول آدم لِموسى: «**أنت موسى الذي اصطفاكَ الله بِرِسالته، وبِكلامه، وأعطاكَ الألواحَ فيه تِبيان كل شيء، وقرَّبَك نَجِيًّا، فبِكَم وجدت الله كتبَ التوراة قبل أن أخلق؟...**».

وفي رواية: «**وخَطَّ لك التوراة بيدِه**».

وفي رواية: «**وكتبَ لك التوراة بيدِه**»[٢].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الكتب: ضم أديمٍ إلى أديم بالخِياطة، يقال: كتبت السِّقاء. وكتبت البغلة: جمعت بين شفريها[٣] بحلقة. والأصل في الكتابة: النظم بالخط، وفي المَقال: النظم بالقول. وفي التعارف: ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط[٤].

والخط: الكَتْبُ لأنه ذو خطوط، فعبر عن الكتابة بالخط، قال تعالى: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾؛ أي: لا تكتبه، والخط: المد، والخَطُّ: كل ما له طول[٥].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصَف رَبُّنا عز شأنُه بالكِتابة، وبالخط على الحَقيقة، كما يَليق بِجَلاله، وعظمة شأنه، فهو تعالى يكتب ويخط ما شاء، ولِمَن شاء، ومتى شاء، وكيف شاء سبحانه، على مقتضى حكمتِه، ولا نعلم كيفية هذه الأفعال، وإنما نؤمن بها كما جاءت، لأنها حق من عند رَبِّنا عز شأنُه، وقد تقدم ذِكْرُ الأدلة التي

---

(١) صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣٥٤٣)، وفي «صحيح ابن ماجه» (٤٢٩٥).

(٢) البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

(٣) الشفر: جانب الفرج.

(٤) «المفردات» (٦٩٩)، و«عمدة الحفاظ» (٣/٣٧٠ـ٣٧١).

(٥) «عمدة الحفاظ» (١/٥١٢ـ٥١٣).

تُفيد أنه تعالى باشَر بنفسِه الكتابة والخط، لأن فعل الكتابة عُدِّيَ إلى اليد «وخطَّ بيدِه»، فلا يجوز صرفُه عن حقيقته، وقد تقدم عند صفة (اليد) أنه خلق أشياء بيده: (كالعرش، والقلم، وآدم، وجنة عدن... ثم قال لِسائر الخلق: كن فكان)، وكتابته لها تدلُّ على تَشريفها على غيرِها، كما في قوله ﷺ: «وكتبَ لكَ» «وخطَّ».. إلخ.

(٤٤) صفة الكَمال (التَّشْريعُ) الجَليلة

صفة فعلية، سمعية، فطرية، ثابتة لِرَبِّنا في الكتاب والسنة.

الكِتَابُ الْحَكِيمُ

قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ [الشورى: ١٣].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (من سَرَّه أن يلقى الله تعالى غدًا مسلمًا، فَلْيُحافِظْ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادى بهن، فإنَّ الله شرع لِنَبِيكم ﷺ سُنَنَ الهُدى، وإنَّهُنَّ من سُنَنِ الهُدى...)[١].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

شرع: الشرع: نهج الطريق الواضح، يقال: شرعت له طريقًا. والشرع مصدر، ثم جُعِلَ اسمًا للطريق النهج، قيل له: شِرْع، وشَرْعٌ، وشِرعةٌ، واسْتُعير ذلك للطريقة الإلهية من الدِّين، يقال: ﴿لِكُلٍّ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةً وَمِنۡهَاجًاۚ﴾ [المائدة:٤٨][٢].

(١) مسلم (١٠٤٦).
(٢) «المفردات» (٤٥٠).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الله رَبُّنا ﷻ هو المُشَرِّع وحده، لا شريك له، الذي انفرد بالأمر، والنهي، والحكم، والتشريع، وبهذا يُعلم أن التحليلَ والتحريمَ، والتشريع موصد الأبواب، مقطوع الأسباب، على كل الخلائق، ولو كان من الأنبياء فضلًا عن عُموم العباد، فالتشريع من خَصائص ألوهية الله ﷻ[(١)]، فهو سبحانه قد شرعَ لكل أنبيائه شريعة واحدة، وهي عِبادته وحده لا شريك له، فهذا الدين الذي جاءت به الرسل كلهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وفي الحديث: «**نحن معاشر الأنبياء أولاد علّات، دِينُنا واحد**»[(٢)]؛ أي: القدر المشترك بينهم هو عِبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومنهاجهم، كقوله تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: ٤٨][(٣)].

وبهذا يُعلم أن أحكامَه الشرعية سبحانه قد انتهت بانقطاع الوحي، بقبض النبي ﷺ، أمّا أحكامه وتشريعه الكوني القدري، فلا يَزال يتجدَّد، على حسب ما تقتضيه حكمتُه الباهرة، إلى قِيام السّاعة.

واعلم رَعاك الله، أن «أكبر مِنَّة أنعمَ الله بها على عِباده، أن شرع لهم من الدِّين خير الأديان، وأفضلها، وأزْكاها، وأطهرها، دين الإسلام...»[(٤)]، فأنعمَ به رَبُّنا علينا دون مسألة، ولا وسيلة، ولا عَناء، فلا تجحد هذه النعمة التي والله ما بعدَها نعمة، التي خَصَّك بها رَبُّك، وحرمها أكثر الأنام، فتذكَّرْها في

(١) انظر: «الشرك بالله أنواعه وأحكامه» ماجد محمد شبالة (٥٢٨، ٥٣١) بتصرف يسير.
(٢) البخاري (٣٤٤٢) (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥).
(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/١٤٠).
(٤) «تفسير السعدي» (٧٥٤).

كل حال، وذَكِّرْ بها أحبابَك، وأقرباءك، بل كل مَنْ عرفت من الخلق، عسى الله أن يحفظها علينا إلى يوم العرض.

(٤٥) صفة الكَمال (الفعل، والعمل) الجَليلة

صفتان فعليتان عقليتان، نطق بهما القرآن الكريم، وسنة النبي الأمين ﷺ.

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

(١) قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

(٢) وقال رَبُّ العالَمين: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

(٣) وقال جل جلاله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾ [يس: ٧١].

(٤) وقال عز شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٤].

(٥) وقال سبحانه: ﴿إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ

حديث أم رومان (وهي أم عائشة رضي الله عنها) قالت: (بينا أنا قاعدة أنا وعائشة، إذْ ولجَتْ امرأة من الأنصار فقالت: فعلَ الله بِفُلان، وفعل بِفُلان...»[(١)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الفعل: كناية عن كل عمل متعدٍّ، أو غير متعَدٍّ.

والفعل يعبر به عن القدرة على الشيء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]؛ أي: قادرين على فعل ما نَشاء.

---

(١) البخاري (٤١٤٣).

والفَعَّال: صيغة مبالغة من الفعل، بمعنى: الذي يكثر منه الفعل؛ أي: ما يُريد ويفعل في غاية الكثرة[(١)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصَف رَبُّنا العظيم بصفة الفعل الجليلة، بل يوصَف بها بصيغة المُبالغة أعلاها في التعظيم، والإجلال، والكمال، فقال: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ لِبَيان: كثرة أفعاله، ودوامِها، ونهاياتها، بلا عَدٍّ، ولا حصر، «فأفعاله عز شأنُه لا تُحصى أنواعُها، فضلًا عن أفرادِها»[(٢)]، وما تقتضيه من آثار، ومتعلقات في الخلق كله في كلِّ حال، وآنٍ، وزمان، فكل ما في السموات والأرض من فعلِه سبحانه، ولِهذا يوصَف الله تعالى بكل ما خَلَقَ، وبكل ما شرع[(٣)].

فكونُه ﷻ ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾: هذا من كمال قوته، ونفوذ مَشيئته، وشُمول قدرته، أن كل أمر يُريده فعله، في أيِّ وقتٍ يُريد أزلًا، وأبدًا، وعلى أيِّ كيفية يريدها، وهذا من كماله، فهي كمال في وقتِها، وعند وُجود سَببها، لا يتعاصى عليه شيء، ولا يُعارضه أحد، وليس له ظهير، ولا عوين، ولا مُساعد على أيِّ أمر يكون، بل إذا أراد أمرًا قال له: «كن فيكون»[(٤)].

وهذا يدلُّ على أن كلَّ فعلٍ من أفعاله تعالى، له إرادة تخصُّه، فشأنه سبحانه أنه يُريد على الدوام، ويفعل ما يُريد، وأن فعله وإرادته مُتَلازمان، فما أراد أن يفعله فعله، لا يعوقه شيء، وما فعله فقد أرادَه، فما ثَمَّ فعّال لِما يُريد إلّا الله

(١) «لسان العرب» (١٣١/٧)، و«عمدة الحفاظ» (١٢٤/٣، ٢٤١)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤٠٧/٣)، و«المصباح المنير» (٢٤٨)، وإعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش (٤٣٥/١٠).

(٢) تفسير آل عمران (٢٥١/١)، والقواعد المثلى لابن عثيمين (١٢٣).

(٣) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٦٣٥/٢).

(٤) «فتح الرحيم الملك» (٢٧)، و«شرح صحيح البخاري» لابن عثيمين (١٦١/١).

تعالى وحده، لا شريك له[1].

ومع أنَّ رَبَّنا الجليل فَعَّال لِما يُريد، فلا يُريد إلّا ما تقتضيه حكمته، وعلمه، فجميع أفعالِه مقرونة وتابعة لِحِكمته الجَليلة، فلا تكون موجودة، إلّا حيث اقتضتها الحكمة، فهو سبحانه موصوفٌ بالكَمال من جِهتَيْن: من جِهة كَمال القدرة، ونُفوذ الإرادة، وأن جميعَ الكائنات قد انْقادت لِمشيئته، وإرادته. ومن جهة الحكمة، فإنه تعالى الحكيم في كلِّ ما يصدر منه من قول، وفعل: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]؛ أي: في أقواله، وأفعالِه، ولهذا فهو سبحانه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣][2].

(٤٦) صفة الكمال (ذو الفَضْل) الجَليلة

صفة فعليَّة خبرية، فطرية، ثابتة بالكتاب والسنَّة.

القُرْآنُ الكَرِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩].

(٣) وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

(٤) وقال عز شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس: ٦٠].

---

(١) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (٦١).

(٢) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١٩١/١)، و«تفسير السعدي» (٣٩٠) (٩١٩)، و«فتح الرحيم» (٢٧)، و«شرح عقيدة أهل السنة» (١٩٣)، و«شرح صحيح البخاري» لابن عثيمين.

(٥) وقال جل ثناؤه: ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يُكلِّمُهم الله يومَ القِيامَة، ولا ينظرُ إليهم...، ورجلٌ منعَهم فضل ماء، فيقول اللهُ يومَ القيامَة: اليومَ أمنعُكَ فَضْلي، كما منعت فضل ما لم تعمل يداك**»(١).

(٢) من دُعاء رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ من فضلِكَ ورحمتِك، فإنَّه لا يملكُهما إلّا أنتَ**»(٢).

(٣) حديث أهلِ الدّثور(٣)، وفيه: (فرجعَ الفقراءُ والمُهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخوانُنا أهل الأموال بِما فعلنا، ففعلوا بمثله، فقال رسول الله ﷺ: «**ذلك فضلُ الله يؤتيهِ مَنْ يَشاءُ**»(٤).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الفضل: أصل الفضل: الزيادة عن الاقتصاد، وهو خلاف النقص، والنقيصة، والإفْضال: الإحسان، تقول العرب: رجل مِفضال إذا كان كثيرَ الخير، والفَواضل: الأيادي الجَميلة، أو الجَسيمة(٥).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف ربّنا الجليل نفسَه بالصفة الكريمة أنه ذو الفضل، الذي لا يقدر

---

(١) البخاري (٧٤٤٦).
(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧٨/١٠)، وصححه الألباني في «صحيح النسائي» (٥٤٧٥)، وفي «السلسلة الصحيحة» (١٥٤٣).
(٣) البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥).
(٤) مسلم (٥٩٥).
(٥) انظر: «المفردات» (٦٣٩)، و«اللسان» (٣٤٢٨/٥)، والقاموس (١٠٠١)، و«الأسنى» (٥١١/١).

أحدٌ من العباد إحصاءَه، ولا الإحاطة بِمِقْداره.

فهو عز شأنُه ذو الفضل العظيم، والإحسان العَميم، والخير الجَزيل، الذي ليس له فيه نَظير، ولا مَثيل، ولا عديل.

فأفضالُه تدرُّ على العالمين في كلِّ آنٍ وحين، فلا يستغني عنه مَنْ في السموات والأرضين، من الإنس، والجان، والأنعام، والنبات، بل والجَمادات.

«فكلّ خير نالَه عباده في دِينهم، ودُنياهم، فإنه من عنده ابتداء، وتفضُّلًا منه عليهم، من غير استحقاق منهم ذلك عليه»(١)، بل بِمَحض فضله عليهم سبحانه.

فهو تعالى «صاحب الفضل العظيم كمية، والعظيم كيفية، والعظيم شُمولًا في المَكان، وشُمولًا في الزَّمان:

أمّا في كميته: فإن الله تعالى يقول: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. وجعل جزاء الحسنة عشرًا إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة.

وأما في كيفيته: فقد قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]»(٢).

وأما فضله في المكان: هو ما عظمه سبحانه من البقاع كالمساجد الثلاثة، في مُضاعفة الأجور عن غيرها أضعافًا كثيرة.

وأما في الزَّمان: كشهر رمضان، والليالي العشر الأخيرة فيه، والعشر الأولى من ذي الحجة، وغيرها.

«وفضله سبحانه (العظيم) نوعان: فضل خاص، وفضل عام، فالخاص

(١) «تفسير الطبري» (٣٧٨/١).

(٢) «أحكام من القرآن الكريم» (٣٧٨/١)، و«تفسير سورة آل عمران» (٤٥٣/٢) لابن عثيمين.

للمؤمنين، والعام لِلجميع»[1]؛ أي: للعالمين، وهو الفضل الدنيوي الذي لا يعد ولا يحد من الآلاء، والإنعام، والمَسَرّات.

أما الفضل الخاص: فهو أكمل الفضل وأعلاه، لأنه: فضل إيماني ديني، الذي تفضَّل به سبحانه على من خصَّهم به من الأولياء، الذي يوصلهم به تعالى إلى أعلى الغايات، وهو: توفيقهم إلى القِيام بالطاعات، واجتناب المحرَّمات، والنصرة على الأعداء، الذي يقتضي السلامة من الآفات، والهلكات، في الدنيا، والعرصات، فهو فضل الله تعالى، يتفضل به على من يشاء.

(٤٧) صفة الكمال (المنع) الجَليلَة

صفة فعلية سمعية، عقلية، ثابتة بالكتاب الكريم، وسنة خاتم النبيين ﷺ.

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال ﷻ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من صَلاته قال: «**لا إله إلّا الله وحده لا شريكَ له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير، اللّٰهُمَّ لا مانِعَ لِما أعطيتَ، ولا مُعْطِيَ لِما مَنعْتَ، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ**»[2].

(٢) حديث جابر رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ غَزا غزوةً قِبَل نجد، فأدركتهم القائلة، فجئنا النبي ﷺ وبين يدَيْه أعرابي جالِس، فقال: «**إنَّ هذا اخترَطَ سيفي، فقال: مَنْ يمنعُكَ مِنِّي؟! فقلتُ: الله**» ثلاثًا[3].

(١) «تفسير سورة آل عمران» لابن عثيمين (٢/٣١٦).
(٢) البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٤٧١).
(٣) البخاري (٢٩١٠) (٤١٣٥).

وفي لفظ: فقال لرسول الله ﷺ: أتخافني؟ قال: «لا»، قال: فمَنْ يمنعكَ مني؟ قال ﷺ: «**الله يمنعُني منكَ**»[(1)].

(٣) حديث الثلاثة الذين لا يكلمُهم الله تعالى: «... **ورجل منعَ فضل ماء، فيقول الله يومَ القِيامَة: اليوم أمنعُكَ فضلي كما منعتَ فضل ما لم تعمل يَداك**»[(2)].

(٤) حديث نهي النبي ﷺ بيع الثَّمَر، وفيه: «... **أرأيت إذا منعَ الله ثمرَه، بِمَ يأخذ أحدُكم مالَ أخيه**»[(3)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

المنع: خلاف العَطاء، وهو الكَفّ، يقال: امتنعَ من الأمر: كَفَّ عنه، والمنيع: الحماية، ومنه: مكان مَنيع، وقد منع. وفلان في منعةٍ من قومه؛ أي: في جماعة تمنعه، وتَحوطه[(4)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصف ربّنا العظيم بالصفة الاختيارية، والتي تقوم بِذاتِه بِمَشيئته، وإرادته: المنع، وهذه الصفة تدلّ على تصرفه سبحانه في الكون وحده في المنع، كما في العَطاء، لا شريك معه أحد من الخَلْق، فهو سبحانه المانع الذي لا مانع لِما قدر من العَطاء، كما هو يعطي من يستحقّ العَطاء، ويمنعُ مَنْ يشاء، وهو العادل في جميع ذلك، فإذا أعطى فتفضل وإصلاح، وإذا منع فحِكمة وصَلاح، فهو تعالى يُعطي تفضُّلًا، ويمنع ابْتِلاءً، ولا رادّ لِما أرادَ سبحانه[(5)].

---

(١) مسلم (٨٤٣).

(٢) البخاري (٧٤٤٦).

(٣) البخاري (٢١٩٨)، ومسلم (١٥٥٥).

(٤) «المفردات» (٧٧٩)، و«المصباح المنير» (٣٣٦)، و«شأن الدعاء» (٩٣).

(٥) «النهاية» (٨٨٤)، والحجة في بيان المحجة (١٦٠/١)، وانظر: «جلاء الأفهام» (٤٦٠).

ومنع الله تبارك وتعالى دنيوي، وشرعي:

أمّا الدنيوي: وهو كما تقدم أنه سبحانه يمنع مَنْ يريد من خلقِه ما يُريد، كما في الحديث: «**لا مانِعَ لِمَا أعطيت**»؛ «أي: إنَّ مَنْ قضيت له بِقضاء من رزق أو غيره لا يمنعه أحدٌ عنه، ومعنى «**لا معطي لِمَا منعت**» أنه: مَنْ قضيت له بِحِرمان لا معطي له»[1].

أمّا منعه الشرعي: أنه تعالى «هو الحافظ، والحائط، والناصر لدِينه، وأوليائه، يحوط أهل دِينه، ويحفظُهم، وينصرُهم على عدوِّهم، ولا منعة لِمَن لم يمنعه الله، ولا يمتنع مَنْ لم يكن الله له مانِعًا»[2].

وإن من أجلِّ وأعظم منعه الشرعي أنه تعالى: منع كائنًا من كان من أن يحرفَ كتابه، أو يصد عن بَيانه، وبلاغته، إلى يوم القِيامة.

وبالجملة فإن مِنْ معاني المنع: التأييد، والإحاطة، والعزة، والكِفاية، والنصرة على الأعداء في الدنيا، ويوم العرصات، وهذا غاية المُرادات، ومنتهى الأمنيات.

فائدة:

ذكر شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه للحديث: «**اللّٰهُمَّ لا مانعَ لِما أعطيت...**» أنه متضمن لِتَحقيق توحيد الربوبية، والألوهية، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فبيَّنَ في هذا الحديث أصلَيْن عظيمَيْن:

أحدهما: توحيد الربوبية، وهو: أن لا معطي لِما منع الله، ولا مانع لِما أعطاه، ولا يتوكل إلّا عليه، ولا يسأل إلّا هو.

---

(١) «سبل السلام للصنعاني» (١/١٩٧).

(٢) انظر: «اللسان» (٧/٤٢٧٦)، والحجة في بيان المحجة (١/١٦٠)، و«شأن الدعاء» (٩٣)، و«الأسنى» (١/٣٥٦).

الثاني: توحيد الألوهية، وهو: بَيان ما ينفع، وما لا ينفع، وأنه ليس كلّ من أعطي مالًا، أو دنيا، أو رِئاسة، كان ذلك نافِعًا له عندَ الله، منجيًا له من عَذابه، فإنَّ الله تعالى يعطي الدنيا من يحب، ومَنْ لا يحب، ولا يُعطي الإيمانَ إلّا مَنْ يحبّ»[1].

(٤٨) صفة الكمال (الصُّنْع) الجَليلة

صفة فعلية نقلية، فطرية، ثابتة بالوحيَيْن الكتاب والسُّنَّة.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «إن الله يصنع كلَّ صانع، وصَنْعَتَه».

وفي رواية: «إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ صنعَ كلَّ صانع، وصنعته»[2].

(٢) وقال ﷺ: «لا يقولنَّ أحدكم: اللّٰهُمَّ اغفر لي إنْ شئت، اللّٰهُمَّ ارحمْني إنْ شئت، لِيَعزم في الدعاء، فإنَّ الله صانع ما شاء، لا مكره له»[3].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الصنع: إجادَة الفِعْل، فكل صنع فعل، وليس كل فعل صنعًا، يقال: صنع يصنعُ صُنْعًا، وما أحسن صُنع الله عنده، وصَنيعه، وقوله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾؛

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤٤٨/٢٢)، وانظر كلام ابن أبي العز في: «شرح العقيدة الطحاوية» (٣٦٨).

(٢) رواه البخاري في خلق أفعال العباد (١٠٢، ١٠٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٧)، وصححه محقق الكتاب (١٥٨/١)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٦٣٧) (١٨١/٤)، وفي «السنة» لابن أبي عاصم (٣٥٧، ٣٥٨)، وابن حجر في الفتح (٥٠٧/١٣).

(٣) البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩) واللفظ له.

أي: صنعته، وخلقه[1].

والصنع: الاختراع، والتركيب معًا[2].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الله تبارك وتعالى هو الصانع لِكلِّ شيء على الإطلاق، فـ «كل مصنوعٍ من صنعه»[3]، وإتقانه، فهو تعالى الذي صنع وخلق، على غير مثال سبق.

فربُّنا ﷻ هو «المبدع للكون، وهو الذي صنع الكون بِذاته، وأبدعه»[4] من غير مِثال احتذاه، فأخرجه من العدم إلى الوجود، بعد أن لم يكن موجودًا.

ولهذا أخبر عن نفسه بقوله: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾؛ أي: «إنَّ الله تعالى متقن لكلِّ شيء من الأفعال والأحكام؛ أي: متقن لكلِّ ما صنع، وشرع، ومن جملة إتقانِه سبحانه أنه: حينما كانت الأرض محتاجة إلى هذه الجبال صارت الجبال راسية، ورواس ترسي بها الأرض، وهي أيضًا في نفسها ثابتة، ويوم القيامَة تزول الحاجة إليها، بل تقتضي الضرورة زوالَها، فتُزال هذه الجبال العَظيمة، ولِهذا تعلم الفائدة والحِكمة في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾، فصار وجود الجبال (في الدنيا) إتقانًا، وزوالها يومَ القيامَة إتقانًا أيضًا»[5].

وأما عن شرعه ودينه، فهو غاية في الإتقان، ونعمة منه وامتنان، فقد أبدعه وأبرمه وأحكمه، بحيث لا يدخل فيه زلل، ولا تخالطه العلل، ولا يظهر

---

(١) «عمدة الحفاظ» (٢/٣٥٥)، و«كتاب العين» (٢/٤١٧).

(٢) الأسماء والصفات (١/١٥٨).

(٣) «الأسنى» (٤٢١).

(٤) من كلام ابن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ في «الكنز الثمين» (١٧٣) بواسطة صفات الله الواردة لعلوي السقاف (٢٢٨).

(٥) «تفسير سورة النمل» لابن عثيمين (٦/٢٦٨ ـ ٢٧٤).

فيه عيب أو خلل، فلا يستطيع أن يقدح فيه طرف أنملة أحد من الأنام، فقد جعله سبحانه صالحًا لكلِّ زَمان، ومكان، مهما تتابعت السنين والأزمان.

(٤٩) صفة الكمال (المُسْتَعان) الجَليلَة

صفة فعلية سمعية، عقلية، جاءت بالكتاب والسُّنَّة.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

(٢) وقال سبحانه: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

(٣) وقال ﷻ: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) حديث ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رسول الله ﷺ كَلَّمه كلمات: «... **إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»(١).

(٢) وقال رسول الله ﷺ: «**والله في عَوْنِ العبد ما كانَ العبدُ في عَوْنِ أخيه**»(٢).

(٣) الدعاء الذي علَّمَه النبي ﷺ لِمُعاذ وأوصاه أن يقولَه دبر كل صلاة: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي على ذِكْرِك، وشكرِكَ، وحُسْنِ عِبادتِك**»(٣).

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢٦٦٩) (٢٧٦٣)، وصححه شعيب الأرنؤوط (٤/٤٠٩)، والألباني في «صحيح الترمذي» (٢٥١٦).

(٢) مسلم (٢٦٩٩).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٢١١٩)، وصححه شعيب الأرنؤوط (٣٦/٤٣٠)، والألباني في «صحيح أبي داود» (١٥٢٢).

(٤) ومن دُعائه ﷺ: «رَبِّ أعني ولا تُعِنْ عَلَيَّ...»[١].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

العون: الظَّهير على الأمر. والمَعونة: الإعانة. تقول: أعنتُه إعانة ومعونة. والاستعانة: طلب العون. وقوله: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: ساعدوني[٢].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصَف رَبُّنا الجَليل بصفة الاستعانة الكَمالية، فهو تعالى المُعين لكل العالمين، فلا يستغني عنه أحدٌ من الخلق أجمعين، في جَميع أمورهم المَعاشية، والشرعية، في كل وقت وحين.

ولِهذا كان الأنبياء والأولياء يلجأون إلى الله تعالى في طلب المدد والمعونة منه تعالى، في جميع أحوالهم الظاهرية والباطنية، كما حكى سبحانه عن يعقوب عليه السلام بقوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وأمر نبينا محمدًا ﷺ أن يقول: ﴿قَلَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢] «أي: نسأل ربنا الرحمن، ونستعين به على ما تصفون»[٣].

وأُمِرنا أن نسأل الله تعالى في كُلِّ صلاة العون منه تعالى على القِيام بِواجباته، وحقوقه علينا سبحانه، لأنه «لا يُعين على العبادة الإعانة المطلقة إلّا هو سبحانه وتعالى، وقد يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه»[٤]، لكنَّها محدودة، منوطة بالعوين، والظهير، والمساعد، والمُناصر، فلا تكون إلّا كذلك، أما المَعونة

---

(١) «صحيح أبي داود» (١٥١٠)، و«صحيح الترمذي» (٣٦٦١).

(٢) «عمدة الحفاظ» (٣/١٤٤)، و«كتاب العين» (٣/٢٥٨).

(٣) «تفسير السعدي» (٥٣٢).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١/١١٣).

الكاملة المُطلَقة، فلا تكون إلّا من الله تعالى وحده، لأنه سبحانه «بخلاف ذلك، (فهو تعالى) غنيٌّ عن الظَّهير، والمُعين، والشريك، والوَزير، بل كل إعانة وعون فمنه، وبه سبحانه، لا إله إلّا هو»(١) ﷻ، وتعالى في عَلْيائه.

(٥٠) صفة الكمال (المُسَخِّر) الجَليلة

صفة فعلية اختيارية، نقلية عقلية، ثبتت بالكتاب والسنة.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الحج: ٦٥].

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١].

(٣) وقال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [لقمان: ٢٠].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

حديث رؤية الرَّبّ ﷻ، ومُخاطبة الرَّبّ للعبد: «... فيلقى العبد فيقول: أي فُلْ(٢)! أَلَمْ أكرمكَ، وأسودك، وأزوجُكَ، وأسَخِّر لك الخيلَ والإبلَ...»(٣).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

التسخير: التهيئة والتَّذْليل، وهو سياقه إلى الغرض المختص به قهرًا،

(١) «الأسنى» (١/٥٤٥).

(٢) معناه: يا فلان.

(٣) صحيح مسلم (٢٩٦٨).

وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ [الرعد: ٢]؛ أي: قهرهما.

فالمُسَخِّر هو المُقيِّض للفعل، والسُّخريُّ: هو الذي يقهر فيسخِّر بإرادته، قال تعالى: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗا﴾ [الزخرف: ٣٢](١).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف ربّنا العظيم نفسَه بصفة التسخير، وقد جاءت هذه الصفة الكريمة في سِياق الامْتِنان، والتذكير بآلاء، وإنعام الله تعالى المتواصل على بني آدم في تهيئة وتذليل كل من في السموات والأرض له، وتسخيره سبحانه نوعان:

الأول: التسخير العام، وهو لِجَميع بني آدم من الإنس والجان، وهو نوعان كذلك: **الأول**: تسخير الآيات الكونية العلوية له، كالشمس والقمر، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ [الرعد: ٢]؛ أي: «لِمَصالح العباد، ومَصالح مَواشيهم، وثِمارهم»(٢). وسخَّر النجوم كذلك: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فسخرها سبحانه لِما فيه من المَنافع في السير والسفر واهتداء المسافر بها إلى الوجهات، وكذلك لِما فيها من الزِّينة، وجمال المنظر.

وسخر السحاب: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] الذي به حياة الأبدان للإنس، والجان، والحيوان... وغير ذلك من الآيات.

الثاني: تسخير الآيات الأرضية له، كتسخيره البحار، والأنهار، والفلك لتجري فيهما، قال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾ [إبراهيم: ٣٢]؛ أي: «فهو الذي يسَّرَ لكم صنعتها (أي: السفن)، وأقدركم عليها، وحفظها على تيار الماء لِتحملكم، وتحمل تِجاراتكم،

(١) «المفردات» (٤٠٢)، و«عمدة الحفاظ» (٢/١٨١).

(٢) «تفسير السعدي» (٤١٢).

وأمتعتكم إلى بلدٍ تقصدونه، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ﴾ لِتَسقي حروثكم، وأشجاركم، وتشربوا منها»[1] صالحًا نافعًا لأبدانكم، وحرثكم، ودوابكم.

ويستخرج منها لحمًا طريًّا ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: ١٤]، وجواهر نفيسة حِلْيَة وزينة: ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل: ١٤].

«وسخر لنا سبحانه وسائل النقل: كالجِمال، والخيول، والحمير قديمًا، والسيارات، والطائرات حَديثًا»[2].

وغيرها من التسخير الذي لا يُعدّ ولا يُحصى.

النوع الثاني: التسخير الخاص:

وهو ما سخّره سبحانه لبعض أنبيائه عليهم السلام، مثل: تسخيره سبحانه لِداود عليه السلام: كتسخير الجِبال، والطير للتسبيح، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وقال عز شأنه: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨].

وسخر لسليمان الرِّيحَ تجري بأمره حيث شاء، قال سبحانه: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦]، «وتسخير الشياطين له، يبنون (له) ما يُريد، ويغوصون له في البحر، يستخرجون الدواء والحلي»[3] قال جلَّ جلاله: ﴿وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص: ٣٧].

---

(١) «تفسير السعدي» (٤٢٦).

(٢) أسماء الله الحسنى د. عمر الأشقر (٢٥٩).

(٣) «تفسير السعدي» (٧١٣).

(٥١) صفة الكمال (النَّافع) الجَليلَة

صفة فعلية، خبرية، فطرية، ثبتت بالسنة النبوية.

السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ

(١) عن مصعب بن سعد عن أبيه أنَّ أعرابيًّا قال للنبي ﷺ: عَلِّمْني دُعاءً لعلَّ الله أن ينفعَني به! قال: «**قل: اللَّهُمَّ لكَ الحمدُ كله، وإليكَ يُرجَعُ الأمرُ كُلُّه**»[(١)].

(٢) حديث ثوبان رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**أفضلُ الدينار دِينار يُنفقُه الرجل على عِيالِه، ودِينار يُنفقُه الرجلُ على دابَّتِه في سَبيل الله، ودينار ينفقُه الرجلُ على أصحابه في سبيلِ الله**». (قال أبو قلابة: بدأ بالعِيال ثم قال: «فأيّ رجل أعظم أجرًا من رجل ينفق على عيال صِغار يُعفهم الله، أو ينفعهم الله به، ويُغنيهم)[(٢)].

(٣) كان من دُعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ انْفَعني بِما علَّمْتَني، وعلِّمْني ما ينفعُني، وزِدْني عِلْمًا...**»[(٣)].

(٤) عن حريث بن قبيصة أنه قال لأبي هريرة رضي الله عنه: حدِّثْني بِحَديث سمعته من رسول الله ﷺ، لعلَّ الله أن ينفعَني به، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ أول ما يُحاسب به العبدُ يومَ القِيامَة من عمله: الصَّلاة...**»[(٤)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

النفع: الخير، وهو ضد الضر، وهو ما يُستعار به في الوصول إلى الخَيْرات،

---

(١) حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/٢٤٧) (١٥٧٦).

(٢) مسلم (٩٩٤)، و«صحيح الترمذي» (١٩٦٦).

(٣) «صحيح الترمذي» (٣٥٩٩).

(٤) «صحيح الترمذي» (٤١٣).

وما يتوصل به إلى الخير فهو خير[1].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصَف ربّنا الجليل بالصفة الكمالية الاختيارية النفع، فلا نفع إلّا منه، وبه سبحانه، فهو النافع على الإطلاق، ونفعُه عزَّ شأنُه نوعان: دنيوي، وأخروي:

أمّا الدُّنيوي فقسمان:

القسم الأول: منافع معاشية: فإنَّ الله تعالى هو الذي يوصل النفع إلى مَنْ يَشاء من خلقه، «فكلّ نفع يدر على العبد في الدنيا فهو من الله تعالى، وكل عبدٍ صدر منه منفعة فهو مسخر من الله تعالى بها»[2] وأنواع، وألوان، وبسائط نفعه، لا تعد، ولا تُحصى، فكل ما تتقلب فيه الخَلائق من النِّعم، والصِّحَة، والسَّعادة، والهناء، والجاه، والملبس، والمسكن، والمركب، والزَّوْج، والذُّرِّيَّة، كلها من أفراد منافعِه التي لا تستقصى، وقد جعل الله سبحانه بِحكمته التامَّة أسبابًا منوطة بها، وسبلاً لتحصيلها «فمَنْ سلكها أوصلته إلى المقصود النافع، ومن تركَها، أو ترك بعضَها، أو فوت كمالها، أو أتاها على وجه ناقص ففاته الكمال المطلوب»[3] منها، وهذه المنافع يتقلّب بها كلُّ مَنْ في الأرض والسموات الطوابق، من الإنسان، والحيوان، والنَّبات، والجانّ.

القسم الثاني: منافع شرعِيَّة:

وهي نفع الأرواح، وهو ما يخصه سبحانه من كُتبت لهم السعادَة الأبدية، وهي المنفعة الحَقيقية، الدائمة، الأبدية، الموصلة إلى جَنّاته العلية، بِما يسر

(١) «المفردات» (٨١٩)، و«المصباح المنير» (٣٥٧).

(٢) «الأسنى» (١/٣٥٤).

(٣) توضيح الكافية (١٣١).

وسهل لهم طَرائقها، والوصول إليها من الأعمال الظاهرية، والباطنية، السرية، والعلنية، العلمية، والعَمَلية، وهذه هي «المنفعة الحَقيقية التي تنفعُك في الأخرى، وترفعُك إلى الذُّروة العليا، فحقك أن تحدق إليها عين قلبِك في الدنيا، حتي يُتيحها لك الله تعالى»[(١)].

والنوع الثاني: النفع الأخروي:

وهو النفع الخالص، الصافي من كلِّ الشوائب، في دخول بلاد الأفراح، الخالية من النَّصَب، والأتراح.

(٥٢) صفة الكمال (المُؤلِّف) الجَليلَة

صفة اختيارية سمعية، فطرية، ثابتة بالكتاب الكريم، وسنة المصطفى الأمين ﷺ.

الكِتَابُ الحَكِيم

(١) قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

(٢) وقال سبحانه: ﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الأنفال: ٦٣].

(٣) وقال عز شأنه: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ﴾ [قريش: ١].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ ألف بين قُلوبِنا، وأصلحْ ذاتَ بَيْنِنا...»[(٢)].

---

(١) «الأسنى» (٣٥٤/١).

(٢) أخرجه أبو داود (٩٦٩)، والحاكم واللفظ له (٢٦٥/١) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٦٣٠).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

ألف: الأُلفة: اجتِماع مع التِئام، يقال: أَلَّفت بينهم، ويقال: أَلِف المكان يألفه ألفًا إذا أحبَّه، ولم يطب نفسًا بفراغه، وألفت الأشياء، وألف بينها: جمعت بعضَها إلى بعض. والتأليف: ما جُمع من أجزاء مختلفة، ورُتب ترتيبًا قدم فيه ما حقه أن يقدم، وأخّر فيه ما حقه أن يؤخر[1].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

صفة الائتلاف من الأفعال الاختيارية والتي تقومُ بِذاته تعالى بِمَشيئته، وقدرته، المقترنة بحكمته الباهرة سبحانه، فالله تعالى هو الذي يؤلِّف بين النفوس المُتَنافِرَة، والقلوب المُتَباغضة، والأجسام المتباغضة، والأجساد المتباعدة، ولِهذا كانت هذه الصفة من الصِّفات المحبوبة للأولياء، لأنَّها جاءت في سِياق الامتنان والتذكير بالإخاء، والمودَّة، والمحبَّة، وهي أعظم النِّعَم والآلاء.

فهو تعالى المؤلِّف الذي يؤلِّف «بين المتفرِّقات، والمتبايِنات، والمتماثِلات، والمتضادَّات»[2].

وهذا من أعظم الأدلة على توحُّدِه بالكَمال سبحانه في صفاته العُلا، وأنه هو المنفرد بالخلق، والتدبير، وتصريف الأمور كيف يَشاء، ومتى يشاء جَلَّ جَلَالُهُ، وتعالى في أوصافِه، وأفعالِه، وسُلطانه.

وتأليفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى معاشي، وديني:

أمّا المعاشي: فهو نوعان: معنوي، وحسي، فالأول: المعنوي الذي يشتركُ فيه كُلُّ الخليقة، بِما يؤلفه سبحانه تعالى من المودَّة، والمحبة، بين الزوجَيْن، والأولاد، والأقارب، والأصحاب.

---

(١) انظر: «المفردات» (٨١)، و«عمدة الحفاظ» (١/١٠٠)، و«الصحاح» (٥١).

(٢) «الأسنى» (١/٤٨٠).

والثاني: التأليف الحِسِّي، كما ذكره تعالى في تذكير قريش بنعم الأمن، والأمان، فقال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ الآية.

«أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافِهم الرحلتَيْن، فقد أهلكَ أصحابَ الفيل وجعلهم كعصفٍ مأكول، لإيلاف قريش، يعني: أن ذلك الإتلاف لهذا الإيلاف»(١).

والتأليف الديني الشرعي: وهو: ما يؤلفه الله سبحانه وتعالى بين عِباده الصالحين، من المودَّة، والمحبة، والألفة في الدِّين، كما ذكر سبحانه مُمْتنًّا على الأوس، والخزرج بقوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، «فقد كان بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، وعداوة شديدة، وضَغائن، وفِتَن، ومِحَن، فلما جاء الإسلام، (ألف الله تعالى بينهم)، فاجتمعوا عليه، وتألفت قلوبهم على الإيمان، حتى كانوا كالشخص الواحد»(٢).

بل أخبر سبحانه أن هذه المودَّة وهذه الألفة فيما بينهم وهذا الاجتماع على طاعة الله ورسوله، ومناصرته، ومؤازرته، لم يكن من عمل أحد، ولا بقوة وإرادة وفعل أحدٍ غير الله تعالى، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال: ٦٣].

أي: فلو أنفقت ما في الأرض جميعًا من ذهب وفضة وغيرهما لتأليفهم بعد تلك النفرة والفرقة الشديدة، ما استطعت أن تؤلف بينهم، لأنه لا يقدر على تقليب القلوب إلا الله تعالى، ومن عزَّته أن ألف بين قلوبهم، وجمعها بعد الفرقة(٣).

---

(١) تفسير النسفي (١٣٧٦).

(٢) «تفسر ابن كثير» (١/٥٣٤)، و«تفسير السعدي» (١٤٢).

(٣) انظر: «تفسير السعدي» (٣٢٥).

ولولا حكمته التي يتقن بها ما أراد، بحيث لا يمكن لأحدٍ أن يغير شيئًا منه لما تألفوا[(١)].

(٥٣) صفة الكمال (الاطّلاع) الجَليلة

صفة فعليَّة خبرية، ثابتة بالسنَّة المطهّرة.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) حديث مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فقال: (أما إنّا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «أرواحُهم في جَوف طير خضر، لها قَناديل معلَّقة بالعرش، تسرح من الجَنَّة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القَناديل، فاطلع إليهم ربّهم إطلاعه...»[(٢)].

(٢) قال ﷺ: «يطلعُ الله إلى عبادِه ليلةَ النِّصف من شعبان، فيغفرُ للمؤمنين، ويُمهلُ الكافرين، ويدعُ أهلَ الحِقدِ بحقدهم حتى يدعوه»[(٣)].

(٣) وقال ﷺ: «يجمعُ الله النّاسَ يومَ القِيامَة في صَعيدٍ واحد، ثم يطلِعُ عليهم رَبُّ العالَمين...»[(٤)].

(٤) وقال رسول الله ﷺ لِعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ما يُدريكَ لعلَّ الله اطلعَ على أهلِ بدر فقال: اعملُوا ما شئتم»[(٥)].

---

(١) «نظم الدرر» (٣/٢٣٨).
(٢) مسلم (١٨٨٧).
(٣) «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/٥٤) (٢٧٧١).
(٤) أخرجه أحمد (٨٨١٧)، وصححه شعيب الأرنؤوط (١٤/٤١٥)، والألباني في «صحيح الترمذي» (٢٥٥٧).
(٥) البخاري (٣٠٨١)، ومسلم (٢٤٩٤).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الاطلاع: هو الظهور، والبُروز، والاستشراف من مكان مرتفع، وكل ما بَدا لك من علوٍّ فقد اطلعَ عليك(١).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الاطلاع من أوصاف الله تعالى الفعليَّة العُلا، والتي تقوم به متى شاءَ، واطلاعه تعالى كما يَليق به يكون في الدنيا، والآخرة:

أما في الدنيا: تقدم ذِكْر الأدلة السنية الشريفة التي أخبر بها النبي ﷺ: اطلاعه لأهل بدر، واطلاعه في ليلة النصف من شعبان، وكذلك للشهداء في الجنة، وهذه الصفة الكريمة تتضمن البشارة بالإكرام، والإنعام، والغُفْران.

وأمّا في الآخرة: في عرصاتها، حينَما يطلع سبحانه على جميع خلقِه، كما ثبت في الحديث رقم (٣)، ولهذا ذكر ربوبيته للعالمين بقوله: «**ثم يطلع عليهم رَبُّ العالمين**»، فاطلاعه سبحانه هنالك على ضربين:

الأول: عام لكل أهل الموقف: كما في قوله: «**ثم يطلعُ عليهم رَبّ العالمين، فيقول: ألا ليتَّبع كلّ أناس ما كانوا يعبدون**».

والثاني: اطلاع خاص للمؤمنين، كما في قوله ﷺ: «**فيطلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا تتبعون الناس؟ فيقولون: نعوذ بالله منك، نعوذُ بالله منك، الله ربّنا، وهذا مكانُنا، حتى نرى رَبّنا، وهو يأمرُهم، ويثبتهم...، ثم يَتَوارى ـ أي: يستتر عنهم ـ، ثم يطلع فيعرفهم نفسَه ثم يقول: أنا ربُّكم، فاتبعوني، فيقوم المسلمون، ويوضعُ الصِّراط...**».

---

(١) «مقاييس اللغة» (٥٣٥)، و«القاموس المحيط» (٨٠٨)، و«المصباح المنير» (٢١٧).

يقول ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّما استعاذوا منه أولًا، لأنهم اعتقدوا أن ذلك الكلام استدراج، لأنَّ الله تعالى لا يأمر بالفحشاء، ومن الفَحْشاء اتباعُ الباطل وأهله، ولِهذا وقع في الصَّحيح: «**فيأتيهم الله في صُوَرٍ**»؛ أي: بصورة لا يَعْرِفونها، وهي الأمر باتباع أهلِ الباطل، فلِذلك يقولون: إذا جاء رَبُّنا عرفناه؛ أي: إذا جاءنا بِما عهدناه منه من قول الحقِّ»[(١)].

وهذا اطلاع منه لأوليائه مزية خاصَّة بهم، خلاف غيرهم، كما في قوله: «**فيعرفهم نفسه**»؛ «أي: يلقي في قُلوبهم علمًا قطعيًّا يعرفون به أنه رَبّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»[(٢)].

وكذلك في أمره لهم بقوله: «**أنا رَبُّكم فاتبعوني، فيقومُ المسلمون**».

واطلاعه سبحانه من الأدلَّة الصريحة الدالَّة على علوه سبحانه فوق جَميعِ خلقه، سواء كان هذا الاطلاع في الدنيا أو في الأخرى، لأن الاطلاع كما تقدم لا يكونُ إلّا من علوّ، والله متصفٌ به على الدَّوام، لا ينفك عنه بِحال.

(٥٤) صفة الكمال (المُقَلِّب) الجَليلة

صفة فعلية، سمعية فطرية، ثبتت بالقرآن الكريم، وسنة المصطفى الأمين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠].

(٢) وقال عز شأنه: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨].

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٦/٤٢٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) وقال سبحانه: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [النور: ٤٤].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كثيرًا ما كان النبي ﷺ يحلف: **«لا، ومُقلِّب القُلوب»**[(١)].

(٢) عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: **«يا مُقلِّب القُلوب ثَبِّتْ قلبي على دِينِك»**، فقلت: يا رسول الله آمنّا بك وبما جئت، فهل تَخافُ علينا؟ قال: **«نعم، إنَّ القلوب بين إصبعين من أصابع الله، يُقَلِّبُها كيفَ يَشاء»**[(٢)].

(٣) وقال ﷺ: **«قال الله عَزَّوَجَلَّ: يؤذيني ابنُ آدم، يَسُبُّ الدهرَ، وأنا الدَّهْر، بيدي الأمر، أقلبُ الليلَ والنَّهارَ»**[(٣)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

قلب الشيء: تصريفه، وصرفه عن وجه إلى وجه، كقلب الثوب، وقلب الإنسان؛ أي: صرفه عن طريقتِه. والانقلاب: الانصراف. وسمي قلب الإنسان لِكَثرة تقلبه[(٤)]، كما جاء عن رسول الله ﷺ: «إنَّما سُمِّيَ القلب من تقلُّبِه، إنَّما مَثَلُ القلبِ كمثل رِيشَةٍ معلَّقة في أصلِ شَجَرةٍ، يُقَلِّبُها الريحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ...»[(٥)].

---

(١) البخاري (٦٦١٧) (٦٦٢٨).

(٢) «صحيح الترمذي» ((٢١٤٠).

(٣) البخاري (٢٨٤٦) (٦١٨١)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٤) «المفردات» (٦٨١).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (١٩٦٦١)، وانظر: صحيح ابن ماجة (٨٨)، و«السنة» لابن أبي عاصم (٢٢٧، ٢٢٨).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

من أفعال الله تعالى التي ليس لها عد، ولا منتهى، صفة التقليب، فهو تعالى المقلب لِمَن شاء.

وقد جاء التقليب في فِعله إلى أربعة أقسام:

الأول: تقليب الجَنَان.

الثاني: تقليب الأبصار.

الثالث: تقليب الأبدان.

الرابع: تقليب الأزمان.

أما الأول: تقليب الجنان، فقد كان ﷺ يتوسل إليه بها في تثبيت قلبِه، الذي هو رأس الأركان، وموضع نظر الرحمن: «**يا مُقَلِّب القلوب ثبِّتْ قلبي على دِينِك**»، بل كان أكثر دعواته، كما أخبرت بذلك أمُّ المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، وقد بيَّن ﷺ سببَ ذلك بقوله: «**يا أمَّ سلمة! إنه ليس آدمي إلّا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله، فمَنْ شاءَ أقامَ، ومَنْ شاء أزاغ**»[(١)].

والتقليب الثاني: تقليب الأبصار: فقد أخبر سبحانه كما في سورة الأنعام، أنه تعالى سيجازي ويُعاقب لمن لم يؤمن من أول مرَّة بعد إتيان الداعي، وقِيام الحجة، بتقليب القلوب عن قبول الحَقّ، والأبصار عن رؤية الحق[(٢)]، جزاءً عدلًا، وحَقًّا من العدل الحَكيم.

والتقليب الثالث: تقليب الأبدان، كما حكى تعالى عن أهل الكهف: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨]، وهذا من حِفظِه لأبدانهم،

---

(١) «صحيح الترمذي» (٣٥٢٢).

(٢) انظر: «تفسير السعدي» (٢٦٩)، وتفسير النسفي (٣٣٨).

لأن الأرض من طَبيعتها أكل الأجسام المتصلة بها، فكان من قدر الله تعالى أنْ قلَّبهم على جُنوبهم يَمينًا وشِمالًا، والله تعالى قادرٌ على حِفظِهم من الأرض، من غير تقليبٍ، لكنه تعالى حَكيم، أراد أن تجري سنته في الكون، ويربط الأسباب بِمُسَبباتها[1].

والتقليب الرابع: تقليب الزمان: وهو كما تقدَّم، أنه تعالى يقلب الليلَ والنَّهار، فيأتي هذا عقب هذا، ويطول كل واحد منهما في زمن، ويقصر الآخر في زمن آخر، وما يترتب على ذلك من المَنافع الجلال للأنام.

(٥٥) صفة الكمال (بديع السموات والأرض) الجَليلَة

صفة فعلية نقلية عقلية، جاءت بالكتاب، والسنَّة.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [البقرة: ١١٧]، [الأنعام: ١٠١].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلًا يقول: اللَّهُمَّ إنِّي أسألُك بأنَّ لك الحمد، لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، المَنّان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجَلال والإكرام. فقال النبي ﷺ: «**لقد دَعا الله باسمه الأعظم، الذي إذا دُعِيَ به أجابَ، وإذا سُئِلَ به أعطى**»[2].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

البديع: المبدع، ويقال: أبدعت الشيءَ إذا جئت به فردًا لم يُشاركك فيه

(١) «تفسير السعدي» (٤٧٢).

(٢) صححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٤٩٥)، وصحيح ابن ماجة (٣٨٥٨) وغيرهما.

غيرك. وابتدعه: أنشأه وبدأه، قولًا كان أو فعلًا.

والبدع: الأول من كل شيء، فالابتداع هو: اختراع الشيء لا على مِثال سابق[(١)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف رَبّنا نفسه بأنه بديع السموات والأرض؛ أي: أنه تعالى هو المنشئ، والمحدث لها بعد أنْ لم تكن، فهو سبحانه أوجدَهما من غير أصل، ولا مِثال، ومن غير عَوين، ولا نَصير، ولا مساعد على أمر يكون، فأبدعَهما وما فيهما، بغاية الحسن من الخلق البَديع، والنِّظام العَجيب، المحكم المتقن[(٢)]، الذي لا يَعتريه خلل، ولا زَلل، «فأظهر عَجائب صَنعته، وغَرائب حِكمتِه»[(٣)].

(٥٦) صفة الكمال (المُطهِّر) الجَليلة

صفة فعلية خبرية، فطرية ثابتة بالكتاب الحكيم، وسنة النبي الأمين ﷺ.

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

(١) قال عز شأنُه: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

(٢) وقال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [الأنفال: ١١].

---

(١) انظر: «كتاب العين» (١/١٢١)، و«اللسان» (١/٢٢٩)، و«المفردات» (٧٧٧).

(٢) انظر: «شأن الدعاء» (٩٦)، واشتقاق أسماء الله (٧٣)، و«تفسر ابن كثير» (٣/٢٢٣)، و«تفسير القرطبي» (١/٥٨٠)، و«تفسير السعدي» (٥/٤٩٠).

(٣) تفسير الأسماء الحسنى للرازي (٣٣٥).

(٣) وقال سبحانه: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢].

(٤) وقال جَلَّالَهُ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) كان من دُعاء النبي ﷺ: **«اللَّهُمَّ طَهِّرْني من الذُّنوب والخَطايا، اللَّهُمَّ نَقِّني منها كما يُنَقَّى الثوب الأبيضُ من الدَّنَس، اللَّهُمَّ طَهِّرْني بالثَّلج، والبَرَد، والماء البارد»**[١].

وفي رواية: **«اللَّهُمَّ طَهِّرْني من الذُّنوب كما يُطَهَّر الثوبُ الأبيضُ من الدَّنَس»**[٢].

(٢) وعن أمِّ سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت: هذا ما سأل محمد ﷺ ربَّه: **«...اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ أن ترفعَ ذِكْري، وتضعَ وِزْري، وتُصلحَ أمري، وتُطَهِّرَ قلبي...»**[٣].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الطهر: خِلاف الدَّنس، ويدل على النَّقاء.

والتطهير: التنزُّه والكَفُّ عن الذَّمّ، والإثم، وكل قَبيح.

والطهارة ضَرْبان: طهارة بَدَن، وطهارة نفس، وحمل عليهما عامَّة الآيات في الكتاب. يقال: طهرته فطهر، وأطهر فهو طاهر، ومتطهر[٤].

---

(١) مسلم (٤٧٦)، و«صحيح النسائي» (٤٠٢).

(٢) «صحيح النسائي» (٤٠٣).

(٣) أخرجه الحاكم (١٤٢٢) وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه الطبراني في الدعاء (١٤٢٢)، وحسن إسنادَه محقق الكتاب (١٤٦٥/٣).

(٤) «المفردات» (٥٢٥)، و«كتاب العين» (٦٢/٣)، و«معجم مقاييس اللغة» (٦٢/٣).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

من صِفات رَبِّنا تبارك وتعالى الاختيارية العليَّة، أنه هو «المطهر[(١)] مَنْ شاء من عَبيده، بِما منحهم من توفيقِه، ورزقهم من طاعته، وتوحيدِه، فكل طهارة منه فضل، وغيرها منه عدل»[(٢)].

وتطهيره سبحانه لعباده نوعان: طهارة حِسِّيَّة ظاهرية، وطهارة معنوية باطنية.

وقد جمع الله تعالى بينهما للنبي ﷺ وصحبه في بدر، كما في قوله سبحانه: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

فقوله: «﴿لِّيُطَهِّرَكُم﴾؛ أي: من حدث أصغر، أو أكبر، وهو تطهير الظاهر. ﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾؛ أي: من وسوسته أو خاطر سيء، وهو تطهير الباطِن، كما قال في حَقِّ أهل الجنة: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ٢١]، فهذا زين الظاهر، ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]؛ أي: مطهرًا لِما كان من غِلٍّ، أو حسد، أو تباغُض، وهو زينة الباطنِ وطهارته. ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾؛ أي: بالصبر والإقدام على مُجالَدة الأعداء، وهو شجاعة الباطن. ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ وهو شجاعة الظاهر، والله أعلم»[(٣)].

---

(١) المطهر من الصفات الفعلية المتعدية؛ أي: تتعدَّى إلى مخلوقاتِه، وقد أخطأ من جعلها لازمة، فقد ذكر القرطبي في «الأسنى» (٢٨٧) أنه «الطاهر المقدس عن الأدناس»، وهذا المعنى وإن كان صحيحاً في حَقِّه تعالى، لكن جاءت الصفة متعدية، إذ إن معنى المُطَهِّر يتضمن الطهارتين، الطهارة باعتبارها صفة قائمة بذاته العلية، والطهارة المتعدية لغيره سبحانه، فهو «الطاهر المنزه عن الأدناس، المطهِّر من شاء من الناس».

(٢) «الأسنى» (٢٨٧).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/٤٠١).

(٥٧ ـ ٥٨) صفتا الكمال (المُعِز) (المُذِل) الجَليلَتان

صفتان فعليتان سمعيتان، وفطريتان، جاءتا بالوحْيَيْن: الكتاب والسنة.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بلغَ الليلُ والنَّهار، ولا يتركُ الله بيتَ مَدَرٍ، ولا وَبَرٍ، إلّا أدخلَه الله هذا الدِّينَ، بِعِزِّ عزيز، أو بِذُلِّ ذَليل، عِزًّا يُعز الله به الإسلامَ، وذُلًّا يُذِلُّ الله به الكفرَ».

وفي رواية: «لا يَبقى على ظهرِ الأرضِ بيتُ مَدرٍ، ولا وبرٍ، إلّا أدخلَه الله كلمةَ الإسلام، بعزِّ عزيزٍ، أو ذلِّ ذَليلٍ، إما يعزهم الله عَزَّ وَجَلَّ فيجعلهم من أهلِها، أو يُذِلُّهم فيَدينون لها». وكان تميم الداري يقول: قد عرفتُ ذلك في أهلِ بيتي، لقد أصابَ مَنْ أسلم منهم الخير، والشرف، والعِزّ، ولقد أصاب من كان منهم كافِرًا الذُّلّ، والصَّغار، والجزية»[(١)].

(٢) قال رسول الله ﷺ لِمُعاذ رضي الله عنه: «ألا أعلِّمُك دعاءً تدعو به، لو كانَ عليكَ مثل جبلِ أُحُدٍ دَيْنًا لأَدّاهُ الله عنك! قل يا مُعاذ: اللَّهُمَّ مالك المُلْكِ، تُؤتي الملكَ مَنْ تَشاء، وتنزِعُ الملكَ مِمَّنْ تَشاء، وتُعِزُّ مَنْ تَشاء، وتُذِلُّ مَنْ تَشاء..»[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٦٨٩٤) (٢٣٧٠٤)، وصحح إسنادهما محققو المسند (٢١١/١٣) (١٣٥/١٧).

(٢) «صحيح الترغيب والترهيب» (٨٢١).

(٣) قال ﷺ: «اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامِ بِأَحَبِّ الرجلَيْن إليك: أبي جهل، أو بِعُمَر بن الخَطّاب»[١].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

المعزّ: العِزّة هي: الشدَّة، والقوة، والغَلَبَة، يقال: أعززته وعززته إذا قويته، وفي المَثَل: (مَنْ عَزَّ بَزّ)؛ أي: من غلبَ سلب. والعزة: الرِّفعة، والامتناع. ويقال: أعزَّه الله: قواهُ بعد ذِلَّة[٢].

المذل: الذل: الخضوع، والاستكانة، واللِّين، وهو ضِدّ العز، وهو ما كان عن قهر، يقال: ذَلَّ يذلُّ ذُلًّا[٣].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الله تبارك وتعالى هو المعزّ المذلّ على الإطلاق:

(١) «الذي بيده العزة، والإذلال، الحسي، والمعنوي، (الدنيوي والأخروي)، مَنْ شاء أذلَّه، ومَنْ شاء أعزَّه»[٤].

(٢) فهو تعالى المعز: الميسر أسباب المنعة. والمُذِلّ: هو المعرض للهوان، والضعة[٥].

(٣) الذي يُعِزّ أنبياءه، ورسله، وأتباعَهم، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

(٤) وأعزَّ أولياءَه، وأظهرَهم على أعدائه في الدنيا، ودار الكَرامة في العُقْبى

---

(١) «صحيح الترمذي» (٣٦٨١).

(٢) «اللسان» (٥/٢٩٢٤)، و«معجم مقاييس اللغة» (٤/٣٩).

(٣) «المفردات» (٣٣٠)، و«اللسان» (٣/١٥١٣).

(٤) انظر: «تفسير سورة آل عمران» لابن عثيمين (١/١٦١).

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي (١/٢١١).

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [المجادلة: ٢١].

(٥) وأذلَّ أهلَ الظلمِ والطغيان في الدنيا: بأن ضربَهم بالرِّق والجزية، والصَّغار، والهَوان، وسوء المآل في الأخرى.

(٦) الذي أعزَّ أولياءه بِمَدْحِهم، ورفع شأنهم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] وأذلَّ أعداءهم بِذَمِّهم: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].

(٧) وأعزَّ أولياءه بِطاعته، وعبوديته، وأذَلَّ العاصين بخذلانِه حتى واقعوا المعصيةَ[(١)].

(٨) فإن المطيع لله عزيز، وإن كان فَقيرًا ليس له أعوان، والعاصي ذَليل، وإنْ ظهر بِمَظاهر العِزّ، فقلبه حشوه الذُّلّ، وإنْ لم يشعر به، لانغماسِه في الشهوات[(٢)].

(٥٩) صفة الكمال (الباعِث) الجَليلة

صفة فعلية خبرية، فطرية، عقلية، ثابتة بالكتاب والسنَّة.

الكِتَابُ الْحَكِيم

(١) قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ [الأنعام: ٦٠].

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧].

(٣) وقال عز شأنه: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابٗا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعٗا﴾ [الأنعام: ٦٥].

---

(١) انظر: «شأن الدعاء» (٥٨)، و«المنهاج» (١/٢٠٨)، و«الأسنى» (١/٣٧٠)، و«شرح النونية» للهراس (١/١١٢).

(٢) «الحق الواضح» (٨٩).

(٤) وقال جل ثناؤه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

(٥) وقال ﷻ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أرادَ أن يَنام وضعَ يدَه تحت خَدِّه ثم قال: «اللّٰهُمَّ قِني عَذابَك يوم تبعثُ عِبادَكَ»(١).

(٢) وعن علي رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ طَرَقَهُ وفاطمةَ فقال: «ألا تُصَلُّون؟» فقلت: يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا شاءَ أن يبعثَنا بعثَنا...(٢).

(٣) وعن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل...»(٣).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الباعث: من البعث، وهو الإرسال، وأصله: تحريك ساكن، وإثارة كامن، يقال منه: بعثت الشيء من مَكانه إذا أثرته، ويختلف البعث بحسب اختلاف ما علق به، فبعثت البعير: أثرته وسيرته، ومنه: بَعَثَ الموتى: نشرهم وسيرهم إلى يوم القِيامة، فالبعث: الإحياء من الله تعالى لِلمَوتى، وبذلك سمي يوم القِيامة: يوم البعث، قال سبحانه: ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦]؛ يعني: يوم الحشر. وبعثتُ الرجل من نومه فانبعثَ؛ أي: نبهته فانتبه. وتقول: بعثت فلانًا في حاجة إذا أرسلته، ومنه قوله تعالى مُخْبِرًا عن الكفار: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى

(١) صححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٣٣٩٨).
(٢) البخاري (١١٢٧)، (٧٣٤٧)، ومسلم (٧٧٥).
(٣) البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٣).

بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾ [الفرقان: ٤١][1].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصف رَبّنا تبارك وتعالى بأنَّه الباعث على الإطلاق: الذي يبعث من يشاء، متى شاء، وكيف شاء، وبِما شاء، وهذا البعث بكل أفراده وأنواعه مقرون بحِكمته العليَّة، فهو سبحانه لا يفعل إلّا عن حكمة، ومصلحة، ومنفعة.

وهذه الصفة العلية لها معان عديدة في الدنيا، وفي الدار الأخروية، فهو «يختص ببعث الأرواح، والأجساد، والرسل، والخواطر إلى غير ذلك»[2].

فمن معانيه في الدنيا: «أنه تعالى باعث الرسل إلى الخلق، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾ [النحل: ٣٦].

(١) فهو الذي حرك الرسل لِدُعاء الخلق، وأظهرَهم.

(٢) وهو الذي حرَّك الرسلَ لِدُعاء عبادِه إلى الطاعة.

(٣) وهو الذي بعثَ عبادًا له على بني إسرائيل.

(٤) وهو الذي يبعث الكسير، وينعشه.

(٥) إنه تعالى يبعث عبادَه عند العجز بالمَعونة والإغاثة، وعند الذنب بِقَبول التوبة»[3].

وفي الآخرة: «هو الذي يبعث مَنْ في القُبور أحياءً يوم البعث، والنُّشور، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧].

(١) «المفردات» (١٣٢ـ١٣٣)، و«اللسان» (١/٣٠٧ـ٣٠٨)، و«الصحاح» (٩٧)، و«الأسنى» (١/٤٧٥ـ٤٧٦).
(٢) «الأسنى» (١/٤٧٦).
(٣) «الأسنى» (١/٤٧٦)، و«شرح الأسماء الحسنى» للرازي (٢٧٦).

(١) فهو سبحانه يبعث الخلق كلهم إنسهم وجِنَّهم، (وحتى البَهائم)، كما بدأهم لِيوم لا شكَّ فيه، فهو يبعثهم من المَمات، ويبعثهم للحِساب؛ أي: يُحييهم خلقًا جَديدًا بعد أنْ كانوا عظامًا، ورُفاتًا، وتُرابًا ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

(٢) وهو الذي يبعثُ عبادَه عند السقطة، وينعشهم بعد الصرعة»[١].

(٦٠) صفة الكمال (الجَعْل) الجليلة

صفة من صِفات الله تعالى الاختيارية، المتجددة، المتعلقة بِمَشيئته سبحانه[٢]، وهي صفة خبرية نقلية.

الكِتَابُ الحَكِيمِ

(١) قال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧].

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النحل: ٧٢].

(٣) وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «**جعل اللهُ الحسنةَ بعشرِ أمْثالِها، الشهر بعشر أشهرٍ، وصِيام ستة أيام بعد الشَّهْر تَمام السَّنة**»[٣].

(٢) عن عبد الله بن يزيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**جعلَ الله عَذابَ هذه الأمَّة في دُنْياها**»[٤].

---

(١) «شأن الدعاء» (٧٥)، وتفسير أسماء الله الحسنى (٥٣)، والحجة في بَيان المحجة (١/١٥٣)، والأسماء والصفات (١/٣٠٢).

(٢) «تفسير سورة النساء» لابن عثيمين (١/١٢٨، ٢٨٣).

(٣) صححه الألباني في: «صحيح الجامع» (٣٠٩٤)، وفي الإرواء (٩٥٠).

(٤) «صحيح الجامع» (٣٠٩٦)، و«الصحيحة» (٩٥٩).

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**جعلَ اللهُ الرحمةَ مائةَ جزء، فأمسكَ عندَه تسعةً وتِسعين جُزْءًا، وأنزلَ في الأرضِ جُزءًا واحِدًا...**»[1].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

جعل: لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعمّ من فَعَل، وصنع، وسائر أخواتها.

ويأتي لِمَعان:

أحدها: الخلق والإحداث، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، فيتعدى لواحد.

والثاني: التصيير، وهو على ضربَيْن: الأول تصيير بالفعل، نحو: جعلتُ الطينَ خزفًا. والثاني: تصيير بالقول، نحو: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩].

والثالث: التشريع، كقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ..﴾ [المائدة: ١٠٣]؛ أي: ما شرع.

وتصل المَعاني اللغوية فيه إلى سبعة معانٍ[2].

الجعل المُضاف إلى الله تعالى على ثلاثة أوجه:

الأول: بمعنى القول.

والثاني: بمعنى الخلق.

والثالث: التصيير حقيقة، أو حكمًا[3].

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (١٦٣٤)، وفي «صحيح الجامع» (٣٠٩٥).

(٢) «عمدة الحفاظ» (١/٣٢٨)، و«المفردات» (١٩٦ ـ ١٩٧).

(٣) انظر: الأشباه والنظائر (١١٠). وذهب ابن القيم رحمه الله أن الجعل إذا أطلق على الله تعالى بمعنيين: أحدهما: الإيجاد والخلق، والثاني: التصيير. انظر: شفاء الغليل (١/٣٩٧).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصف رَبّنا جَلَّ جَلَالُهُ بأنه هو: الجاعل، وهو من الأفعال المتعدية والتي تقع شيئًا فشيئًا تبعًا لحكمته، وإرادته، وقدرته سبحانه.

ووصف الله عَزَّوَجَلَّ بالجعل ينقسم في حَقِّه إلى قسمَيْن:

الأول: جعل شرعي. والثاني: جعل كوني قدري.

الجعل الشرعي: وهو أكثر ما في القرآن، من أمثلته قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧].

وقوله سبحانه: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣]؛ أي: ما جعلهم شرعًا، وإنْ كان قد جعلهم قدرًا، فإنه تعالى قد جعلَ البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام ـ موجودة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥].

وكقوله سبحانه: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٣٣].

والثاني: الجعل الكوني القدري: كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ: ٩ ـ ١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦].

والفرق بين الجعل الشرعي والجعل القدري، كالفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، فالجعلُ الشرعي محبوب إلى الله تعالى، وقد يقعُ من العِباد وقد لا يقع، والجعل الكوني لا يتعلق بِما يُحبه فقط، بل يكون فيما يحبه، وفيما لا يُحبه، وهو واقع ولا بد[(١)].

(١) «تفسير سورة النساء» لابن عثيمين (١/١٢٨، ١٥٧، ٢٨٣).

(٦١ ـ ٦٢) صفتا الكمال (المُحْيي) و(المُميت) الجَليلتان

صفتان فعليتان، نقليتان، فطريتان، ثابتتان في الكتاب والسُّنَّة.

الكِتَابُ الحَكِيمُ

(١) قال جل ثناؤه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الجاثية: ٢٦]

(٢) وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٦].

(٣) وقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ﴾ [ق: ٤٣].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خدِّه ثم يقول: «**اللّٰهُمَّ باسمِكَ أموتُ وأحيا**»، وإذا استيقظ قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدَما أماتَنا وإليه النُّشور**»(١).

(٢) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يتمنَّين أحدُكم الموتَ لِضُرٍّ نزلَ به، فإنْ كانَ ولا بُدَّ متمَنِّيًا لِلمَوْتِ فليقل: اللّٰهُمَّ أحْيِني ما كانت الحياةُ خيرًا لي، وتَوَفَّني إذا كانت الوفاةُ خيرًا لي**»(٢).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الحياة: خِلاف الموت، ويسمى المطر حيًّا، لأن به حياة الأرض(٣).

والموت: خلاف الحياة أيضًا. والموتان: الأرض لم تحي بعد بزرع ولا

---

(١) البخاري (٦٣١٢).

(٢) البخاري (٦٣٥١)، ومسلم (٢٦٨٠).

(٣) «معجم مقاييس اللغة» (٢/١٢٢)، و«لسان العرب» (٢/١٠٧٥).

إصلاح، وكذلك الموات[1].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الله ﷻ هو المحيي المميت: فهو سبحانه الذي خلق الموتَ والحياة، لا خالق سِواه، وقد تمدح سبحانه بالإماتة كما تمدح بالإحياء، ليعلم أن مصدر الخير والشر، والنفع والضّرّ، من قِبَله، وأنه لا شريك له في الملك، وقد استأثرَ البقاء، وكتب على خلقه الفَناء.

وإحياؤه وإماتته سبحانه نوعان: حسي، ومعنوي:

الأول: الحِسِّيّ: فهو المحيي سبحانه الذي أحيا الخلقَ بأن خلقَ فيهم الحياةَ، فيحيي النطفة الميتة، فيخرج منها النسمة الحية، ويحيي الأرض بعد موتِها، بإنزالِ الغيث، وإنبات النبات والعشب، وعنهما تكون وتقوم الحياة، ويحيي الأجسامَ البالية، بإعادة الأرواح إليها عند البعث.

وهو المميت: الذي يُميت الأحياءَ، ويوهن بالموت قوةَ الأصحّاء الأقوياء، فهو سبحانه يحيي ويُميت، وهو على كل شيء قدير.

النوع الثاني: الإحياء والإماتة المعنوية: فهو سبحانه يحي القلوب والنفوس الميتة، بِنُور الهُدى، والمعرفة، والإيمان، واليَقين، فبه سبحانه حيت القلوب من الكفر، والجهل، والنكران[2]، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، يُميتُ القلوب بِظُلمات الجهل، والشرك، والكفران، قال ﷺ: **«مَثَلُ الذي يَذْكُر رَبَّه والذي لا يَذْكُره، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّت»**[3].

---

(١) «اللسان» (٤٢٩٤/٧ـ٤٢٩٧)، و«معجم مقاييس اللغة» (٢٨٣/٥).

(٢) ينظر: اشتقاق أسماء الله (١٤٠)، و«شأن الدعاء» (٧٩ ـ ٨٠)، والتوحيد لابن منده (٨٤/٢)، والاعتقاد (٣٦)، و«الأسنى» (٣٨٣/١ـ٣٨٤) بتصرف كبير.

(٣) البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩).

(٦٣) صفة الكمال (المُباهي) الجَليلة

صفة فعلية اختيارية، سمعية، ثبتت بالسنة المطهرة.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: «**ما أجلسكم؟!**» قالوا: جلسْنا نذكر الله ونحمدُه على ما هَدانا للإسلام، ومَنَّ به علينا. قال: «**آللّه ما أجلسَكم إلّا ذاك؟**» قالوا: والله ما أجلسنا إلّا ذاك. قال: «**أما إنِّي لم أستحلِفْكم تهمةً لكم، ولكنَّه أتاني جبريل فأخبرني أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يُباهي بكم الملائكة**»(١).

(٢) وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: صَلّينا مع رسولِ الله ﷺ المغرب، فرجعَ مَن رجع، وعقَّب مَن عَقَّب، فجاء رسولُ الله ﷺ مسرعًا قد حفزه(٢) النَّفَس، قد حسر(٣) عن رُكْبَتَيْه، قال: «**أبْشِروا، هذا ربُّكم قد فتحَ بابًا من أبواب السماء، يُباهي بكم الملائكة، يقول: انْظُروا إلى عِبادي، قد قَضَوا فريضةً، وهم ينتَظِرونَ أخرى**»(٤).

(٣) وقال ﷺ: «**إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يُباهي ملائكتَه عشيةَ عرفة بأهل عرفة، فيقول: انظُروا إلى عِبادي، أتَوْني شُعْثًا غُبْرًا**»(٥).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

المُباهاة: المُفاخرة. وتباهوا: تفاخروا. وأصل البهاء: الحسن، والجمال.

---

(١) مسلم (٢٧٠١).

(٢) «حفزه النفس»؛ أي: شاقَّه وتعَّبه من شدة سَعْيه.

(٣) «حسر»؛ أي: كشف عن ركبتيه. من كلام المنذري. «صحيح الترغيب والترهيب» (١/٣٠٩).

(٤) صححه الألباني في صحيح ابن ماجة (٨٠١)، وفي «السلسلة الصحيحة» (٦٦١).

(٥) أخرجه أحمد (٧٠٨٩)، (٨٠٤٧)، وصححه شعيب الأرنؤوط وقال: صحيح على شرط مسلم (١١/٦٦٠) (١٣/٤١٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١١٣٢) (١١٥٣).

وفلان يُباهي بِماله؛ أي: يفخر، ويتجمل بهم على غيرِهم، ويظهر حسنهم[١].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

المُباهاة من صفات الأفعال الاختيارية الجَليلة، والتي تدلُّ على كَماله المطلق من كل وجهٍ، وذلك أنه من كَماله سبحانه أنه فَعّال لِما يُريد، وكيف يُريد، ومتى يريد، في أي وقت يريد، وهي كمال عند وُجود أسبابِها، لأنَّ أفعالَه كلها مقترنة بحكمته الباهرة، فالله تبارك وتعالى يُباهي مَنْ يَشاء من أوليائه، وأحبائه عند وجود أسبابه، ومتعلقاته، فمُباهاة الله ﷻ متعلقة بالمكان، والزَّمان، وكذلك بالأعمال، والأحوال.

تعلقه بالزمان، والمَكان في: يوم عرفة بعرفة كما تقدم ذِكْرُ ذلك.

تعلقه بالأعمال: الصلاة، وانتظار أختها.

والأحوال هو: الاجتماع في ذِكْره، والثَّناء عليه بما هو أهله، وذِكر سابق إنعامِه وإحسانه، ومعنى قوله ﷺ: «**إنَّ الله يُباهي بكم الملائكة**» «معناه: يُظهر فضلكم لهم، ويُريهم حسنَ عملكم، ويُثني عليكم عندَهم»[٢].

ومُباهاته سبحانه تقتضي الإنعام، والإحسان، والتقريب، والإكرام، فإذا كان أحدٌ مِنّا يذكره المُلوك، والعُظَماء، والوُجَهاء عند خَواصِّهم، فما ظَنُّك بما يتفضلون عليهم؟! وما ظَنُّك يا عبد الله بِمَلك المُلوك، وعَظيم العُظَماء، ورب الأرض والسموات، فالأمر أجل، وأوسع من أن تُدركه العُقول، والأفهام، فينبغي للعبد الصادق أن يتقربَ إلى الله بكل سببٍ ووسيلة شرعية، تقتضي هذه الصفة العليَّة.

---

(١) «القاموس المحيط» (١٣٩).

(٢) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٩/٢٨).

(٦٤) صفة الكمال (الكَفيل) الجَليلة

صفة فعلية خبرية، عقلية، ثبتت بالكتاب، وفي السنة النبوية.

الكِتَابُ الْحَكِيمُ

قال ﷻ: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قصة الرجل من بني إسرائيل، الذي أسلف آخر ألفَ دينار، وفيه أنه قال: «... **اللَّهُمَّ إنْ كنتَ تعلمُ أنِّي كنتُ تسلفت فلانًا ألفَ دِينار، فسألَني كَفيلًا، فقلتُ: كفى بالله كَفيلًا، فرضيَ بك**»[١].

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**تَكَفَّلَ اللّهُ لِمَنْ جاهدَ في سَبيله، لا يُخرجُه إلّا الجِهاد، وتصديق كلماتِه، بأنْ يُدخلَه الجَنَّةَ، أو يرجعَه إلى مَسْكَنِه...**»[٢].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الكَفيل: الضّامِن، والعائل. والكفل: الحظ، والنَّصيب الذي فيه الكَفالة، كأنه تكفل بأمرِه. واشتقاقه من الكَفالة وهي الضمان. ويقال: تكفلَ بالشيء إذا ألزمَه نفسَه، فأزالَ عنه الضيعة والذَّهاب. وفي الحديث: «**أنا وكافِلُ اليَتيمِ كَهاتَيْن في الجَنَّة، له ولِغَيرِه**»؛ أي: القائم بأمر اليتيم، المُرَبِّي له. وقيل: اشتقاقه من الكفل الذي هو الكِساء الحاوي لِلراكب، فالمادة تدلُّ على الحِفظ، فإن الكفالة بمعنى الضَّمان تقتضي ذلك، فالكفالة هي الالتزام وذلك يكون

---

(١) البخاري (٢٢٩١).

(٢) البخاري (٧٤٥٧).

بالقول، وذلك من صِفات الكلام، وقد يقال للعائِل كافل إذا عالَ المرء، وأنفقَ عليه، لأنه فعل فِعْلَ الملتزم[(١)]، لذلك فإنه سبحانه كَفيل بالمَعْنَيَيْن جَميعًا، في بابي الدنيا، والدِّين: أما في الدِّين فبقوله: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وشبهه، وأما في الدنيا: فلأن الخلق عباده، يستدرون خَزائنَه، ويستعيذون من نِقمه[(٢)].

فالكفيل بمعنى: الوكيل، والشهيد، والحَفيظ، والضّامِن، والعائل[(٣)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الله تبارك وتَعالى هو الكافي لكل الخَليقة، وكفالته سبحانه لهم نوعان: كفاية عامة، وكفاية خاصة:

فالعامة: أنه سبحانه «هو المتقبل للكفايات، وليس ذلك بعقد، وكفالة، كَكفالة الواحد من النّاس، وإنما هو على معنى أنه لَمّا خلق المحتاج، وألزمه الحاجة، وقدر له البَقاء الذي لا يكون إلّا مع إزالة العلة، وإقامة الكِفاية، لم يُخله من إيصال ما علق بقاؤه به إليه، وإدراره في الأوقات والأحوال عليه.

وقد فعل ذلك رَبُّنا جل ثناؤه، إذ ليس في وسع مرتزق أن يرزق نفسَه، وإنما الله جل ثناؤه يرزق الجماعةَ من الناس، والدّوابّ، والأجنة في بُطون أمَّهاتها، والطير تغدو خِماصًا، وتروح بِطانًا، والهوام، والحَشَرات، والسباع في الفلوات»[(٤)].

وهذه الكفالة لكل الخلق في السموات والأرض، بالوكالة، والحفظ،

(١) «عمدة الحفاظ» (٣/٤١٢ ـ ٤١٣)، و«اللسان» (٧/٣٩٠٥ ـ ٣٩٠٧)، و«معجم مقاييس اللغة» (٥/١٨٧ ـ ١٨٨).
(٢) «الأسنى» (١/٥٠٨ ـ ٥٠٩).
(٣) انظر: المصادر السابقة، وكذلك في «تفسير القرطبي» (١٠/١٧٠).
(٤) «المنهاج» (١/٢٠٤) للحليمي، ونقله البيهقي في الأسماء والصفات (١/١٧٣).

والصون، والعون، وأنواع وأصناف الأرزاق، والأقوات، في كل الأوقات.

والكفالة الخاصَّة: وهي لأوليائه، الذين يرضون به كَفيلًا في كلِّ أمورهم، وشؤونهم الدنيوية، والشرعية، الظاهرية والباطنية، فهو سبحانه عند حُسن ظَنِّهم به، فيكفلهم بِرِعايته وكَفالته التي لا تُرام، ولا تُضام، كما في قصة «الرجل في بني إسرائيل الذي سأل بعض بي إسرائيل أن يُسلفَه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدًا، قال: فائتني بالكَفيل، قال كفى بالله وَكيلًا، قال: صدقت...»[(١)].

(٦٥) صفة الكمال (الرَّوْح) الجَليلَة

صفة فعلية نقلية، جاءت بالوحيَيْن: الكتاب، والسنة.

الكِتَابُ الحَكِيمِ

قال تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الرِّيحُ من روْحِ الله**»، قال سلمة: فروح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعَذاب...[(٢)].

(٢) وقال ﷺ: «**لا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فإنَّها مِن رَوْحِ الله تأتي بالرحمةِ والعَذاب..**»[(٣)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الروْح: تأتي بمعنى الرحمة، أخرج الطبراني عن قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله:

(١) تقدم التخريج.

(٢) صححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٥٠٩٧).

(٣) صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٧٢٧).

﴿وَلَا تَأْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾ أي: من رحمة الله[1].

والرَّوْح بالفتح: من الاستراحة، والراحة، وقوله تعالى: ﴿فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ﴾ [الواقعة: ٨٩]؛ أي: فراحة، ورِزق.

والروح: التنفس، ﴿وَلَا تَأْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من رحمته وإحسانه، اللذين يُنفسان كل كرب. وأرواح الإنسان: تنفسه[2].

وقال البغوي: «﴿مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من رحمة الله، وقيل: من فرج الله»[3].

وفسر الطبري الآية بهذَيْن المعنيين، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول: لا يقنط من فَرَجِه ورحمته ويقطع رجاءه منه»[4].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصف ربنا تبارك وتعالى بالروْح؛ أي: بالرحمة، والتفريج، والتنفيس عن المَكْروبين، والمَغْمومين، ولهذا أمر يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بَنيه أن يحرصوا ويجتهدوا على التنفيس عن يوسف وأخيه، فإنَّ الرَّجاء يوجب للعبد السعي والاجتهاد فيما رَجاه، والإياس: يوجب له التَّثاقل والتباطؤ، وأولى ما رجا العباد فضل الله تعالى، وإحسانه، ورحمته، وروحه، فإنه لا ييأس ولا يستبعد رحمته تعالى ﴿إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، فإنهم لِكفرهم يستبعدون رحمته، ورحمته بعيدة منهم، فلا تتشبهوا بالكافرين، ودلَّ هذا على أنه بحسب إيمان العبد، يكون رَجاؤه

(١) حسنه أ.د حكمت بشير في «التفسير الصحيح» (٣/٩٧).
(٢) «عمدة الحفاظ» (٢/١٢٠ـ ١٢١).
(٣) تفسير البغوي (٤/٢٧١).
(٤) «تفسير الطبري» (٤/٣٨٤).

لرحمة الله، وروحه[١].

فإنهم لكفرهم يجهلون عظم روحه، ورحمته، وتنفيسه سبحانه، ولهذا ينبغي للعبد دائمًا حسن الظَّنّ بربه، خاصة إذا اشتدت به سبل الكرب، وغلقت عليه أبواب الخلق، فلا تفريج للكرب إلا بالرَّبّ سبحانه.

ومِمّا تقدم أن الروح تأتي بمعنى: «الرحمة (والتفريج وكشف الكرب)، أو هي نسيم الريح، وعلى الأول: صفة، وعلى الثاني: تكون من إضافة المخلوق لله عَزَّوَجَلَّ كالرُّوح بالضم: خلق من مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ، أضيفت إلى الله إضافة ملكٍ، وتشريف، لا إضافة وصف، كقوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، وقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩]»[٢].

(٦٦) صفة الكمال (اللَّعْن) الجَليلة

صفة فعلية خبرية، جاءت بالكتاب والسُّنَّة.

الكِتَابُ الْحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣].

(٢) وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤].

(٣) وقال عز شأنُه: ﴿لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال ﷺ: «لعنَ الله الواصلة، والمُسْتَوْصِلَةَ»[٣].

---

(١) انظر: «تفسير السعدي» (٤٠٤).

(٢) «الصفات الواردة» علوي السقاف (١٨٣).

(٣) البخاري (٥٩٣٤)، ومسلم (٢١٢٢).

(٢) وقال ﷺ: «لعنَ اللهُ السارقَ يسرقُ البيضةَ»[١].

(٣) وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «المدينةُ حَرامٌ ما بَيْنَ عَيْرٍ إلى ثَوْر، فمَنْ أحدثَ فيها حَدَثًا، أو آوى فيها مُحْدِثًا، فعليه لعنةُ اللهِ والمَلائكة والنّاسِ أجمعين»[٢].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

اللعن: الطَّرْد والإبعاد على سبيل السّخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قَبول رحمته، وتوفيقه، يقال: لعنه الله: أبعدَه[٣].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

اللَّعْن من صفات أفعال الله تعالى الاختيارية، القائمة بِذات الله سبحانه العلية، بِمَشيئته، وقدرته، ومعنى أنها قائمة بِذات الله بِمَشيئته وقدرته: أنه تعالى لعنَ المُعَيَّن بعد أن لم يكن لاعنًا له[٤].

واللعن هو: الطَّرْد، والإبعاد عن رحمة الله تعالى، واللعين والملعون مَنْ حَقَّت عليه اللعنة بالقول، أو دعي عليه بها[٥].

وصفة اللعنة كَباقي صفات الله تعالى الفعلية تتعلق بالأسباب، وهذه الأسباب إما أن تكون: وصفية، أو عملية، أو مَكانية، أو زَمانية، وهي تتفاوت، فلعنة الله تعالى على الكافر أشد من لعنته للمؤمن السّارق، والله تعالى أعلم.

---

(١) البخاري (٦٧٨٣)، ومسلم (١٦٨٧).

(٢) البخاري (٦٧٥٥)، ومسلم (١٣٧٠).

(٣) «المفردات» (٧٤١)، و«كتاب العين» (٩٠/٤).

(٤) انظر: «اللآلئ البهية» في «شرح العقيدة الواسطية» لِمَعالي الشيخ صالح آل الشيخ (٣٦٧/١).

(٥) «شرح الواسطية» للهراس (٤٨٠/١).

(٦٧) صفة الكمال (الكَنَفُ) الجليلة

صفة خبرية سمعية، ثابتة لِرَبِّنا جَلَّ جَلَالُهُ في السنة المحمدية على صاحِبِها أفضل الصلاة والتسليم.

السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله يُدني المؤمنَ فيضعُ عليه كنفه وستره، فيقول...**»(١).

وفي رواية: «**يُدْنى المؤمن يوم القيامة من رَبِّه عَزَّوَجَلَّ، حتى يضع عليه كنفَه، فيقرره بِذُنوبه، فيقول: هل تعرف ذنبَ كذا؟ أتعرف ذنبَ كذا؟ فيقول: نعم، أي رَبِّ، حتى يُقرره بذُنوبه، ثم يقول: إنِّي سترتُها عليك في الدُّنيا، وإنِّي أغفرُها لكَ اليومَ، فيُعطَى صحيفة حَسَناته...**»(٢).

ما أكرم ربّنا جَلَّ جَلَالُهُ، وما أحلمه على عبدِه المؤمن الموحد.

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الكنف: السّتر، والصيانة. يقال: كنفت الشيء؛ أي: أحطتُه، وخبأته. ويقال: كنفه اللهُ؛ أي: رَعاه، وحفظه. وهو في حفظ الله وكنفه؛ أي: في حِرزه، وظِلِّه، يكنفه بالكلاءة، وحسن الولاية.

والكَنَف بالتحريك يقال: أنت في كَنَف الله: أي في حرزِه، وستره، وهو: الجانب، والظِّل، والناحية.

---

(١) البخاري (٢٤٤١).

(٢) مسلم (٢٧٦٨)، والبخاري (٧٥١٤).

وكنفا الإنسان: جانِباه، وناحيتا كل شيء: كَنَفاه[1].

ومن كبار التابعين من فسرها بالستر، ومن ذلك ما نسب لعبد الله بن المبارك رحمه الله من قوله: (كنفَه) يعني: ستره[2].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصف ربنا عز شأنه، وعلت صِفاته، وحسنت أسماؤه، بصفة الكنف الفعلية، والتي تقوم بِمَشيئته وإرادته متى شاء سبحانه، ومن ذلك في يوم القيامة حينما يدنو العبد من رَبِّه تعالى، وهو يقتضي قرب الرَّبّ من العبد، لأنه تعالى «وصف نفسَه بأنه يدنو، ويقرب من بعضِ عبادِه دون بعض، وقد تكاثرت النصوص في ذلك حتى بلغت ما يقرب من خمسمائة آية في كتاب الله تعالى، كلها تدلُّ على أنه تعالى يقرب من بعض خلقِه، ويدنو منهم»[3] على ما يَليق بِعَظمته، وكبريائه، كما سيأتي ذِكْرها عند صفة (الدنو).

عودًا على بدء، إن هذه الصفة الكريمة جاءت مفسرة في الحديث بأنها «الستر»، كما في قوله ﷺ: «**حتى يضع كنفه عليه**» والمعنى: أنه تعالى يستر عبدَه من رؤية الخلق له، لِئَلّا يفتضح أمامَهم، فيخزى، لأنه حين السؤال، والتقرير بِذُنوبه تتغير حالُه، ويظهر على وجهه الخوف الشديد، ويتبين فيه شدة الكرب»[4] في هذا اليوم العصيب، الشديد، ولهذا يكرم ﷻ عبدَه المؤمن بعد هذا الستر، والحفظ، والكَلاءة من الهَلاك، والشَّدائد: «**فيُعطى صحيفة حَسَناته**» فيكون مِثاله في مجاورة ربه في جنات النَّعيم.

فانظر رعاكَ الله تعالى إلى كرم وفَضْل رَبّنا على أوليائه في الدنيا والآخرة:

(١) انظر: «كتاب العين» (٤/٥٢ ـ ٥٣)، و«الصحاح» (٩٢٥)، و«القاموس المحيط» (١١٥٠).
(٢) خلق أفعال العباد (١٠٣).
(٣) «شرح كتاب التوحيد» للعلامة الغنيمان (٢/٦٩٢).
(٤) المصدر السابق (٢/٦٩٧ ـ ٦٩٨).

في الدنيا: بِسَتْر ذُنوبهم، وعدم اطلاع غيرهم عليها.

وفي الآخرة: بالكنف، والحِرْز، والعِناية والستر عن رؤية البرايا، وهذه المزية خاصة لأصفيائه، أما من دونَهم من الكافرين، فإن الله تعالى يفضحهم، ويشهرهم أمام الخلائق، كما قال ﷺ فيهم: «**وأمّا الكافر، والمُنافقون، فيقول الأشهاد:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»(١).

(٦٨) صفة الكمال (الأَمْر) الجَليلَة

صفة سمعية عقلية، جاءت عن الشارع الحَكيم في الكتاب والسُّنَّة.

الكِتَابُ الحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

(٢) وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

(٣) وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال ﷺ: «**إذا قَضى اللهُ الأمرَ في السماءِ ضربَت الملائكةُ بأجنحتِها خضعانًا لقوله...**»(٢).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الأمر: نقيض النهي، وهو الشأن، وجمعه أمور، ومصدر أمرتُه: إذا كلفتُه أن يفعلَ شيئًا، وهو لفظ عام للأفعال، والأقوال كلها، وعلى ذلك قوله تعالى:

---

(١) البخاري (٢٤٤١).

(٢) البخاري (٤٧٠١).

﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣].

ويقال للإبداع: أمر، نحو: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ويختص ذلك بالله تعالى دون الخَلائق[١].

المَعْنَى فِي الشَّرْع

الأمر من صِفات الله الاختيارية الجَليلة، والتي تتعلق بِمَشيئته، وقدرته، وحِكمتِه، فتحدث إذا شاء، عند وجود أسبابها.

وقبل التعرض لهذه الصفة الكريمة بمزيد من الشرح، ينبغي أن يعلم أنه «لا يعني كلما ذكرت كلمة (الأمر) في الكتاب أو السنة مضافة إلى الله مثل (أمر الله)، أو (الأمر لله) أنها صفة له»[٢] بل قد ترد متعلقًا للصفة، وقد تقدم ذِكْر القاعدة المهمة: (إنَّ اسم الصفة يقع تارة على الصفة، ويقع تارة على متعلقها).

والمعنى: أن اسم الصفة: يطلق على المصدر تارة، ويطلق على المفعول تارة أخرى، فالرحمة صفة لله تعالى، وسمي ما خلق رحمة، والقدرة من صِفات الله تعالى، ويسمى المقدور رحمة، ويسمى تعلقهما بالمقدور قدرة، والخلق من صِفات الله تعالى، ويسمى (المخلوق) خلقًا، والعلم من صفات الله، ويسمى المعلوم أو المتعلق علمًا، فتارة يُراد الصفة، وتارة يُراد متعلقها، وتارة يُراد نفس التعلق[٣].

فالأمر: يطلق ويُراد به صفة لله سبحانه، ويطلق ويُراد به المأمور المخلوق، فيسمى الأمر الذي هو صفة الله أمرًا، ويسمى المأمور المخلوق أمرًا، ولتقرير ذلك، نضرب لهما بمثالين: الأول: قوله سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]،

---

(١) «المفردات» (٨٨).

(٢) صفات الله الواردة (٧١).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٧/٦)، والقواعد والضوابط السلفية في صفات رَبِّ البَرِيَّة (٣٥٧).

والثاني: قوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾ [النحل: ١].

وجه الدلالة: إن في الآية الأولى المُراد بلفظ (الأمر) المصدر الذي هو صفة لله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا عطف الله الأمر على الخلق بالواو، والأصل في الواو أنها لِلمُغايرة.

أما في الآية الأخرى: فيُراد به المفعول وهو المأمور به(١).

وأمر رَبِّنا العَظيم ينقسم إلى ثلاثة أقسام: أمر كوني، وأمر شرعي، وأمر جَزائي:

فمن الأول: قوله عز شأنه: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فقوله: « (أمر): أمر تكوين، يعني أمره سبحانه أن يقول للشيء (كن) (فيكون)، بدون تكرار، مرة واحدة، لا يحتاج إلى تأكيد ثانية، فيكون كذلك الذي أمر به حاصلًا موجودًا، كما أراد، كلمح البصر، لا يتأخر طرفة عين، فكل ما أمر الله سبحانه به في العين، والوصف، سواء كان خلقًا، أو إيجادًا، أو عدمًا، أو فناءً، فيكون على حسب ما أراده الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال تعالى في بعث النّاس: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣ ـ ١٤].

كما قال تعالى للقلم: «**اكتب! قال: يا رب! وما أكتب؟ قال: اكتبْ مَقاديرَ كل شيء**».

وفي رواية: «**قال: اكتبْ القدر ما كان، وما هو كائن إلى الأبَدِ**»(٢).

فسبحان الله تعالى، ما أعظم الله»(٣).

---

(١) انظر بتوسع: القواعد والضوابط السلفية (٣٥٧ ـ ٣٥٩).

(٢) صححه الألباني في: «صحيح الترمذي» (٢١٥٥)، وفي «السنة» لابن أبي عاصم (١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥).

(٣) انظر: «تفسير سورة يس» (٨/٣٥٠)، و«تفسير سورة غافر» (٩/٣٣٥)، و«سورة القمر» (٣٩٤) لابن عثيمين بتصرف.

النوع الثاني: «الأمر: يتضمَّن أحكامه الدينية الشرعية»[1] وهو أوامره الشرعية، التي أنزلَها على عباده على ألسنة رسله، وهي مشتملة على الحكم، والغايات الحَميدة، في الحياة المعاشية، والتي فيها المصالح، والمَنافع، والخيرات، لكل الخَليقة.

النوع الثالث: الأوامر الجزائية[2] في دار البَقاء الأخروية، وهي مَنوطة بالرَّحمة، والعَدْل، والفضل، والجَزاء الحَسَن.

(٦٩) صفة الكمال (المُثبِّت) الجَليلَة

صفة فعلية نقلية، ثبتت عن الشارع الحَكيم في وحيَيْه.

الكِتَابُ الحَكِيم

(١) قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

(٢) وقال جَلَّاله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [النحل: ١٠٢].

(٣) وقال جل ثناؤه: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩].

(٤) وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

(٥) وقال سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

---

(١) «تفسير السعدي» (٢٩١).

(٢) ومن هذه الأوامر الجزائية، ما يكون في الحياة الدنيا من العقوبات، والشدائد، والإنذارات، والابتلاءات.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّة

(١) دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ يا مُقَلِّب القُلوب ثَبِّتْ قلبي على دِينِكَ»[١].

(٢) ودعاؤه ﷺ لجرير رضي الله عنه: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ واجْعَلْهُ هادِيًا مهديًّا»[٢].

(٣) وقال ﷺ: «ومَنْ مَشى مع مَظْلوم حتى يُثبت له حقَّه، ثَبَّتَ الله قدمَيْه على الصِّراطِ يومَ تَزِلُّ الأقدامُ»[٣].

وفي رواية: «ومَنْ مَشَى مع أخيه في حاجةٍ حتى يَقضيَها له، ثَبَّتَ الله قدمَيْه يومَ تزلُّ الأقدام»[٤].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الثبات: ضد الزَّوال. يقال: ثبت الشيءُ يثبتُ ثُبوتًا: دام واستقرَّ، فهو ثابت.

والإثبات والتثبيت تارة يقال بالفعل، فيُقال لِما يخرج من العدم إلى الوُجود، نحو: أثبت الله كذا.

وتارة لِما يثبت بالحُكم، فيقال: أثبت الحاكم على فلانٍ كذا وثبته، وتارة لِما يكون بالقول...[٥].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

التثبيت من أفعالِ الله تعالى الاختيارية، وقد تقدم بيانه، أن الأفعال

(١) «صحيح الترمذي» (٢١٤٠) (٣٥٢٢)، و«صحيح ابن ماجه» (٣٨٣٤).

(٢) صحيح البخاري (٣٠٢٠)، وصحيح مسلم (٢٤٧٥).

(٣) «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/٧٠٦).

(٤) المصدر السابق (٢/٧٠٩).

(٥) «المفردات» (١٧١)، و«المصباح المنير» (٥٢).

كلها متعلقة وصادرة عن صفات ثلاث: القدرة الكاملة، والمشيئة النافذة، والحكمة الشاملة التامة، وهي ترجع كلها إلى اسمه الجليل (القيوم).

وباستقراء أدلة الكتاب والسنة نجد أنَّ صفة التثبيت جاءت متنوعة في حقِّه سبحانه، تدور كلُّها على نوعين في التثبيت: الأول: الحِسِّيّ، والثاني: المعنوي، الدنيوي، والأخروي.

فمن الأول: تثبيت الأقدار، كما قال تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ «أي: من الأقدار ﴿وَيُثۡبِتُۖ﴾ ما يَشاء منها، وهذا المحو (والتثبيت) في غير ما سبق به علمه، وكتبه قلمه، فهذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير، ولهذا قال: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾؛ أي: اللوح المحفوظ التي ترجع إليه سائرُ الأشياء، فهو أصلها»(١) فهذا ثابت لا يتغير.

وكذلك: **تثبيت الأبدان**، كما في دُعاء النبي ﷺ لِجَرير حينما كان لا يثبت على الخيل.

ومن تثبيت الأبدان: تثبيت الأقدام في الدنيا، كما في دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ [البقرة: ٢٥٠]، وفي الأخرى: عند الصِّراط، كما تقدم ذِكْر الأدلة السنية في السنة المحمدية.

الثاني: التثبيت المعنوي: وهو أصل الإيمان وأعظمه، وعليه الفَلاح والنجاح في الدّارَيْن، وعليه يكون تثبيت سائر الأركان، كما في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ كما صحَّ عن النبي ﷺ أنّها نزلت في عذاب القبر(٢)، «فأخبر سبحانه أن تثبيت المؤمنين، وإضلال الظالمين فعله، فإنه يفعل ما يَشاء»(٣)، فالله تبارك وتعالى

---

(١) «تفسير السعدي» (٤١٩).

(٢) صحيح البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١).

(٣) «شفاء العليل» (٤٨٩/٢).

يثبت أولياءه، وأصفياءه، في الحياة: في مَواطن القِتال أمام الأعداء، وعند الشبهات بالسلامة من النزغات، والضلالات، وعند الشهوات، بالسلامة من الهَلَكات والمفسدات، وفي الممات: عند السَّكرات، من همزات الشيطان، وعند السؤال في القبر، وفي العرصات: عند فزع البريات، وعند المُرور على الصِّراط، بالتجاوز والسلامة من الزَّلّات، حتى دُخول الجنّات.

(٧٠) صفة الكمال (الكافي) الجَليلة

صفة اختيارية، سمعية، فطرية، ثبتت بالوَحْيَيْن الشريفَيْن.

الكِتَابُ الحَكِيم

(١) قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

(٣) وقال عز شأنه: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

السُّنَّة النَّبَوِيَّة

(١) عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**الحمد لله الذي أطعمَنا، وسَقانا، وكَفانا، وآوانا، فكَمْ مِمَّنْ لا كافي له ولا مُؤوي؟!**»(١).

(٢) في قصة الغُلام مع الساحر والراهب من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ الذي فيه (أنه كلما ذَهَبُوا به إلى قتل الغُلام قال: «**اللَّهُمَّ اكفنيهم بِما شئتَ**»(٢).

(١) مسلم (٢٧١٥).

(٢) مسلم (٣٠٠٥).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الكِفاية: الحَسْب الذي لا مستزاد فيه، يقال: كفاك الشيء يكفيك، وكفاك هذا؛ أي: حَسْبُك.

فالكفاية: سد الخلة؛ أي: القيام بالأمر، والاستقلال به، يقال: كفى يكفي كفاية: إذا قامَ بالأمر، وقوله تعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٤]؛ أي: قد سَدَّ خلتكم، وقضى مُرادكم، بإمداده إياكم بالمَلائكة، وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾؛ أي: هو كافيه من أعدائه، متولّ كفايته، وناهيك بِمَنْ يتولَّى الله كفايته سبحانه[(١)].

والكفاية: دفع المكروه، والمخوف، يقال: كفاه يكفيه إذا دفع عنه[(٢)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الله جَلَّ جَلَالُهُ هو الكافي، الذي له الكِفاية المُطلقَة لكلِّ البرية، في كل حال، وآن، ولحظة، فلا كافي إلّا هو سبحانه «فهو تعالى يكفي عباده المهمَّ، ويدفع عنهم الملمَّ[(٣)]، وهو يكتفي بِمَعونته عن غيره، ويستغني به عمَّن سِواه[(٤)].

والله عز شأنه كافٍ كل عباده «لأنه إذا لم يكن له في الألوهية شَريك، صح أنَّ الكفايات كلها واقعة به وحدَه»[(٥)].

وكِفايته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِعباده نوعان: عامة، وخاصَّة:

أمّا العامَّة: فهو الكافي جميع عِباده ما إليه يحتاجون، ويضطرون، الدافع

---

(١) انظر: «معجم مقاييس اللغة» (١٨٨/٥)، و«كتاب العين» (٤١/٣)، و«عمدة الحفاظ» (٤١٤/٣)، و«الأسنى» (١٩٩).

(٢) «الأسنى» (١٩٩).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١٧٦/١).

(٤) «شأن الدعاء» (١٠١).

(٥) «المنهاج» (١٩٠/١).

عنهم كل ما يكرهون، فقد كفى سبحانه جميعَ المخلوقات: رِزْقًا، ومَعاشًا، وقُوتًا، وحِفْظًا، وكلاءة، وإمْدادًا، وإعدادًا، وإرشادًا، لكل ما خلقت له في مَعاشها.

الكِفاية الخاصة: لِمَنْ آمن به، وتوكَّل عليه، واستمد منه حوائج دينه، ودنياه، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]؛ أي: كافيه كل أمورِه الدِّينية، والدنيوية، فمَنْ قام بِعُبوديته الظاهرة والباطنة، كَفاه الله ما أهمَّه، وقام تعالى بِمَصالحه، ويَسَّرَ له أموره(١).

وييسر لهم أسباب النصر الشرعية، والقدرية، قال تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وهو تعالى الكافي كفاية خاصَّة الخاصَّة: وهي لأنبيائه ورسله، وأخصهم سيد البرية نبينا محمد ﷺ، وهي أعلى الكِفايات، وأكملها، وأتمّها من النّصرة، والمنعة، والتأييد، والتسديد، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]، فكفى الله تعالى نبيه ﷺ الأحزاب، ومكر الأعداء، بقتل بني قريظة وسباهم، وبني النّضير بالإجلاء، وقتل كِسْرى وتمزيق ملكه حين مزق كتابَه، وغير ذلك مِمّا لا يُحصَى.

(٧١) صفة الكمال (الزّارِع) الجَليلة

صفة سمعية فطرية، ثبتت بالقرآن العظيم.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣ ـ ٦٤]

(١) «فتح الرحيم» (٤٥)، و«تفسير السعدي» (٤٩١/٥) بتصرف كبير.

المَعْنَى اللُّغَوِي

الزرع: واحد الزروع، وهو: طرح البُذور في الأرض، والزرع أيضًا: الإنبات، وحقيقة ذلك يكون بالأمور الإلهية، دون البَشَرية. يقال: زرعَه الله؛ أي: أنبتَه(١).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف ربنا الجليل نفسه بالصفة الاختيارية بأنه هو الزارع وحده، ولهذا أضاف الحرث إليهم، والزرع إليه تعالى، لأنَّ الحرثَ فعلهم، ويجري على اختيارِهم، والزرع من فعل الله سبحانه وينبت على اختياره، لا على اختيارهم، ولهِذا (نهى النبي ﷺ أن يضيف الزرع إلى نفسِه)، فقال: «**لا تقولنّ: زرعْتُ، ولكن قل: حرثتُ**»(٢)، فالله تعالى الزارع، والمنبت، والفرق بين الزرع والحرث: أن الحرث أوائل الزَّرْع ومقدماته من كراب الأرض، وإلقاء البُذور، وسقي المبذور، والزَّرع هو آخر الحرث من خُروج النَّبات، واستغلاظه، واستوائه على السّاق(٣).

وقوله سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾؛ أي: ما تبتدئون منه من الأعمال، أأنتم تُبَلِّغونها المقصود أم الله؟ ولا يشك أحدٌ في أن إيجاب الحَبّ في السنبلة ليس بفعل النّاس، وليس بفِعْلِهم، إن كان سوى إلْقاء البَذْر والسَّقْي(٤).

ولهِذا جاء السِّياق بالاستفهام الإنكاري بقوله: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥ..﴾(٥).

---

(١) «المفردات» (٣٧٩)، و«عمدة الحفاظ» (٢/١٣٨)، و«الصحاح» (٤٤٩).

(٢) صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٠١).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٩/١٨١)، وتفسير الرازي (٢٩/١٨١).

(٤) تفسير الرازي (٢٩/١٨٢).

(٥) تفسير الطاهر بن عاشور (١٣/٣٢١).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يوصَف الله عَزَّوَجَلَّ بأنه الزّارع، ولا يُسمَّى به، ثم ذَكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ الآية»(١).

(٧٢) صفة الكمال (النَّفَس والتَّنْفيس) الجَليلة

صفة فعلية نقلية خبرية، ثبتت بالسنة المطهرة.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّة

(١) قال رسول الله ﷺ: «**لا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فإنها مِنْ نَفَسِ الرحمن تبارك وتَعالى**»(٢).

(٢) وقال ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عن مؤمنٍ كربةً من كُرَبِ الدنيا، نَفَّسَ الله عنه كربةً من كُرَبِ يومِ القِيامة**»(٣).

(٣) وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إنَّ الإيمان يماني، والحكمة يَمانِيَّة، وأجد نَفَسَ ربكم من قِبَل اليَمَن**»(٤).

(٤) وعن سلمة بن نفيل السكوني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال وهو مُوَلٍّ ظهره إلى اليَمَن: «**إنِّي أجدُ نَفَسَ الرحمن من هُنا**»(٥).

المَعْنَى فِي اللُّغَة

النَّفس: اسم وضع موضع المصدر الحَقيقي من نَفَّسَ تنفيسًا ونفسًا، أي:

---

(١) فتاوى الشيخ محمد بن عثيمين (١/٢٥).

(٢) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٩٣٥) (٩٣٦)، والحاكم في المستدرك (٢/٢٧٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وقال الذهبي: «على شرط البخاري»، ورواه البيهقي في الأسماء والصفات برقم (٩٧٨) (٣/١١٥١)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١١٩٦).

(٣) مسلم (٢٦٩٩).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١٩٢٠)، وصحح إسناده أحمد شاكر (٩/٦٢٣).

(٥) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٩٧٧)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٣٦٧) (٧/١٠٩٩).

فرج تفريجًا، وقوله ﷺ: «**الرِّيح من نفس الرحمن**»؛ والمعنى: بها يُفرج الكرب، ويُثار السَّحاب، وينزل الغيثَ، ويُستحال الجدب، فهي من تنفيس الله بها عن المَكْروبين، وتفريجه عن الملهوفين.

وقوله ﷺ: «**إنِّي أجدُ نفس الرحمن من ههنا**»؛ أي: إني لأجِدُ الفرجَ من قِبَل اليَمَن[1].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الله ﷻ هو المنفس الذي ينفس عن المَهْمومين، المفرج الشَّدائد، والكربات عن المَغْمومين، والمكروبين في كل آن وحين.

وقد جعل الله تعالى تفريجه وتنفيسَه لِمَنْ يشاء، منوطًا بأسباب، وهذا من حِكمته في أفعاله تعالى، وهذه الأسباب منها: ما يتعلق بأشخاص، ومنها أسباب مكانية، أو فعلية، أو وصفية، أو حالية.

فمن الأسباب: إرسال (الرِّيح)، فقد وصفها ﷺ بقوله: «**فإنها مِنْ نفس الرحمن**»: «أي: بها الفرج، والروح، ولهذا سميت الريح رِيحًا، لأنَّ الغالب عليها في هُبوبها المَجيء بالرّوح والراحة، وانقطاع هُبوبِها يكسب الكربَ، والغَمّ، والأذى.

وكذلك أهل اليمن، كما تقدم في الحديث: «**أجِدُ نفس رَبِّكم من قِبَلِ اليَمَن**» «لأن الله عَزَّوَجَلَّ نصرهم بهم، وأيَّدَهم برِجالِهم»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ شارحًا لِحديث: «**إني لأجِدُ نفسَ الرَّحمن من قِبَل اليَمنِ**»: «فقوله: «من اليَمَن» يبين المقصود من الحديث، فإنه

(١) «مقاييس اللغة» (٩١٠)، و«النهاية» (٩٣١)، و«القاموس المحيط» (١٣٠٣)، والأسماء والصفات (١١٥٠/٣).

(٢) «تهذيب اللغة» (٩/١٣)، و«إبطال التأويلات» (٢٥٢/١).

ليسَ لِليمن اختِصاص بصِفات الله تعالى حتى يظن ذلك، ولكن منها جاء الذي يُحبهم ويُحبونه، الذي قال فيهم: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، وقد روي أنه لَمّا نزلت هذه الآية، سئل عن هؤلاء؟ فذكر أنهم قومُ أبي موسى الأشعري، وجاءت الأحاديث الصحيحة مثل قوله: «**أتاكم أهلُ اليمن، أرقّ قُلوبًا، وألينُ أفئدة، الإيمان يَماني، والحكمة يَمانية**»، وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهلَ الرِّدَّة، وفتحوا الأمصار، فبهم نَفَّسَ الرحمن عن المؤمنين الكربات»[(١)].

يقول العلامة المحقق ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامًا رصينًا مقعدًا: «ليس ظاهر الحديث أن لله تعالى نفسًا يأتي من قِبَل اليمن، وأن الله يتنفس، ويأتي نفسه من قبل اليمن، لأن كل معنًى فاسد لا يمكن أن يكون ظاهر الكتاب والسُّنَّة أبدًا، ومن فهم من الكتاب والسنة ظاهرًا ينزه الله عنه فقد ساء فهمُه، أو ساء قصده، وأما من حسن قصده، وصحَّ فهمُه، فلن يفهم من نصوص الكتاب والسنة ما لا يليق بالله أبدًا...، وهذا الحديث يُجريه أهلُ السنة والجماعة على ظاهره كسائر النصوص، إن النفس بمعنى: تنفيس...، فيكون معنى الحديث: إنَّ تنفيس الله تعالى عن المؤمنين يكون من أهل اليمن، والمعنى: إنَّ التنفيس عن المؤمنين وتفريج الكُرُبات عنهم، ونصرهم، يكون من قبل أهلِ اليمن، سواء في أول الإسلام، كالأنصار الذين تلقوا المُهاجرين، أو فيما بعد كالذين قاتلوا أهلَ الرِّدَّة»[(٢)].

وبنحوه قال قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «..إنَّما أراد أنَّ الرِّيح من فرج الرحمن عَزَّوَجَلَّ، وروحه، يقال: اللَّهُمَّ نفس عنِّي الأذى، وقد فرج الله تعالى عن نبيه ﷺ يوم الأحزاب...،

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/٣٩٨).

(٢) «شرح القواعد المثلى» (٢٥٩ ـ ٢٦٢).

فالريح من فرج الله وروحه، كما كانَ الأنصار من فرج الله تعالى»[1].

«فمعنى النفس بها وفي كتاب الله تعالى: أنها بمعنى الفرج من الغَمّ، والنفس من الكرب، أن الغم والضِّيق يكونان برُكودِها، قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا﴾ [يونس: ٢٢]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧]»[2].

ومن أوضح الأدلة وأبيَنِها في هذا المَقام: هو ما «فرَّجَ الله تعالى عن نبيه ﷺ بالرِّيح يوم الأحزاب، فقال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]»[3].

ومن الأسباب كذلك: تفريج الكربات عن الأولياء، كما في قوله ﷺ: «... **ومَنْ نَفَّسَ عن مؤمنٍ كربة من كرب الدنيا، نَفَّسَ الله عنه كربةً من كرب يومِ القيامة**».

(٧٣) صفة الكمال (التَّرْك) الجَليلة

صفة اختيارية خبرية، جاءت عن الشارع الحكيم في وَحْيَيْه.

الكِتَابُ الْحَكِيم

(١) قال ﷻ: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧].

(٢) وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥].

---

(١) تأويل مختلف الحديث (٢١٢).

(٢) «إبطال التأويلات» لأخبار الصفات لأبي يعلى (٢٥٤/١).

(٣) المصدر السابق (٢٥٠/١).

(٣) وقال سبحانه: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩].

(٤) وقال تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا ءَايَةً...﴾ [العنكبوت: ٦٥].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغْنَى الشُّرَكاء عَن الشِّرْك، مَنْ عَمِلَ عملًا أشركَ فيه معي غيري تَرَكْتُهُ وشِرْكَه»[1].

(٢) وعن أنس رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَمّا صوَّرَ الله آدمَ في الجَنَّة، تركَه ما شاءَ أن يتركَه، فجعل إبليس يطيف به، ينظر ما هو؟ فلمّا رآه أجوف، عرفَ أنه خُلِقَ خلْقًا لا يتمالَك»[2].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الترك: التخلية، ومنه: ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وقوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ﴾ [يوسف: ٣٧]؛ أي: رغبت عنها وأعرضت.

والتركُ ضربان: رفضه قصدًا واختيارًا، أو قهرًا واضطرارًا، فمن الأول: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ [الدخان: ٢٤]، وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩].

ومن الثاني: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٢٥][3].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصف رَبّنا جل جلاله بصفة (الترك) وهي صفة فعلية متعلقة بأسباب «لأنَّ كل

(١) مسلم (٢٩٨٥).

(٢) مسلم (٢٦١١).

(٣) «المفردات» (١٦٦)، و«عمدة الحفاظ» (١/٢٦١ ـ ٢٦٢).

صفة تقترن بسبب فهي من الصفات الفعلية، لأنها حينئذ تتعلق بِمَشيئة الله، إذ إن السبب واقع بِمَشيئته، والسبب هو الذي علقت به الصفة، فتكون الصفة إذن واقعة بِمَشيئته، إنْ شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، سواء كانت صفة ظاهرة، أم غير ظاهرة، مثل المحبة، والكراهة، والضحك...»[(١)].

والنصوص في ثُبوت الترك وغيره من أفعاله المتعلقة بِمَشيئته كثيرة معلومة، وهي دالَّة على كَمال قدرته، وسلطانه (وعزته، وحكمته)، وقيام هذه الأفعال به سبحانه لا يُماثل قِيامها بالمَخْلوقين، وإنْ شاركوه في أصل المعنى، كما هو معلوم عند أهل السنة[(٢)].

وفي الآية في سورة البقرة (١٧): فيه تخلي الله تعالى عن المُنافقين، (وتركهم)، ويتفرع على ذلك: أنَّ مَنْ تخلَّى الله عنه فهو هالك ليس عنده نور، ولا هُدًى، ولا صلاح، لقوله تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾[(٣)].

فما ظَنُّك فيمَنْ تخلَّى الله عنه، فهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير، لا شكَّ أنه هالك، خاسر، ليس له معين، ولا ناصر.

ودَلَّت هذه الصفة الكريمة على «إثبات حكمة الله عَزَّوَجَلَّ في مُجازاة العاملين بعملهم»[(٤)]، فإنه سبحانه ما تركهم إلّا بسبب جِناياتهم على أنفسهم من النِّفاق، كما حكى الله عنهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٤ ـ ١٥].

(١) «تفسير سورة فاطر» لابن عثيمين (٨/١٥٠).
(٢) «مجموع فتاوى ورسائل» لابن عثيمين (١/١٧١ ـ ١٧٤).
(٣) «تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (١/٦٥).
(٤) «تفسير سورة فاطر» لابن عثيمين (٨/١٧٩).

ففي هذا وَعيد شديد على من كانت هذه صفته، فإنَّ الله تعالى يتركُه ويتخلَّى عنه في الوُقوع بِشَرّ المهلكات التي تذهب بدنياه وأخراه!.

(٧٤) صفة الكمال (الجامع) الجَليلة

صفة فعلية سمعية، فطريَّة، ثابتة في الكتاب والسُّنَّة.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩].

(٢) وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

(٣) وقال عز شأنه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ [التغابن: ٩].

(٤) وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن عبد الله بن زيد أنَّ رسول الله ﷺ لَمّا فتحَ حُنَيْنًا قسم الغَنائمَ...، فقام رسول الله ﷺ فخطبَهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**يا معشر الأنصار! ألَمْ أجدْكم ضُلَّالًا فهداكم الله بي؟! وعالةً فأغناكم الله بي؟! ومتفرِّقين فجمعَكم الله بي؟!...**»(١).

(٢) قال ﷺ: «**أنا سَيِّدُ الناسِ يومَ القِيامة، وهل تَدرونَ مِمَّ ذلك؟ يجمعُ الله الأولينَ والآخرينَ في صَعيدٍ واحِدٍ...**»(٢).

---

(١) مسلم (١٠٦١).

(٢) البخاري (٣٣٤٠) (٣٣٦١) (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

وفي رواية: «**يجمعُ اللهُ تعالى النّاسَ يومَ القِيامَة، فيَهْتَمُّونَ لِذلك...**»[(١)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الجمع: ضد التفريق، وهو: ضمُّ الشيء بتقريب بعضِه من بعضٍ، وهو التأليف. يقال: جمعته فاجتمع، قال تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩]، وقال سبحانه: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: ١٨].

والجمع قد يكون في الأجسام، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٩]، وقد يكون في المَعاني، كقوله سبحانه: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١][(٢)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الله ﷻ هو الجامع بكل وجهٍ واعتِبار، الذي يجمعُ بين القُلوب، والأجزاء، والأجساد، في الدنيا، ويوم الميعاد.

الأول في الدنيا: فهو سبحانه يجمع بينَ القلوب بالتأليف، والمحبَّة، والمَسَرَّة، والتي أعظمها الإيمان، قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وفي خطبة النبي ﷺ للأنصار، وفيها: «... **ألم أجِدْكم متفرِّقين فجمعَكم اللهُ بي...**»[(٣)].

ومن دُعاء المصطفى ﷺ: «**اللّهُمَّ أَلِّفْ بين قُلوبِنا**»[(٤)].

---

(١) مسلم (١٩٣).

(٢) «المفردات» (٢٠١)، و«القاموس المحيط» (٢٣٥)، و«الأسنى» (١/٤٧٩).

(٣) تقدم تخريجُه.

(٤) تقدم تخريجه عند صفة (المؤلف).

وإذا كان الله تعالى قد جمعَ بين قلوب الأولياء بالمحبَّة والوداد، لكن حكمته اقتضت خِلاف ذلك مع المكذِّبين، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥].

الثاني: الجمع الأخروي:

(١) فهو سبحانه يجمعُ الخلائقَ كلَّها، إنسهم وجِنَّهم، مؤمنهم وكافرهم، حتى الحيوانات، والذَّرّ[١]، «بعد مُفارقة الأرواح الأبدان، وبعد تبدد الأوصال، والأقران، لِيجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى»[٢]، فهو عز شأنُه جامع ما تفرَّق واستحال من الأموات الأولين والآخرين، بِكَمال قدرته، وسَعة علمه[٣]، ونُفوذ إرادتِه ومَشيئته.

(٢) وهو تعالى يجمعُ جميعَ الرسل فيسألهم (فيقول: ﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٩]؛ أي: ماذا أجابتكم به أُمَمُكم[٤].

(٣) ومن كَمال جمعِه في يوم القِيامة: أنه يجمع المؤمنين مع الكافرين، والمَظْلومين مع الظالمين، فيقتص لهم بِميزان الحَقّ، والعدل، والفضل المبين، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّـاحُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦].

(٤) وهو سبحانه الجامع: الذي (يجمع) ويؤلّف المفترق[٥]، والمؤلف

---

(١) أي: النملة، كما جاء في الحديث.

(٢) «شأن الدعاء» (٩٢).

(٣) «تفسير السعدي» (٥/٦٢٧).

(٤) المصدر السابق (٢٤٨).

(٥) انظر: «عارضة الأحوذي» (١٣/٤٢).

بين المتماثِلات[(١)]، والمتباينات[(٢)]، والمتضادّات[(٣)] في الوجود[(٤)]، وهو من أعظم الدلالات على وجوده سبحانه، وهو: كجمعه بين السماء وكواكبِها، والأرض وبحارها، والمعادن المختلفة وما فيها، إلى غير ذلك مِمّا استودع الأرض من الحيوانات والنَّباتات (والتي لا حصر لأفرادها فضلًا عن إحصائِها)، وكذلك جمعه بين العظم، والعصب، والعرق، والعضلة، والبشرة، والدَّم.

وأما المتضادات: فجمعه بين الحرارة والبُرودة، والرُّطوبة واليُبوسة، في أمزجة الحيوانات، وهي مُتَنافِرات متعاندات، وذلك أبلغ وجوه الجمع، وتفصيل جمعه لا يعرفه إلّا من يعرف تفصيل مجموعاته في الدنيا والآخرة[(٥)].

(٥) وهو سبحانه الجامع: الذي جمعَ الفَضائل، وحوى المآثر، والمَكارم[(٦)] كلها، فقد جمع وحوى سبحانه كل حسي، ومعنوي، وظاهري وباطني، في هذا الوجود، في الدنيا، واليوم الموعود.

(٧٥) صفة الكمال (التَّجَلِّ) الجَليلَة

صفة اختيارية سمعية، ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ بالكتاب، والسُّنَّة.

الكِتَابُ الْحَكِيمِ

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

---

(١) المُتَماثل: هو المتشابه.

(٢) المتباين: هو المختلف.

(٣) المتضاد: هو الشيء الذي ضد الآخر؛ أي: عكسه.

(٤) «النهاية» (١٦٤).

(٥) انظر: «المقصد الأسنى» (١٠٣ ـ ١٠٤).

(٦) «شأن الدعاء» (٩٢).

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنَّه قرأ هذه الآية ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾: (وضعَ النبي ﷺ أصبعه الإبهام قريبًا من طرَف الخنصر، فساخ الجبلُ)[١].

(٢) وقال ﷺ: «**يتجلَّى لنا ربُّنا عَزَّوَجَلَّ يومَ القِيامة ضاحِكًا**»[٢].

(٣) حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في رؤية الله تعالى يوم القِيامة، وفيه: «... **ثمَّ يتجلَّى، حتى إذا فرغ الله من القَضاء بينَ العِباد**...»[٣].

(٤) وقال ﷺ: «**نَجيءُ نحن يومَ القِيامَة، ثم يأتينا رَبُّنا بعدَ ذلك، فيقول: مَنْ تنتظرون؟ فيقولون: ننتظرُ رَبَّنا، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: حتى ننظر إليكَ، فيتجلَّى لهم يضحكُ**»[٤].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

التجلِّي: الجلاء: الصَّقال، يقال: جلوت السيف أجلوه: أزلتُ صدأه، وأصله: الكشف، والإظْهار. يقال: أجليت القوم عن مَنازلهم فجلوا عنها؛ أي: أبرزتهم.

وأمر جلي: واضح. والله يتجلى الساعة: يظهرها. فالتجلي: الظهور، والبَيان لِلعيان، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾؛ أي: ظهرَ، وبانَ[٥].

---

(١) تقدم تخريج هذا الحديث في قسم الصفات الذاتية، عند صفة (الإبهام، والخنصر)، وهي عدة رِوايات صححها الألباني في ظلال الجنة (٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢)، وفي «صحيح الترمذي» (٣٠٧٤).

(٢) رواه أحمد (١٤٧٢١)، (١٥١١٥)، (١٩٦٥٤)، وصحح الروايات شعيب الأرنؤوط (٣٢٩/٢٣)، (٤٢٤/٣٢)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٩٤/٢) (٧٥٥).

(٣) البخاري (٧٤٣٧).

(٤) مسلم (١٩١).

(٥) «المفردات» (٢٠٠)، و«عمدة الحفاظ» (٣٣٥/١)، و«معاني القرآن» وإعرابه للزجاج (٣٧٣/٢)، و«كتاب العين» (٢٥٥/١)، و«القاموس المحيط» (٣٣٣)، و«تفسير الطبري» (٤٩٥/٤).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

صفة التجلي من الأفعال الاختيارية التي أثبتَها أهلُ السنة والجماعة قاطبةً، وقد ثبتت هذه الصفة في الدّارَيْن: في هذه الدار، حينَما واعد رَبُّنا العَظيم نبي التكليم موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «لإنزال الكتاب عليه عند الجَبل، فلمَّا ظهر (الرَّبّ) وبان، انْهال الجبل مثل الرَّمْل، من رؤية الله تعالى»[(١)].

يقول شيح المفسرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولَمّا جاء موسى للوقت الذي وعدنا أن يلقانا فيه ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ وناجاه، ﴿قَالَ﴾ موسى لِرَبِّه: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾، قال الله له مجيبًا: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ يقول تعالى ذِكْره: فلما اطلع الرَّبّ للجبل، جعل الله الجبل ﴿دَكّٗا﴾؛ أي: مستويًا بالأرض...»[(٢)].

وتجلِّيه سبحانه لنبيه لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لم يظهر منه سبحانه إلّا طرف خنصره تعالى، كما يليق بِجَلاله، وكَماله، وعظمته، وهذا يدل على أنه تعالى لا يقدر أحد على رؤيته في هذه الدّار، مع رؤيته، وعدم الإدراك له[(٣)]، في آخر الدار.

وتجلِّيه تعالى الآخر: في عرصات يوم القِيامة، ويكون تجليه سبحانه هنالك على نوعَيْن، الأول: تجلي اختبار وتعظيم، والثاني: تجلي إنعامٍ وتكريم:

التجلي الأول: وهو قسمان: «لِجَميع هذه الأمة، بَرِّهم وفاجرهم، مؤمنهم ومنافقهم. والثاني: لِبعض أهلِ الكتاب، وهذه الرؤية: رؤية امتحان»[(٤)].

---

(١) «تفسير السعدي» (٣٠٢).

(٢) «التفسير» (٣/٤٩٤).

(٣) أي: عدم الإحاطة به من كل وجه، لأن الإدراك أخص من الرؤية كما تقدم، فنفي الإدراك لا ينفي الرؤية.

(٤) «كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل» لإمام الأئمة ابن خزيمة (١/٤٢٠).

والتجلي الثاني: للمؤمنين، كما تقدم في الحديث: «يتجلَّى لنا رَبُّنا عَزَّوَجَلَّ يومَ القِيامَة ضاحِكًا»، وكما جاء في الحديث: «**إذا جمعَ اللهُ الأولى والأخرى يومَ القيامة، جاء الرَّبّ تبارك وتعالى إلى المؤمنين، فوقفَ عليهم، والمؤمنون على كوم**، (فقالوا: ما الكوم؟ قال: **مكان مرتفع**)، **فيقول: هل تعرفون رَبَّكم؟ فيقولون: إنْ عَرَّفَنا نفسَه عرَفْناه، ثم يقول لهم الثانية، فيضحك في وجوههم، فيَخِرُّونَ له سُجَّدًا**»[(١)].

وهذه رؤية تنعيمٍ، لأن ضحكَه سبحانه يتضمَّن الفرح والسُّرور والحبور،

(٧٦) صفة الكمال (التَّأييد) الجَليلة

صفة سمعيَّة، فطرية، ثابتة في الكتاب والسُّنَّة.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧].

(٢) وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٣].

(٣) وقال عز شأنه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

(٤) وقال سبحانه: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنَّه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة: أنشدُك بالله! هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يا حسّان أجِبْ عن رسولِ الله ﷺ، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ القُدس**»؟ قال أبو هريرة: (نعم)[(٢)].

(١) «سلسلة الأحاديث «الصحيحة» (٢/٣٩٦) (٧٥٦).
(٢) البخاري (٤٥٣) (٣٢١٢)، ومسلم (٢٤٨٥).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الأَيْد: القوة الشديدة، قال تعالى: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [المائدة: ١١٠]؛ أي: قَوَّيْتُك، فعّلت من الأيد، وقوله تعالى: ﴿دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [ص: ١٧]؛ أي: ذا قُوَّة في الأقوال، والأفعال(١).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

جاءت صفة التأييد الاختياريَّة الفعلية في الكتاب والسُّنّة الشريفة في سياق الثناء من الله تعالى، والتَّذْكير بنعمه الجليلة على أنبيائه، وأوليائه، في النصرة والتَّمْكين، والغَلَبَة على الكفار، والفُجّار في هذه الدّار، كما في امْتِنانِه سبحانه على بني إسرائيل في إرسال عيسى عليه السلام، وهو آخر الرسل إليهم، بأنَّه سبحانه أيَّدَه ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾؛ أي: قوّاهُ بجبريل عليه السلام(٢).

وكذلك تأييدُه للملائكة للنبي ﷺ وصحبِه في بدر، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣] «أي: إنَّ في ذلك لمعتبرًا لِمَنْ له بصيرة وفهم يهتدي به إلى حكمة الله تعالى، وأفعاله، وقدره الجاري بنصر عبادِه المؤمنين في هذه الحياة الدنيا، ويوم يقومُ الأشهادُ»(٣).

وكذلك تأييده جل وعلا لنبيه ﷺ في الغار، «بالملائكة الكِرام، الذين جعلَهم حَرَسًا له»(٤) من الأنام، قال تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠]

---

(١) انظر: «عمدة الحفاظ» (١/١٤٣)، و«اللسان» (١/٢٩٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/١٨٢).

(٣) المصدر السابق (١/٤٨٥).

(٤) «تفسير السعدي» (٣٣٨).

ومن ذلك تأييده سبحانه لآحادٍ من الصَّحابة رضي الله عنهم، كتأييده لحسان بن ثابت الذي نافحَ عن النبي ﷺ باللِّسان، فأيَّدَه رَبُّ العزة والجلال بخير الملائكة الكِرام، جبريل عليه السلام «عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يَضع لِحَسان منبرًا في المسجد يقوم عليه قائِمًا يفاخر عن رسول الله»: «**إنَّ الله يُؤَيِّدُ حَسّانَ بروحِ القدس ما يُفاخر، أو يُنافح عن رسول الله ﷺ**»(١).

وقد جعل الله تعالى من أعظم أسبابِ تأييده، هو: الانتِماء إلى حِزبِهِ سبحانه، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادِلة: ٢٢].

(٧٧) صفة الكمال (المُحْدِث) الجَليلة

صفة فعليَّة، خبرية سمعية، تقوم به سبحانه، والله تعالى يقوم به من الأفعال، والأقوال ما لا مُنْتَهى لها، فلا تُحْصى، ولا تستقصى، وهذا من تمام كماله الأعلى، الذي لا يُحيط به أحدٌ من الورى.

القُرْآنُ الْحَكِيم

(١) قال تعالى: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

(٢) وقال سبحانه: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّة

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُحدث من أمرِه ما يَشاء، وإنَّ مِمّا أحدثَ أنْ لا تكلَّمُوا في الصَّلاة**».

(١) صححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٨٤٦)، و«السلسلة الصحيحة» (١٦٥٧).

وفي لفظ: «وإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد أحدثَ من أمرِه أن لا يتكلَّم في الصلاة»[(١)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الحدوث: كون الشيء بعد أن لم يكن، والحديث: نقيض القَديم، ويقال لكلّ ما قرب عهده: محدث، فِعالًا كان، أو مقالًا.

وأحدثه الله فحدث، وحدث أمر؛ أي: وقع. ومحدثات الأمور: ما ابتدعَه أهلُ الأهواء من الأشياء التي كان السلف الصالح على غيرها، وهي ما لم يكن معروفًا في كتاب، ولا سُنَّة، ولا إجماع[(٢)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الله جَلَّجَلَالُهُ هو الذي يُحدثُ ما يُريد إحداثَه، في أي وقتٍ شاء وأراد سبحانه، وإنَّ إحداثه ذلك من أفعاله التي هي أوصاف له، فيحدث الأمر من أمره تعالى، والكلام، ويطلق عليه أنه حدث، ومُحْدَث، لأنَّه وجد بعدما قبله، ويُسمّى كلامه تعالى حَديثًا، ويطلق عليه أنه حادث، ومحدث بمعنى الجَديد الذي تكلَّم به، بعد كتبه السابقة له، «وإن حدثه سبحانه لا يشبه حدث المخلوقين»[(٣)]، فمن ذلك كلامه، ومُخاطبته لِمَن يريد أن يُخاطبَه من خلقه، وأمره لِمَن يأمره، ونهيه، وإجابته لِمَن يدعوه، وإحياؤه لِمَن يريد حياتَه، وإماتته لِمَن يُريد أن يُميته...، وتصرفه في خلقه، وملكِه كيف يَشاء.

فمعنى الحدث هو: الفعل المتجدد الذي يتعلَّق بِمَشيئته تعالى، سواء كان كلامًا، أو أمرًا، أو نَهْيًا، أو إحياء لِمَيت، أو إماتة الحي، أو هداية ضالٍّ، أو

---

(١) صححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٩٢٤)، وفي «صحيح النسائي» (١٢٢١)، وانظر: مسند أحمد (١/٤٠٩، ٤١٥، ٤٣٥)

(٢) «اللسان» (٢/٣٤٩ـ٣٥١)، و«المفردات» (٢٢٢ـ٢٢٣)، و«النهاية» (١٩١ـ١٩٢).

(٣) من كلام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صَحيحه (١٣/٦٠٧).

ضلال غاوٍ، أو تغيرًا لحكم شرعه قبل ذلك، أو أذن به، أو تغيير ما في نُفوس بعض خلقِه، أو غير ذلك مِمّا يشاؤه ويُريده جَلَّ وعَلا[1].

(٧٨) صفة الكمال (الذِّمَّة) الجَليلة

صفة فعلية، نقلية، ثابتة بالسُّنَّة المطهَّرة.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى الصبحَ فهو في ذِمَّة الله، فلا يطلبنّكم الله من ذِمَّته بشيء، فإنَّه مَنْ يطلبه من ذِمّته بشيء يُدركه، ثم يكبّه على وجهه في نارِ جَهَنَّم**»[2].

(٢) كان رسول الله ﷺ إذا أمَّرَ أميرًا على جيش أو سَرِيَّة، أوْصاه في خاصَّته بتقوى الله عَزَّوَجَلَّ....، ثم قال: «**وإذا حاصَرْتَ أهلَ حِصْن فأرادوكَ أن تجعلَ لهم ذِمَّةَ الله، وذِمَّة نبيه ﷺ...**»[3] الحديث.

(٣) وقال ﷺ: «**مَنْ صَلَّى صلاتَنا، واستقبلَ قِبلتَنا، وأكل ذَبيحتَنا، فذلك المسلم، الذي له ذِمَّة الله، وذِمّة رسوله، فلا تخفروا الله في ذِمَّتِه**»[4].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الذِّمَّة بالكسر: العهد، والكَفالة، والضَّمان، والأمان، والحُرمة، والحَق، والحِفظ، والكلاءة، والإجارة[5].

---

(١) «شرح كتاب التوحيد» للعلامة الغنيمان (٢/٧٦٨ـ ٧٧٠).
(٢) مسلم (٦٥٧).
(٣) مسلم (١٧٣١).
(٤) البخاري (٣٩١).
(٥) «النهاية» (٣٣٠)، «القاموس المحيط» (٤٧٣)، و«الصحاح» (٣٧٥).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الذِّمَّة من أفعال الله تعالى الاختيارية والتي تقع شيئًا فشيئًا وفق مشيئته تعالى وتبعًا لحكمته، وإرادته، وهي تتعلَّق بالأسباب، «فمن هذه الأسباب: صلاة الصبح، «**مَنْ صَلَّى الصبحَ فهو في ذِمَّة الله تعالى**»؛ أي: في عهده، وأمانِه، وإذا كان في عهد الله وأمانه، لزمَه أن يُراعي هذا العهد، والأمان، فلا يُخالف الله تعالى في شيء، لأنه إذا خالف الله، فهو بمنزلة نقضِ العهد، ولهذا قال: «**فلا يطلبَنّكم الله من ذِمَّته بشيء**»»(١).

(٧٩) صفة الكمال (الفراغ من الشيء) الجَليلة

صفة سمعية، ثابتة بالوحيَيْن الشريفَيْن.

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال ﷻ: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «**خلقَ اللهُ الخلقَ، فلَمّا فرغَ منه، قامت الرَّحِمُ، فقال: مَهْ، قالت: هذا مَقامُ العائِذِ بك من القَطيعة**»(٢).

(٢) حديث رؤية الله تعالى في الآخرة، وفيه: «**حتّى إذا فرغَ الله من القَضاء بين العِباد، وأرادَ أن يخرج برحمته مَنْ أرادَ من أهلِ النّار، أمر الملائكةَ أن يُخرجوا من النار مَنْ كان لا يُشرك بالله شيئًا...، ثمَّ يفرغ اللهُ من القَضاء بين العِباد، ويبقى رجلٌ بين الجنةِ والنار...**»(٣).

---

(١) «شرح صحيح مسلم» لابن عثيمين (٢/٥٥٥).

(٢) البخاري (٧٥٠٢)، ومسلم (٢٥٥٤).

(٣) صحيح البخاري (٦٥٧٣)، (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

(٣) وقال ﷺ: «لَمّا فرغَ الله مِنْ خلقِه، استوى على عرشِه»[١].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

فرغ: الفراغ خلاف الشغل، وفرغت للشيء، وإليه: قصدت، فالأول غير جائزٍ على الله تعالى، لأنَّه لا يشغله شأن عن شأن، والثاني وهو: القصد للشيء[٢]، فهو الجائز في حَقِّه سبحانه.

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

صفة الفَراغ الفعلية الكَمالية جاءت في الكتاب في سِياق الوعيد، والتهديد، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «وعيد من الله للعباد، وليس بالله شغل، وهو فارغ»[٣].

وهذا المعنى معروف في كلام العرب، يقال: «لأتفرغنّ لكَ»، وما به شغل، يقول: لآخذنَّك على غِرَّتِك[٤].

والمعنى سنفرغ لِحسابكم، ومُجازاتكم بأعمالكم التي عملتموها في دار الدنيا[٥].

وجاء بضمير الجمع: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ للتعظيم؛ أي: تعظيمًا لنفسه جلَّ وعلا، وقوله: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ يعني: الجن، والإنس، وإنَّما وجه هذا الوعيدَ إليهما، لأنَّهما مناط التكليف[٦].

---

(١) رواه الخلال في كتاب «السُّنَّة» وقال: «هذا حديث إسناده كلهم ثِقات، وهم مع ثِقَتِهِم شرط الصحيحين مسلم والبخاري، وصححه ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (١٠٧ ـ ١٠٨). انظر: كتاب العلو للعلي العظيم للذهبي رقم (١١٠) تحقيق ودراسة عبد الله بن صالح البراك (٥٢٤/١).

(٢) «عمدة الحفاظ» (٢٢١/٣).

(٣) «التفسير الصحيح» (٤٢٥/٤).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٣٥٧/٤).

(٥) «تفسير السعدي» (٨٣٠).

(٦) «تفسير سورة الرحمن» لابن عثيمين (١٩١/١٠).

أمّا في السنة فقد جاءت في معنى هذه الصفة بأوسع مِمّا في الكتاب، إضافة بالمُحاسبة والجَزاء، بمعنى: الانتهاء من إتمام العمل، كما في حديث الرؤية: «**حتى إذا فرغَ الله من القَضاء بينَ العِباد**» والمعنى: أنَّ أفعال الله سبحانه تأتي شيئًا فشيئًا، فإذا انتهى فعل جاء بعده فعلٌ آخر، لأنَّ كل عمل له بِداية، ونهاية، ونِهايته: الفراغ منه، وليس المعنى: أن يشغلَه شأن عن شأنٍ، ثم يفرغ من هذا، ويأتي إلى هذا، فهو سبحانه يُدبِّر كلَّ شيء في آنٍ واحد، في مشارق الأرض ومَغاربِها، وفي السموات العُلا، فهو تعالى لا يعجزه شيءٌ، فلو شاء لفعلَ كلَّ شيء في لحظة واحدة، ولكنَّه سبحانه يفعلُ الأفعالَ بحسب حِكمتِه، وإرادتِه، فيفعل الفعلَ أولًا ثم يفعل الفعل الثاني من أجل أن تترتَّب المفعولات، (أي: المخلوقات) والمعنى كما تقدم: أنَّ الله تعالى يتولَّى مُحاسبةَ عبادِه بنفسه، وينتهي من ذلك، وهو تعالى أسرع الحاسبين، وجاء وصف الله تعالى بذلك في كثيرٍ من النُّصوص، وهو من أوصاف الفعل، وهي كثيرة[(١)].

(٨٠) صفة الكمال (الوَفِيّ) الجَليلَة

صفة فعلية، سمعية، فطرية، ثابتة بالقرآن الحَكيم، وسنة المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم.

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [آل عمران: ٥٧].

(٢) وقال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥].

(٣) وقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١].

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٣٩٦/١)، وسورة الرحمن (١٩١/١٠) لابن عثيمين، و«شرح كتاب التوحيد» من صحيح البخاري للغنيمان (١٠٠/٢).

(٤) وقال عزَّ شأنُه: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

كما في الحديث القدسي العظيم: «**يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي... يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها...**»[(١)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الوفاء: ضد الغَدْر، يقال: وفَّى بعهده، وأوفى فهو موفٍ، إذا أتمَّ العهدَ ولم ينقض حفظَه.

وكل شيء بلغ تمام الكَمال، فقد وفى وتمَّ، ومنه: أوفيت الكيلَ والميزانَ[(٢)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف ربّنا نفسه بصفة الفعل العلية: الوفي، والتي تتضمَّن على كمال الصدق، وحسن الوفاء بالعهد، والوعد، والعدل، والفَضْل، والكرم، ونفوذ الإرادة، وسعة المَشيئة، وغيرها من صفات الجَلال، فهو الوفي سبحانه الذي لا أوفى منه على الإطلاق، في الدنيا، وفي المعاد:

(١) فهو تعالى الموفي لكلِّ الخَلائق بِما ضمن لهم من أرزاقهم، وحاجاتهم، وضرورياتهم في مَعاشهم، الخلق كلهم على سواء: المؤمن والكافر، والبَرّ والفاجر.

(٢) وهو الموفي للعباد يوم المَعاد من الأجر، والثَّواب، وإحقاق الحَق، ونقض الباطل، «فهو تعالى لا يعجزه جزاء المحسنين، ولا يمنعه مانعٌ من بُلوغ مرامه، ولا تلحقه ضرورة إلى النقص من مِقداره»[(٣)]، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ

---

(١) مسلم (٢٥٧٧).

(٢) «كتاب العين» (٤/٣٨٨)، «المفردات» (٨٧٨).

(٣) «المنهاج» للحليمي (١/٢٠٦).

بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة: ١١١]، لأنه تعالى هو الصادِق، العادِل، القادِر، الذي لا يخلف ما وعدَ.

(٣) وقد ضمنَ الله ﷻ لكلِّ مَنْ قام بعهده الذي أخذَه على عباده من النَّواهي، والأوامر، والوصايا، والتي أعظمُها، وأجلّها على الإطلاق: الإيمان به، وبِرسوله، وإقامة شرعه، أوفى بعهده سبحانه، وهو أن يدخلهم دارَ جنته، جزاءً، وِفاقًا منه عزّ شأنه، فوفاؤهم بعهد الله تعالى أمارة لِوَفاء الله تعالى لهم، لا علة له، بل تفضُّل منه عليهم سبحانه، قال ربُّ العالمين: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠][(١)].

(٨١) صفة الكمال (العَزْم) الجَليلة

صفة فعلية خبرية، ثابتة بالسنة الشريفَة.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّة

(١) عن أمِّ سلمة ﵂ قالت: (.. فلمّا توفي أبو سَلَمة قلت: مَنْ خير من أبي سلمة صاحب رسول الله ﷺ؟! ثم عزمَ الله لي، فقلتها)، قالت: (فتزوَّجْتُ رسولَ الله ﷺ)[(٢)].

(٢) الدعاء الذي عَلَّمه ﷺ لوالد عمران بن حصين ﵁: «**اللَّهُمَّ قِني شَرَّ نفسي، واعزِمْ لي على أرشد أمري**».

وفي لفظ: «... **وأسألُكَ أن تعزمَ لي على أرشد أمري**»[(٣)].

---

(١) «الأسنى» (١/٤٢٢)، و«تفسير السعدي» (٥٠) بتصرف كبير.

(٢) مسلم (٩١٩).

(٣) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٩٣)، وصححه الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (٢٦٠) (٢/٤٥٠)، والوادعي في «صحيح المسند» (٣١٠) (١/٢٥٤).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

العزم: عقد القلبِ على إمضاء الأمر، يقال: عزمت الأمرَ، وعزمت عليه، واعتزمت؛ أي: إذا أردتُ فعله، وقطعت عليه، قال سبحانه: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ﴾ [البقرة: ٢٢٧].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصف الله ﷻ بصفة الكمالِ الفعلية الاختيارية (العزم)، والتي تقومُ بِذاته، ومَشيئته، وقدرته، وحكمته، كما يليقُ بِعَظمته، وجَلاله، وكماله، لا تشبه عزم المخلوقين، ومعنى العزم في حقهم: «القصد الجازِم المتصل بالفعل، وقيل: استجماعُ قوى الإرادة على الفِعْل»[(١)] والعزم بهذا المعنى، يليق بعجز المخلوقين، ونقصهم، وضعفهم، أمّا في حَقِّه تعالى فله شأن آخر لا تعلم كيفيتُه، وحقيقتُه، مع إيماننا وتصديقِنا بأنَّها صفة حقيقية عليَّة تليقُ بِسُمُوِّ كمالِه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجموع فَتاويه: «وهل يجوز وصفه بالعَزْم؟ فيه قولان: أحدُهما، المَنْع، كقول القاضي أبي بكر، والقاضي أبي يَعْلى. والثاني: الجَواز، وهو أصحّ، فقد قرأ جَماعة من السَّلَف قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] بالضَّمّ[(٢)]، وفي الحديث الصحيح من حديث أم سلمة: «ثمَّ عزمَ اللهُ لي»)[(٣)].

---

(١) مجموع رسائل للحافظ ابن رجب الحنبلي (٣٧٢/١).

(٢) قراءة الضم قراءة شاذَّة، قرأ بها: عكرمة، وجابر بن زيد، وأبو نهيك، وجعفر الصادق، بصيغة المتكلم، نسب العزمَ إلى نفسه سبحانه إذ هو بِهدايته وتوفيقه، كما في قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، إذا قطعت لك بشيء، وعنيته لك، وأرشدته إليك، فتوكل علي، ولا تشاور به أحدًا. انظر: «تفسير القرطبي» (٥٩٩/٢) و«المحرر الوجيز» (٥٣٤/١)، و«روح المعاني» (١٦٨/٣).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٠٣/١٦).

(٨٢) صفة الكمال (المُخرج) الجَليلَة

صفة فعلية، سمعية نقلية، فطرية، ثابتة بوحي الكتاب، والسنة النبوية.

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

(٢) وقال عز شأنه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

(٣) وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: ٧٥].

(٤) وقال ﷻ: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [آل عمران: ٢٧].

(٥) وقال جلَّ ثناؤه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحشر: ٢].

(٦) وقال تبارك وتعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

خرج: أصل الخروج: البروز من المقرّ، أو الحال، سواء أكانَ المقرّ دارًا، أم بلدًا، أم ثوبًا، وسواء كان الحال حالةً في نفسه، أو بأسبابه الخارجة عنه، وأكثر ما يكون الإخراج في الأعيان، ويقال في التكوين الذي هو من فعل الباري تعالى، نحو: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣][(١)]، وبالجملة فهو إخراج الأشياء من مقارّها سواء كانت حسية، أو معنوية، كما سيأتي في المعنى الشرعي.

(١) «المفردات» (٢٧٨)، و«عمدة الحفاظ» (٢/٤٩٥).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

جاء الفعل الاختياري الإخراج في حَقِّ رَبِّنا سبحانه متنوعًا على مقتضى حكمته، التي تتعلَّق بأسباب، كما سبق، فهو ﷻ المخرج من كلِّ وجه واعتبار لكل الأشياء على الإطلاق: في الأولى، وفي العُقْبى.

ففي الأولى: الإخراج المعاشي، والإخراج الشرعي، فالمعاشي قسمان:

❁ الأول: إخراج حِسِّيّ. والثاني: إخراج معنوي.

الإخراج الحِسِّيّ: وهو نوعان:

أ) إخراجُ الأشياء من العَدَم إلى الوُجود، وهذا لا حصر له، من ذلك:

إخراجُ الأحياء من الأموات، كقوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [آل عمران: ٢٧]، فقوله سبحانه: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾: «كالفرخ من البَيْضة، وكالشجر من النَّواة، والزرع من البذرة، ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾: كالبيضة من الطائر، وكالنَّوى من الشجر، وكالحَبِّ من الزَّرْع، وما جرى هذا المجرى من جَميع الأشياء، فهو تعالى مخرج الأضداد، الضدّ من ضِدِّه»[١].

ب) إخراج الموجود إلى عالَم الوُجود، كإخراج الطفل من بطنِ الأُمّ، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧]، وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨].

والثاني: إخراج معنويّ:

أ) إخراج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، وهو داخل في قوله

(١) «تفسير ابن كثير» (١/٤٩٣)، و«تفسير السعدي» (١٢٧).

سبحانه: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ «يعني المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن»(١).

ب) إخراج ما في القلوب من الأحقاد، والضغائن، والمذام، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢]، وقال عز شأنه: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾(٢) [محمد: ٢٩]، وقال سبحانه: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ﴾ [التوبة: ٦٤].

«وقد وَفَّى تعالى بوعده، فأنزل هذه السورة (أي: التوبة) التي بَيَّنَتْهم وفضحتهم، وهتكتْ أستارَهم»(٣).

۞ القسم الثاني في الدُّنيا: الإخراج الشرعي الدِّيني:

وهو الذي خصَّه سبحانه لأنبيائه، وأصفيائه، وأوليائه، الذي فيه معاني اللُّطف، والحفظ، والعِناية، والنصرة. وهو نوعان:

الأول: إخراج إيماني روحي: من الظلمات إلى نورِ الهُدى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] «أي: يخرج عبادَه المؤمنين من ظلمات الكُفْر، والشك، والريب، إلى نُورِ الحَقّ الواضح الجلي المبين السهل المُنير»(٤). وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣]. وقال عز شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ

---

(١) من كلام الحسن البصري. «التفسير الصحيح». (٤٠٨/١).

(٢) الأضغان: جمع ضغن، وهو: ما في النُّفوس من الحسد، والحقد (خاصَّة) للإسلام وأهله، والقائمين بنصره. «تفسير ابن كثير» (٢٣١/٤).

(٣) «تفسير السعدي» (٣٤٢).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٤٣٥/١).

يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

الثاني: إخراج بَدَنِيّ: من الشُّرور، والشدائد، والهلكات، والنصر على الأعداء، قال تعالى: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥] «وهم بيت لوط عليه السلام إلا امرأته، فإنها من الهالكين»[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِ﴾ [الحشر: ٢].

ومن الآيات التي تجمع نوعي ما تقدم، قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ﴾ [الإسراء: ٨٠] «أي: اجعل مداخلي ومخارجي كلّها في طاعتك وعلى مرضاتِك، وذلك لتضمنها الإخلاص، وموافقة العمل»[(٢)].

وكما في قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢] «أي: ومن يتقِ الله فيما أمرَه به، وترك ما نهاه عنه، يجعل له من أمرِه فرجًا ومخرَجًا من كل شيء، ويرزقه من حيث لا يحتسب؛ أي: من جهةٍ لا تَخطر ببالِه»[(٣)].

وفي آخر الزّمان يخرج سبحانه دابَّةً تكلم النّاسَ عند فَساد دِينهم، وتركهم أوامر ربّهم، قال ﷺ: «**إنَّ أولَ الآيات خروجًا طلوع الشَّمْسِ مِن مغربِها، وخروج الدّابَّة على النّاس ضُحًى...**»[(٤)].

---

(١) «تفسير السعدي» (٨١٠).

(٢) المصدر السابق (٤٦٥).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٥٠٢/٤).

(٤) مسلم (٢٩٤١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «تكلمهم»، قال: (تُحَدِّثُهم)[1].

والإخراج في العُقْبى:

الأول: إخراج الموتى من القُبور إلى البعث والنُّشور، قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]؛ أي: «فيخرجهم من قُبورهم، كالحالِ في إخراجهم من بُطون أمَّهاتهم، حُفاة عراة غُرْلًا بُهْمًا ليس معهم شيء»[2].

وكقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٨].

إخراج كتب الأعمال ونشرها للأنام:

قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

أي: نخرج له كتابًا فيه ما عمله من الخير والشر حاضرًا، صغيره وكبيره[3].

**   **   **

(١) «التفسير الصحيح» (٣٦/٤).

(٢) «الأسنى» (٣٤٨/١).

(٣) «تفسير السعدي» (٤٥٥).

القسم الثالث
الصفات المتضمنة لنوعي الصفات الثبوتية

هذا القسم من الصفات يجتمع فيه صِفات ذاتية من جهة، وصفات فعلية من جهة أخرى، مثل: صفة «العِزَّة» المشتقة من اسمه (العزيز)(١)، فهو من صفات الذات، لِتضمُّنِه معاني: أنه الغالب الذي لا يغلب، والمنقطع النظير، والمنيع الذي لا يصل إليه، فهذه المعاني العلا متصف بها الله تعالى على الدوام.

وهو من صفات الفعل أيضًا: فهو جل وعز يُعِزُّ من يشاء، قال تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وهذا يتعلق بمشيئته، فمن شاء أن يعزّه أعزَّه، وإن شاء خلاف ذلك كان كما شاء.

ومثل: صفة «العلم» المشتقة من اسمه (العليم)، فهو تعالى العالِم الذي أحاط علمُه بِجميع الأشياء باطنها وظاهرها ودَقيقها وجَليلها في الأزل، وفي الأبد، فهو من صفات الذات إذ إن علمه لا ينفكّ عن ذاته بأي حال، ولا لحظة.

وهو أيضًا من صفات الفعل: فهو جل وعلا يُعلّم من شاء من خلقه، ومن ذلك قوله تعالى كقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الرحمن: ١ ـ ٢]، وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨].

وسأذكر بيان ذلك التفصيل عند الكلام عن كل صفة من صفات هذا القسم.

---

(١) كنا قد ذكرنا في التمهيد أن منهجنا في الكتاب اختيار الصفات الغير مشتقة من الأسماء، وهذا مثال على ذلك.

(١) صفة الكمال (رفيع الدَّرجات) الجَليلة

صفة ذاتية فعلية، خبرية فطرية، ثابتة في القرآن الكريم.

القُرْآنُ الكَرِيمُ

قال ﷻ: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

رفيع: الرفعة تُقال تارة في الأجسام الموضوعة إذا عَلَّيتها عن مَقَرِّها، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، وتارة في الذِّكْر: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، وتارة في المنزلة إذا شرفتها: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ٧٦][(١)].

الدرجات: الدرجة تطلق على الرفعة، والمنزلة[(٢)]، وتكون حسيةً ومعنوية.

وجمع الدرجات: إيذان بكثرة الصفات، ومجدها التي لا تحصر[(٣)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف رَبُّنا نفسَه في كتابه بأنه رفيع الدرجات، وهذه الصفة الكريمة تتعلق بنوعَي الصفات الثبوتية: الذاتية والفعلية، فهي متضمِّنَة لهما، كما سيأتي.

ومن الاستقراء في أدِلَّة الشرع تبين أن الله تعالى له في معنى هذه الصفة العَظيمة ثلاث معان، ويندرج تحتها أفراد كثيرة من معاني الكَمال، والقاعدة في تفسير كتاب الله تعالى أنه «إذا احتملَ اللفظ عِدَّة معانٍ، ولم يمتنع إرادة

---

(١) «المفردات» (٣٦٠).

(٢) «عمدة الحفاظ» (٨/٢).

(٣) التحرير و«التنوير» (١٠٦/١١).

الجميع، حمل على الجميع»[(١)].

وقد تقدَّم في المعاني اللغوية أنَّ الرِّفعة والدرجة يكونان حِسِّيان ومعنويان، لازمان، ومتعدِّيان.

وربنا ﷻ هو الرفيع في الدرجات على الإطلاق من جميع الوجوه والاعتبارات، فهو تبارك وتعالى:

(١) رفيع الصفات، والقدر، والشأن، فلا أرفع منه قَدْرًا، ولا أكملَ منه جلالاً

(٢) ومن رفعة درجاته سبحانه: أنه المستحق لِدَرجات المَدْح، الثَّناء، وهي أصنافها، وأبوابها[(٢)]، وأفرادها، وأجناسها.

(٣) وهو الرفيع في الدرجات، فوق جميع المخلوقات، مستوٍ على عرشه، فوق الأرض والسموات، ولهذا قرنه بالعرش: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾.

(٤) ومن كمال رفعة درجاته: نزاهتُه سبحانه عن النَّقائص، والمعائب، والآفات، فهو رفيع عنها على الإطلاق.

(٥) وهو الذي يرفع من يَشاء من الخلق في الدنيا والآخرة:

❁ الأول: في الدنيا:

(أ) في المحسوسات: بالرزق، والخلق: فمن الأول: قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٣]، وفي الخلق: قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، ورفع سبحانه العرش فوق كلِّ المخلوقات.

(ب) في المعنويات: «إنه تعالى يرفع درجات الأنبياء، والأولياء»[(٣)] في

---

(١) انظر هذه القاعدة في: «قواعد التفسير» خالد عثمان السبت (٢/٨٠٧)، و«تفسير سورة آل عمران» لابن عثيمين (٢/٣٢٠، ٥١٨).

(٢) «الأسنى» (٢٠٦) بتصرف.

(٣) تفسير الرازي (٢٨/٤٤).

المَعارف، والعلوم، واليَقينيات، قال تعالى: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٧٦]، وقال عز شأنه: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة: ١١].

❁ الثاني: في الآخرة:

«فهو تعالى رافع درجات أوليائه في الجنة»(١) فيقربهم إليه، ويجعلهم فوق خلقه(٢)، ورفعه لهم فيها شامل للرفعة الكاملة: الحسيّة، والمعنوية.

تضمن رفيع الدرجات على صفات الثبوتية:

على صفة الذّات: هو رفعته في ذاتِه، وصِفاته، وجلاله، وعلوّ شأنه على غيره، وقد أشير إلى ذلك في العناصر (١، ٢، ٣، ٤).

على صفات الأفعال: أنه يرفع من يَشاء من المخلوقات، من النّاطِقات، والجَمادات، رفعًا حِسِّيًّا، ومعنويًّا، ذِكْرِيًّا في الدنيا، وفي الأخرى، وهذا يكون وفق مشيئته، وقدرته، وحِكمته جل وعلا.

(٢) صفة الكمال (البركة والتبارك) الجَليلة

صفة ذاتية، وفعلية، سمعية وعقلية، ثابتة بالكتاب، وفي سنة خير البرية ﷺ.

القُرْآنُ الكَرِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك: ١].

(٢) وقال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١].

---

(١) «الأسنى» (٢٠٦)، وتفسير الرازي (٤٤/٢٨).

(٢) «تفسير السعدي» (٧٣٤).

(٣) وقال عز شأنه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

(٤) وقال جَلَّ: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «**بَيْنَما أيوب** عليه السلام **يغتسلُ عريانًا... فناداه ربُّه** عَزَّوَجَلَّ: **يا أيوب! ألم أغنيك عمّا ترى؟ قال: بلى وعِزَّتك، ولكن لا غِنَى بي عن بَرَكَتِكَ**»[(١)].

(٢) ومن الأدلة السنية: تحية الإسلام التي جاءت عن خير الأنام ﷺ: «**السلامُ عليكم ورحمة الله وبَرَكَاته**».

(٣) الصلاة الإبراهيمية في التشهد.

(٤) دعاء القنوت: «... **وبارك لي فيما أَعْطَيْتَ**»[(٢)].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

البركة: تطلق على ثلاث معان:

الأول: الثبوت، واللزوم.

الثاني: النَّماء، والزِّيادة.

الثالث: التوفيق لِلخير.

تبارك: تفاعل من البَرَكة، وهي: الكثرة في الخير. وتبارك الله: تعظيم، وتمجيد، وتجليل. والمتبارك: المرتفع. ومعنى بركة الله: علوّ الله على كل حالٍ، وقيل: تنزه، وتقدس، وتعالى، وتَعاظم[(٣)].

---

(١) البخاري (٢٧٩).

(٢) «صحيح أبي داود» (١٤٢٥).

(٣) انظر هذه المعاني في: «عمدة الحفاظ» (١/١٨٣)، و«المفردات» (١١٩)، و«لسان العرب» (١/٢٦٥)، و«تهذيب اللغة» (١٠/٢٣٢)، و«القاموس المحيط» (١٠٠)، و«الصحاح» (٤/١٥٧٥).

وكل هذه المعاني صحيحة في حقه سبحانه، يتضمن بعضها بعضًا.

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

الله ربنا تبارك وتَعالى هو المبارك على الإطلاق: الذي تبارك في ذاتِه، وتباركت أوصافُه، وتباركت أسماؤه، وتباركت أفعالُه، فهو سبحانه أحق بذلك وأولى من كلِّ أحد، فهو الذي عمت، وكثرت بركاته في الأرض والسموات العُلا، في كل ساعة، ولحظة، وومضة، وحركة، فإنَّ الخيرَ كله بيده، والخير كله منه، فكل كَمال وخير في الموجودات فهو مُسْتَفاد من خير الله تعالى، وكماله في نفسه، وهي تستمد منه، وهو لا يستمدُّ منها، وهي فقيرة إليه، هو غَنِيٌّ عنها، كل منها يسأله كماله... فالله تعالى أحقُّ أن يكون متباركًا، فهو دليل على عظمته، وكثرة خيره، ودَوامه، واجتماع صفات الكَمال فيه، وإن كلَّ نفعٍ في العالَم فمِن نفعِه، وإحسانِه[(١)].

تضمن البركة على صفات الله الثبوتية:

على صفة الذات: أنه الموصوف بالعَظَمَة، والجلال، وعلو الشأن، (والمجد العال)، وتقدسه (عن النَّقائص والمَذامّ).

وصفة فعل: دوام جُودِه، وكثرة خيرِه، وبركاته، وتبريكه على من شاء من خلقِه، حيث أفاضَ عليه البركة، فكان مباركًا[(٢)].

قال ابن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... فتبارَكَ في نفسه لِعظمة أوصافِه، وكَمالها، وبارك في غيره بإحلال الخير الجَزيل، والبر الكثير»[(٣)].

---

(١) انظر: «جلاء الأفهام» (٢٣٣)، و«شفاء العليل» (١٨٣)، و«الجواب الكافي» (٥٧).

(٢) «جلاء الأفهام» (٢٣٦)، و«بدائع الفوائد» (٢/١٨٥).

(٣) التفسير (٢٩١).

(٣) صفة الكمال (النور، ونور السموات والأرض) الجَليلة

صفة ذات، وفعل، خبرية سمعية، وفطرية عقلية، ثابتة بالكتاب الكريم، وسنة البشير النَّذير ﷺ.

القُرْآنُ الكَرِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥].

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) كان رسول الله ﷺ يدعو من الليل: «اللَّهُمَّ لكَ الحمدُ، أنت نور السموات والأرض....»[١].

(٢) وقال ﷺ: «إنَّ الله تباركَ وتَعالى خلق خلقَه في ظلمة، فألقى عليهم نورًا من نورِه، فمن أصابَه من ذلك النُّور اهتدى، ومَنْ أخطأَهُ ضَلَّ...»[٢].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

النور: الضِّياء، والجمع: أنوار، والنور في الأصل: هو الضوء المنتشر الذي يُعين على الإبصار، وهو ضربان: دنيوي، وأخروي، وحسي، ومعنوي[٣].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف ربُّنا جَلَّ جَلَالُهُ نفسَه بالنُّور العَظيم، الذي ليس له فيه شبيه، ولا مَثيل،

(١) البخاري (١١٢٠) (٧٣٨٥)، ومسلم (٧٦٩).
(٢) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢٤١)، وصححه الألباني (ص١٠٧) وفي «صحيح الترمذي» (٢٦٤٢).
(٣) «عمدة الحفاظ» (٤/٢٣٠)، و«معجم مقاييس اللغة» (٥/٣٦٨)، و«اللسان» (٧/٤٥٧١).

ولا عَديل، فإنه سبحانه ذو الجَلال والإكرام، وذو البَهاء والهيبَة، والسبحات، قال رسول الله ﷺ: «حجابُهُ النُّور، أو النّار، لو كشفَه لأحرقَتْ سُبحات[1] وجهِهِ ما انتهى إليه بصرُه من خَلْقِه»[2].

والنور الذي من أوصافه تعالى على نوعَيْن:

الأول: ما اتصفَ به تعالى من النور العَظيم الذي هو وصفه، الذي هو من جملة نُعوته العَظيمة الجَليلة، وهو النور العَظيم الذي لا يمكن التعبيرُ عنه إلّا بمثل هذه العبارة النبوية المؤدية للمعنى العَظيم، وأنه لا تُطيق المخلوقات كلها الثبوتَ لِنور وجهِه، لو تبدَّى لها.

والنور الثاني: نوعان: نوره المعنوي، ونوره الحسي:

فالنور المعنوي: وهو نورُ المعرفة، والإيمان، والطاعة، الذي به نَوَّر قلوب أنبيائه، وأصفِيائه، وأوليائه، ومَلائكته، من أنوارِ معرفته، وأنوار محبَّتِه، فإنَّ لِمَعرفته في قلوب أوليائه المؤمنين أنوارًا، بحسب ما عرفوه من نُعوت جَلاله، وما اعتقدوه من صِفات جَماله.

والنوع الثاني: النور الحسي: الذي استنارت به العَوالِم كلها، التي لم يحصل لها نورٌ إلّا من نورِه: كنور الشمس، والقمر، والكواكب، واستنار به العرش، والكرسي، وسائر المخلوقات المدرك نورها بالأبصار[3].

تضمن النُّور لصفات الله الثبوتية:

على صفة الذات: وهو إضافة النور إضافة صفة إلى موصوفِها، وهذا

---

(١) السبحات: تقدم معناها في الكلام على صفة (الوجه)، وهي: نوره، وبَهاؤه، وجَلاله.

(٢) مسلم (٢٩٣).

(٣) «تفسير السعدي» (٥٦٨، ٧٣٠)، و«فتح الرحيم الملك» (٤٨)، وتوضيح الكافية (١٢٩)، و«الحق الواضح» (٩٣).

الوصف النور ملازم لِذاتِه العَلِيَّة، لا يُفارقها.

وصفة فعل: وهو نور مخلوق، وهو نوعان كما تقدم: حسي، ومعنوي[1]، وهذا يقعُ بِمَشيئته وإرادتِه، فيُعطيه مَنْ شاء من خلقه، على مقتضى حكمته.

(٤) صفة الكمال (المَعِيَّة) الجَليلة

صفة ثبوتية بنوْعَيْها، سمعية فطرية، جاءت في الكتاب والسنة.

القُرْآنُ الكَرِيمُ

(١) قال ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

(٢) وقال عز شأنُه: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادِلة: ٧].

(٣) وقال جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

(٤) وقال سبحانه: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «أنا عِنْدَ ظَنِّ عبدي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَني»[2].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

مَعَ بفتح العين: كلمة مصاحبة، يقال: هذا مع ذاك، وهي كلمة تضمُّ الشيء إلى الشيء، وهي اسم معناه: الصحبة[3].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصَف رَبّنا العَظيم بصفة المعية الحقيقية، العليَّة الكاملة من جميع

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/٣٨٤)، واجتماع الجيوش الإسلامية (٤٤)، و«تفسير السعدي» (٥٦٨، ٧٣٠).

(٢) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٣) «اللسان» (٦/٤٢٣٤)، و«معجم مقاييس اللغة» (١٥/٢٧٣).

وجوهِها، وهو فوق عرشه على الحقيقة، وهو كذلك مع جميع خلقه على الحقيقة، يعلم سِرَّهم وجهرهم، ويرى حركاتهم، وسكناتهم أينما كانوا، وعلى أي حال كانوا، والمعية لا يلزم منها المُخالطة، والمُلاصَقة، فإن العرب تقول: ما زلنا نسير والقمر معنا، قال العلامة ابن عثيمين: ومن المعلوم أن السائرين في الأرض، والقمر في السماء، فإذا كان هذا ممكنًا في حق المخلوق فما بالك بالخالق المحيط بكل شيء(١).

ومعية الله ﷻ نوعان: النوع الأول: معيَّة عامَّة. النوع الثاني: معيَّة خاصَّة.

فالمعية العامَّة: وهي اطّلاعُ الله تعالى على كل عِباده، بعلمِه، وسمعه، وبصره، رَقيب مهيمن على جَميع أحوالهم، وشؤونهم الظاهرة والباطنة، فهي معية إحاطة شاملة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

النوع الثاني: المعية الخاصة: وهي لأنبيائه، وأوليائه، وهي معية مقتضاها: النصر والتأييد، والهِداية، والوِلاية، والحفظ، والتسديد(٢)، وهي كائنة لهم في الدنيا والآخرة(٣)، وهي تنقسم إلى قسمَيْن:

الأول: مقيدة بشخص. الثاني: مقيدة بوصف.

مقيدة بشخص: مثل معية الله تعالى لنبيه ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ولِموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

الثانية: مقيدة بوصف: كمعية الله تعالى لأوليائه الذين تحلَّوا بِصِفات وخصال جليلة، مثل: (المتقين) و(المحسنين): ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ

---

(١) «القواعد المثلى» لابن عثيمين (ص ١٦٧).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥/١٠٣، ٢٢٧، ٤٩٥، ٦/٢٣)، و«منهاج السنة النبوية» (٨/٣٨٠)، و«مختصر الصواعق المرسلة» (٢/٣٩٢).

(٣) انظر: كتابنا «الجامع» أسماء الله الحسنى (ص٤٦٦).

هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨][(١)].

وفي الآخرة: أنه تعالى يجمع أولياءه الموحِّدين معه في جَنّات النَّعيم، وهذه المعية تقتضي: القرب، والعُلوّ، والرفعة، كما سألتها آسية امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، وكقول النبي ﷺ في آخر كلمة قالها عند موته: «اللَّهُمَّ الرَّفيق الأعلى»[(٢)].

تضمن المعية لصفات الله تعالى الثبوتية:

المعية العامة: تدلُّ على صفة الذّات، فهو تعالى مع كلِّ خلقِه، في كل آن، وحال، ولحظة، بعلمه، وإحاطته الكاملة، وهو فوق عرشه.

أما المعية الخاصة فهي فعلية: لأنَّها تتعلَّق بأسباب، وهذه الأسباب هي إما: أشخاص، أو أوصاف، أو خِصال، كما تقدم، وهي من مقتضاها: التأييد، والنصرة، والإجابة، والعِناية، وهذه الأفراد تتعلق بِمَشيئته، المَنوطة بحكمته العلياء سبحانه.

الفرق بين المعيتين:

(١) إن المعية العامَّة: من الصفات الذتية، والخاصة: من الصفات الفعلية.

(٢) إن العامة من مقتضاها: العلم، والإحاطة على جميع المخلوقات، وأما الخاصة: فتدخل في معانيها المعية العامَّة، وكذلك: الحفظ، والعِناية، والنصرة، والحِماية من المَهالك.

(٣) العامة: تكون في سِياق التخويف، والمحاسبة على الأعمال، والحثّ على المُراقَبة، والخاصة: مرتبة على الاتصاف بالأوصاف الجَميلة، والأخلاق الحميدة»[(٣)].

---

(١) «شرح الواسطية» لابن عثيمين (٢/٢٢٥).

(٢) البخاري (٤١٧٣).

(٣) «شرح الواسطية» للسلمان (٢/٢٢٤).

(٥) صفة الكمال (الشِّدَّة) الجَليلة

صفة ذاتية، وفعلية، خبرية، فطرية، ثابتة في الكتاب والسنة الشريفة.

القُرْآنُ الكَرِيمُ

(١) قال عز شأنه: ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ [النساء: ٨٤].

(٢) وقال تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

(٣) وقال سبحانه: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ [القصص: ٣٥].

(٤) وقال جل ثناؤه: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ [ص: ٢٠].

(٥) وقال ﷻ: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾ [الإنسان: ٢٨].

(٦) وقال تعالى: ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [البقرة: ١٩٦].

(٧) وقال سبحانه: ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [يونس: ٨٨].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «... **اللّٰهُمَّ اشْدُدْ وطأتَكَ على مُضَر، اللّٰهُمَّ سِنين كسِني يوسف**»(١).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الشدة: القوة، والصَّلابة، وهي نقيض اللِّين، يقال: شَدَّ الله ملكه؛ أي: قوّاه، وأصل الشَّدَّة: العقد القوي، وشددت الشيء: قويت عقده، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه: ٣١](٢)، وصحَّ عن قتادة أنه قال في قوله تعالى:

---

(١) البخاري (٢٩٣٢)، ومسلم (٦٧٥).

(٢) «عمدة الحفاظ» (٢/٢٥٥)، و«كتاب العين» (٢/٣١٥)، و«القاموس المحيط» (٦٧٣).

﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤]: «أي: عقوبة»[١].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصَف رَبُّنا الجَليل بصفة الشِّدَّة العليَّة، وهي صفة لازمة، ومتعدية:

صفة لازمة؛ أي: إن الله تعالى موصوف سبحانه بالقوَّة، والشدة المُتَناهية في ذاتِه، وصِفاته؛ أي: «في جميع صِفات الجبروت»[٢]، فهو تعالى لا يُريد شيئًا إلا فعلَه، ولا يَتعاصى عليه شيء، ولا يفوته هارب[٣].

ومتعدية: أنه تعالى يقوي من شاء من عِباده، ويُعاقب وينكل من يَشاء فيهم، كما قال لِموسى عليه السلام: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ [القصص: ٣٥]؛ «أي: سَنقوي أمرَك، ونعز جانبك بأخيك، ونجعل لكما حجة قاهرة، فلا سَبيل لهم إلى الوصول إلى آذاكما»[٤].

ومن شدته سبحانه: أنه لا أحد «أشدُّ نكاية في عدوه، من أهل الكفر به، منهم فيك يا محمد وفي أصحابك»[٥]، كما قال: ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤]، وجاء باسم التفضيل الذي يمنع المشاركة في الرُّتبة، لِدلالته على أعلى الوصفِ[٦] في حَقِّ تعالى.

وهو تعالى شديد العِقاب والمُؤاخذة، كما وصف بذلك نفسه: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

---

(١) «التفسير الصحيح» (٢/٨٤).
(٢) «المُحاضرات السنية» في «شرح الواسطية» (١/١٦٠).
(٣) «تفسير السعدي» (٤١٥).
(٤) «تفسير ابن كثير» (٣/٥٢٩).
(٥) «تفسير الطبري» (٢/٥١٧).
(٦) «تفسير سورة النساء» لابن عثيمين (١/٢٣٠).

يقول العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: «من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، مثل أن نقول: الوجه، يعني: ذو الوجه الحسن، فهو صفة مشبهة، وقوله تعالى: ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾؛ أي: شديد المؤاخَذة، قوي الجَزاء للعقوبة، وشدة العِقاب من كمال المعاقب، وبسط قوتِه، وسلطانِه، ولا يوصف الله تبارك وتَعالى إلّا بالكَمال...»(١).

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إثبات صفة شدة العِقاب لله عَزَّوَجَلَّ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آل عمران: ١١]»(٢).

تضمن الشِّدَّة لصفات الله الثبوتية:

أنه تعالى الشديد القوي في كل صفات الجَبَروت الذي لا يَعتريه ضعف، ولا وهن، ولا فتور، فهو من أوصاف الذات، إذْ إن هذه المَعاني الجَليلة لازمة لِذاته، لا تنفكّ عنه بأيِّ حال من الأحوال.

وأما معنى الشدة: أنه شديد الأخذ، والانتِقام، والكيد لِمَن عاداه من الأنام، وتقوية وتشديد الملك والسلطان، فهو من صِفات الفعل.

(٦) صفة الكَمال (الصِّدق) الجَليلة

صفة ثُبوتية، سمعية، فطرية، ثبتت في الكتاب الكريم، وسنة النبي الأمين ﷺ.

الكِتَابُ الحَكِيمِ

(١) قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران: ٩٥].

---

(١) «تفسير سورة البقرة» (٢/٤١١).

(٢) «تفسير سورة آل عمران» (٢/٤١١).

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

(٣) وقال عز شأنه: ﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

(٤) وقال ﷻ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٧].

(٥) وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قال لا إله إلّا الله، والله أكبر، صَدَّقه ربه فقال: لا إله إلّا أنا، وأنا أكبر...**»[١].

(٢) حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا فقالوا: (يا رسول الله! صَدَّق الله حديثَك)[٢].

(٣) وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا: «**... صَدَقَ الله، وكذبَ بطنُ أخيك**»[٣].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الصدق: ضد الكذب، ويدلُّ على قوة في الشيء قولًا وغيره. والصدق: مطابقة الخبر للمخبر عنه في نفس الأمر، وفي اعتقاد المخبر. والصَّدق بفتح الصاد: الكامل من كل شيء، وهو الجامع للأوصاف المحمودة[٤].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

يوصَف رَبُّنا العظيم ﷻ بصفة الصدق الجليلة، فهو الصادق على الإطلاق

(١) «صحيح الترمذي» (٣٤٣٠).
(٢) صحيح البخاري (٣٩٦٧).
(٣) صحيح البخاري (٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧).
(٤) «عمدة الحفاظ» (٢/٣٢٦)، و«اللسان» (٤/٢٤١٧).

الذي لا أصدق منه تعالى، فهو الصادق في وعدِه، ووعيده، وحديثه، الصادق في جميع ما يخبر به، فهو تعالى وعد المُطيعين بأن يُثيبَهم، ووعد السّائلين أن يُجيبَهم، فكل ما وعد سبحانه عباده به، فهو آتٍ كما وعد[1]، لا يتخلَّف، ولا يتغيَّر، ولا يزول، ولا يحول، كما هو، مطابق كما هو عليه، فهو تعالى الصادق في كل شيء في الدنيا، الأخرى.

تضمن الصدق لصفات الله الثُّبوتية:

دلالته على صفة الذات: أنه تعالى الصادق على الإطلاق، لاسْتِحالة اتصافه بالمُقابل: كالكذب، وإخلاف الوعد، والعهد، فلا يكون سبحانه صادقًا في حالٍ دون حالٍ.

وأما دلالته على صفة الفعل: أنه يصدق من يَشاء من عباده، كما في حديث عمر رضي الله عنه أنه قال: (وقَلَّما تكلمتُ وأحمد الله بكلامٍ، إلّا رجوتُ أن يكون الله يُصدق قولي الذي أقول)[2].

وكما في الأدلة التي تقدمت، منها حديث: «**مَنْ قال لا إله إلا الله**....، **صدقَه ربه فقال: لا إله إلا أنا، وأنا أكبر**»، وهذه المعاني وغيرها تقوم بِمَشيئته، وإرادته المَنُوطة بالأسباب، فمتى وجدت الأسباب، صدق سبحانه، كما يَليق بجَلالِه.

(٧) صفة الكَمال (ذو المَعارج) الجَليلة

صفة متضمِّنَة لنوعي الصفات الثبوتية، وهي صفة سمعية، فطرية، جاءت في القرآن الكريم.

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَـٰرِجِ﴾ [المعارج: ٢-٣]

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١/٢١٨)، و«شأن الدعاء» (١٠٢)، واشتقاق أسماء الله (١٦٨).

(٢) مسلم (٣٤٣٠).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

ذو: بمعنى صاحب. **المعارج**: عرج في الدرجة والسلم يعرج عُروجًا؛ أي: ارْتَقى، والجمع: معاريج. **والمعراج**: السُّلَّم، ومنه ليلة المعراج. وعرج الشيء فهو عريج: ارتفع وعَلا[1].

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾؛ أي: «العُلُوّ، والفواضل»[2]، وقال قتادة رَحِمَهُ اللهُ: «ذي الفواضل والنِّعَم»[3].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف رَبُّنا تعالى نفسَه بأنه ذو المعارج؛ أي: الموصوف بالعلو، والدرجات الفَواضل[4]، والآيادي الكريمة، والإنعام الدائم.

(١) فهو تعالى ذو المعارج أي: في العلو الأعلى الذي لا أعلى منه، فهو سبحانه فوق كلِّ الورى، على العرش استوى.

(٢) وهو تعالى «الذي يتولى المنازل، ويصرف الأمور على المَراتب، وينزل المأمورين على المقادير»[5].

(٣) وهو سبحانه الذي يصعد إليه الملائكة، الموكلون بأعمال العِباد، وإليه يصعد بأرواح المؤمنين[6].

فالمعارج: طرق الملائكة والروح عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فإذا كان منهم صعود كان فيهم

---

(١) «عمدة الحفاظ» (٤٨/٣)، و«اللسان» (٢٨٦٩/٤)، و«الصحاح» (٦٨٦)، و«القاموس المحيط» (٨٥٣).

(٢) «تفسير الطبري» (٤٤/٢٩).

(٣) «التفسير الصحيح» (٥٣٢/٤).

(٤) «الأسنى» (٢٠٩).

(٥) المصدر السابق.

(٦) الحجة في بيان المحجة (١٦٤/١)، و«شأن الدعاء» (١٠٤).

عروج، ولهم أيضًا تنزل، قال الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقال: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدر: ٤](١).

(٤) وهو سبحانه: صاحب الخيرات، والآلاء الحِسان، والأنعام العِظام، التي تدرُّ على كل الأنام، في الليل والنهار، وفي السرِّ والجِهار.

تضمن ذو المعارج لصفات الله الثُّبوتية:

تضمنت معاني الكَمال وهي: أنه تعالى ذو العلو، والدَّرجات الفَواضل: فيكون من أوصاف الذات، وهو من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

والذي يتولى المَنازل، ويصرف الأمور على المراتب، وينزل المأمورين على المقادير: فيكون من صِفات الفعل(٢).

(٨) صفة الكَمال (الطبيب) الجَليلة

صفة ذاتية فعلية، خبرية عقلية، ثبتت بالسنة المطهَّرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) قال رسول الله ﷺ: **«الله عَزَّوَجَلَّ الطبيب، بل أنت رجل(٣) رفيق، طبيبها الذي خلقَها»**(٤).

(٢) حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (ثم مرضَ رسول الله ﷺ، فوضعتُ يدي على صدره فقلت: أذهب البأس، رَبَّ الناس، أنت الطَّبيب، وأنت الشافي...»).

---

(١) «الأسنى» (٢٠٩).

(٢) المصدر السابق (٢٠٩).

(٣) هو أبو رثمة رضي الله عنه.

(٤) رواه أحمد في المسند (١٧٥٢٧)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٤٢٠٧)، في «السلسلة الصحيحة» (١٥٣٧).

وفي رواية عنها: (أنها كانت تمسحُ صدرَ النبي ﷺ وتقول: اكشف الباس، رب الناس، أنت الطبيب، وأنت الشافي، فيقول النبي ﷺ: «**ألحقني بالرَّفيق الأعلى**»[1].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الطب: هو العلم بالشيء، الحاذق بعلمه، يقال: رجل طبّ وطبيب؛ أي: عالم حاذق. والطبُّ أيضًا: الرفق، والطبيب: الرَّفيق[2].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

وصف نَبِيُّنا ﷺ رَبَّنا ﷻ بأنه هو المنفرد بالطب بكل أجناسِه، وأنواعه، وحقائقه، فجاء الوصف بالسنة القولية: «**الله الطبيب**».

وجاء عنه ﷺ بالسنة التقريرية في قول أُمِّنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (أنت الطبيب)، وقولها: (أنت) بضمير الفصل، والذي يفيد كما هو معلوم: الحصر، والاختصاص؛ أي: أنه تعالى هو الذي تفرَّد بهذا الوصف الجَليل، الذي ليس له فيه نَظير ولا عديل، «لأن المُعالج لِلمَريض من الآدميين، وإن كان حاذِقًا متقدِّمًا في صِناعته، فإنه قد لا يُحيط علمًا بنفس الدَّاء، ولئن عرفه ومَيَّزه فلا يعرف مقداره، ولا مقدار ما استولى عليه من بدن العليل، وقوته، ولا يقدم على مُعالجته إلّا متظنِّنًا عاملًا بالأغلب من رأيه، وفهمه، لأن منزلتَه في علم الدَّواء، كمنزلته التي ذَكَرْناها في علم الداء، فهو لِذلك رُبَّما يُصيب، وربما يُخطئ، ورُبَّما يزيد فيغلو، ورُبَّما ينقص فيكبو...

(١) رواه أحمد (١٠٨/٦)، ورواه البيهقي في الأسماء والصفات (١٥٣)، وقال محققه: إسناده صحيح (٣١٢/١)، وصححه الشيخ علي السقاف في «الصفات» (٢٥٥).

(٢) «لسان العرب» (٥٣٣/١)، و«معجم مقاييس اللغة» (٤٠٧/٣)، و«النهاية» (٥٥٧).

فأما الطبيب: فهو العالم بِحَقيقة الداء والدواء، والقادر على الصحة، والشِّفاء، وليس بهذه الصفة إلّا الخالق البارئ المصور»[1].

وربنا ﷻ هو العالم بِجَميع العلل، والأمراض، والأسقام، وأسباب العِلاج، لأنه سبحانه خالق كل شيء، ومنها: الأسباب، والمسببات، فيدخل في ذلك: الداء، والدواء، فهو سبحانه طبيبُ الأبدان، والقلوب، والأرواح.

تضمن الطبيب لصِفات الله الثبوتية:

صفة ذات: أنه سبحانه العالم الذي لا يَخْفى عليه شيء.

وأما أنه سبحانه الرَّفيق، وأنه يشفي الأمراضَ بكل أنواعِها الظاهرة، والباطنة، والحسية، والمعنوية، فهو من صِفات الأفعال.

** ** **

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (٣١١/١).

القسم الرابع: الصفات المنفية[1]

هذا القسم الرابع من تقسيم الصفات في كتابنا، وهذا النوع من الصفات هو الرُّكن الثاني لِصفات ربِّنا الجليلة، فهي كما تقدَّم تنقسم إلى ثبوتية، ومنفيَّة، فربُّنا العظيم موصوف بصِفات الإثبات، وموصوف بصِفات النفي، وقد جمعَ الله تبارك وتعالى بينهما في مواطِنَ عديدة في كتابه، وسنَّة نبيه ﷺ[2]، وأوضح الدلالة على ذلك كلمة الإخلاص، والتوحيد، والإسلام: (لا إله إلا الله)، فنفى سبحانه الألوهية عن كُلِّ ما سِواه: (لا إله)، وأثبتَها له وحده: (إلّا الله).

القواعد والضوابط

۞ القاعدة الأولى: (النفيُ في صِفات الله توقيفي)[3].

الصفات المنفيَّة كصِفات الله تعالى الثُّبوتية توقيفيَّة؛ أي: مرجعُها هو الكتاب والسنة، فلا تُعلَم بالقِياس، ولا بالنَّظَر، ولا بالرأي، ولا بالاجتهاد.

۞ القاعدة الثانية: (صفات النَّفي ليسَتْ أصلًا في معرفة الله تعالى)[4].

الأصل في معرفةِ رَبِّ العالمين هو الصفات الثبوتية الكمالية الوجودية، أما

(١) قد أفردت لها مؤلفًا، وجعلته تحت عنوان: «الصفات المنفية في الكتاب وفي السنة النبوية» ولهذا فلن أسهب ولن أطيل، ومن أراد الاستزادة فليراجعه.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/٣٥)، والصواعق المرسلة (٢/٤٢٠)، وتوضيح الكافية (١١٥)، و«تقريب التدمرية» لابن عثيمين (١٦).

(٣) انظر معنى القاعدة في: ««شأن الدعاء»» (١١١)، و«ذمّ التأويل» لابن قدامة (١٠)، و«بيان تلبيس الجهمية» (١/٩٧) (١/٤٤٤).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٧/١١٢)، والصواعق المرسلة (٤/١٣٦٧).

صِفات النَّفي فهي وسيلة وتميم، وحفظ وصونٌ لها، ولهِذا كانت صفات الإثبات هي الأغلب، والأكثر، والأوسع، في السنة، والكِتاب.

فإنَّ المقصود الأعظم من التوحيد إثبات صِفاتِ المَدْح، والحمد، والمَجْد، والجَلال[1].

❁ القاعدة الثالثة: (النفي ليس فيه كمال ولا مدح إلّا إذا تضمَّنَ إثباتًا)[2].

تقدمَ بيانُه أنَّ صفات النفي هي تتميم وتكميل وصون لِصِفات الله تعالى الثبوتية، ومضمون هذه القاعدة الجليلة: أنَّ كل صفةٍ نَفاها الله تعالى عن نفسِه، فإنها متضمنة لشيئَيْن:

الأول: انتفاءُ تلك الصفة.

الثاني: ثبوتُ كمال ضِدِّها على الوجه الأكمل.

ولهذا لا يوجد في الكتاب والسنة نفي محض؛ أي: غير متضمِّن لِكَمال، لأنَّ النفي المحض ليس فيه كمال، ولا مدح، ولا تعظيم، إلّا إذا تضمَّن كمالًا، فينفي عن الله تعالى (السِّنَة) لِثُبوت كمال ضِدّها وهو: كمال حياتِه، وقيوميَّته، وينفي عنه (الجهل) لِثُبوت كمال (علمه)، وينفي عنه (الإكراه) لِكَمال عظمته، وعِزَّته، ومنعته، وهكذا.

وهذه القاعدة هي الأصل الأصيل في بيان أنواع الصفات المنفيَّة التي جاءت عن الشارع الحكيم كما سيأتي.

---

(١) انظر: «الحق الواضح» (٧)، وتوضيح الكافية (١١٥).

(٢) التدمرية (٣٣)، و«مجموع الفتاوى» (١١٢/١٧)، و«شفاء العليل» (١١٢/١٧)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (١٠٨)، والصواعق المرسلة (١٠٢٣/٣)، و«مدارج السالكين» (٣٥/١).

۞ القاعدة الرابعة: (طريقة الكتاب والسُّنَّة في «الأسماء والصفات»: الإثبات المفصَّل، والنَّفْي المُجْمَل)[1].

الأصل في مَجيء الصفات بالوَحيَيْن الشريفَيْن أن الصفات الثبوتية تأتي مفصلة، مثل: (السميع) (البصير) (النافع) (الغالب)، وبالجملة: ذكر كل صفةٍ بمفردِها، وآحادها، لأنه كما تقدم هو الأصل في معرفة الله تعالى.

أمّا النَّفْي فإنه يأتي مجملًا، مثل قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١] هذا نفي مجمل، وأتى بعده إثبات مفصَّل ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، وكنفي الشَّريك عن الله، والعيوب، والنقائص، والمذامّ، هذا في الغالب.

فقد يأتي الإثبات مجمَلًا، ويأتي النفيُ مفصَّلًا، ومعنى مفصَّلًا هو: ذِكْر الصفة المنفيَّة بعينِها، مثل: نفي (السِّنَة)، ونفي (الخوف)، ونفي (النسيان)، ولا يأتي النفي مفصَّلًا إلّا لِسبب يقتضيه، كما سيأتي.

ومجي الإثبات مجملًا: هو إثبات الكمال المطلَق لله تعالى دون ذِكْر نوع هذا الكمال بمفردِه، كقوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]؛ أي: الوصف الأعلى.

۞ القاعدة الخامسة: (كل نقصٍ تنزَّه عن المخلوق فالخالق أحقّ به، وأولى بالتنزُّه عنه)[2].

هذه القاعدة مبنيَّة على أحد الأقيسة الفطرية العقليَّة السليمة، والتي جبلت عليها الخليقة، إلّا مَنْ طمسَ اللهُ على فطرتِه والعياذ بالله، والذي يُسمَّى

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤٧٨/٢) (٣٥/٣)، (٥٦٥/٦)، و«منهاج السنة النبوية» (١٥٧/٢)، و«الصواعق المرسلة» (١٠٠٩/٣)، و«شرح الواسطية» لابن باز (٢٥٨/١).

(٢) «نقض تأسيس الجهمية» (٣٢٧/١)، و«النبوات» (٢٤٢)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٢٢٢/٢) (٣٦٨/٣)، و«شفاء العليل» (٣٢٣/١)، و«الصواعق المرسلة» (١٠١٨/٣).

بـ«القياس الأولى»: (أن كلَّ كمال في الوجود فمعطيه وخالقه أحقّ وأولى به، وكل نقص وعيب فهو ﷻ منزَّه ومُتَعال عنه) من كل وجهٍ، وقد عبر عنه في كتاب رَبّنا بـ «المثل الأعلى»، قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، «والمثل الأعلى» هو: الكمال المطلَق الذي يوصَف به سبحانه على الإطلاق.

احتراز مهمّ في القاعدة:

إنَّه لا بُدّ من مُراعاة مفهوم النقص المنتفي عن الله عزَّ شأنُه، الذي يجب أن ينزه عنه، لأنّ هناك أمورًا هي نقص في حق المخلوق، ولكنّها كمال في حق الخالِق سبحانه، ومن ذلك: (الكبرياء)، و(العظمة) فإنها نقص في حَقِّ المخلوق، لكنه كمال مطلَق في حق الخالق، فإنَّ الله تعالى يسمى بالمتكبر، ويوصَف بالكبرياء(١).

۞ القاعدة السادسة: (الصفات المنفيَّة تنقسم إلى نوعين: صفات منفيَّة متصلة، وصفات منفية منفصِلَة).

النقائص المنتفية عن رَبِّنا العظيم إمّا أن تكونَ متصلة، وإما منفصلة عنه سبحانه.

وسُمِّيَ نفيًا متصلًا؛ أي: نفي صفات النقص التي من شأنها أن تكون متصلة بالموصوف بها، قائمة (بذاته العَلِيَّة) غير منفصلة عنه، ومثاله: نفي (الجهل)، فإنَّ الجهلَ من المعاني التي يتصور قيامُها بالذّات، ومن الأمثلة كذلك: نفي (السِّنَة) و(الخوف)، و(العجز)، و(التعب).

وسمي النوع الثاني منفصِلًا؛ أي: نفي صِفات النقص والتي ليست من قبيل الصفات القائمة بِذاته سبحانه، بل منفصلة عنه سبحانه، مثل: نفي

---

(١) النفي في باب صفات الله (١٨٦).

(الصاحبة)، و(الولد)، و(الشريك)، و(الظهير)[1]، وغير ذلك.

المعنى اللغوي لـ(النفي): أصل هذه الكلمة: تعرية شيء من شيء، وإبعاده منه[2]، وهي تأتي على عِدَّة معانٍ: التنحية، والرّدّ، والإبعاد، والجحود، والدَّفع[3]، وهي معان متقاربة جِدًّا من حديث مدلولها اللغوي[4].

الألفاظ الدالَّة على النفي

(السَّلْب): من أشهر هذه الألفاظ (السَّلْب)، لكثرة التعبير به خاصَّة عند المُخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة، ولهذا استعمل أهل السنة هذا الاصطلاح عند الرد على خُصومهم في هذا الباب الجليل وعبروا عنه بقولهم: (الصفات السلبية).

والسلب في اللغة: نزعُ الشيء من الغير، إمّا قهرًا، أو خِلْسَة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]. ويأتي بمعنى الخِفَّة، والإسراع[5].

(التنزيه): هو الإبعاد، والتنحيةُ عن الشيء، والتبرئة منه، يقال: تنزهت عن كذا؛ أي: رفعتُ نفسي عنه تكرُّمًا، ورغبة عنه. ويقال: رجل نَزيه؛ أي: بعيد عن السوء[6].

---

(١) انظر: «الحق الواضح» (٨)، وشرح العقيدة النونية للهراس (٢/٢١٠)، و«القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السَّلَف» (١٥٨)، و«التسبيح في الكتاب والسنة» (١/١٥١)، و«النفي في صفات الله» (١٢٠).

(٢) «معجم مقاييس اللغة» (٣/٣١٩).

(٣) انظر: «لسان العرب» (٨/٦٦١)، و«كتاب العين» (٤/٢٥٣)، و«القاموس المحيط» (١٠٦١).

(٤) النفي في باب صفات الله (٣٠).

(٥) انظر: «معجم مقاييس اللغة» (٨٩٥)، و«القاموس المحيط» (١٢٧٨)، و«المصباح المنير» (٣٤٧).

(٦) انظر: «كتاب العين» (٤/٢١٣)، و«معاني القرآن» لأبي جعفر النحاس (١/٥٢٦).

(التسبيح): هو الذَّهاب على وجه السُّرعة، والخِفَّة، فالتسبيح هو: التنزيه، والتقديس، والتبرئة عن السوء، والنقائص، والمَعايِب[(١)].

وهذه الكلمة من أهمّ الألفاظ وأجلِّها في النفي في صفات ربّ العالمين، إذ إن كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ حافلة في ذِكْرِها، ومن أسمائه ﷻ: (السّبوح).

(التقديس): هو الطهارة، والنَّزاهة، قال تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠][(٢)]، ومن أسمائه تعالى: (القُدُّوس).

(تعالى): وهو تفاعل من العلو، بمعنى: ترفَّع، أو ارتفع، ومنه قولهم: تعالى النَّهار إذا ارتفع[(٣)]، وهو أبلغ من قولك: علا، فإن عَلَا تفيد العلو، لكن تعالى تفيد معنى التنزّه مع العلوّ[(٤)].

(حاش): وهي: تنزيه، واستثناء، وتبرئة. وقد جاءت هذه اللفظة في آيتين من كتاب رَبِّنا ﴿وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٣١، ٥١]

وأصلها من الحشى، وهو الناحية، يقال: حاشا زيدًا؛ أي: جعلته في ناحية غير ناحيتهم. وقولك: حاشا لزيد من هذا؛ أي: تباعد منه[(٥)].

الأدوات الدالة على النفي

في لغة العرب التي أنزل الله سبحانه بها القرآن الحكيم ألفاظٌ تعرف

(١) ينظر: «معجم مقاييس اللغة» (٥٠٢)، و«لسان العرب» (١٤٧٠/١).

(٢) انظر: «اللسان» (٣٥٤٩/٦)، و«تفسير الطبري» (١٦٧/١).

(٣) انظر: «معجم مقاييس اللغة» (١١٢/٤)، و«اللسان» (٣٠٨٨/٥).

(٤) «تفسير سورة القصص» لابن عثيمين (٤٢٥/٦).

(٥) «المفردات» (٢٦٤)، و«عمدة الحفاظ» (٤١٤/١)، و«معاني القرآن» وإعرابه للزجاج (١٠٧/٣)، و«تفسير الطبري» (٢٠٦/٧).

بأدوات النفي، وأشهرها: (ليس)، (لا)، (لم)، (لن)، (ما).

أولًا: النفي بـ(ليس): قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢، الأنفال: ٥١].

ثانيًا: النفي بـ(لا): آية الكرسي، فقد تضمَّنَتْ على خمسة من أدوات النفي (لا)، كما في قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وقوله: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾...

ثالثًا: النفي بـ(لم): كما في سورة الإخلاص: ﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾، ﴿وَلَمۡ يُولَدۡ﴾، ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ٣ ـ ٤].

رابعًا: النفي بـ(لن): قال تعالى: ﴿وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ [الحج: ٤٧].

خامسًا: النف بـ(ما): قال سبحانه: ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨][(١)].

الأحوال التي تذكر فيها الصفات المنفيَّة

تقدمَ بيانُه في القاعدة الرابعة: (إن طريقة الكتاب والسنة في «الأسماء والصفات» الإثبات المفصل، والنفي المجمل) «هذا في الغالب، لأنَّ ذلك أبلغ في تعظيم الموصوف، وأكمل في التنزيه»[(٢)] لله جَلَّ جَلَالُهُ.

وإن التنزيه المفصل قد جاء بنفي أمور معينة مخصوصة، ولأسباب كذلك اقتضاها، لِمُنافاتها لكماله الواجب له سبحانه، وقد جاءت لأربعة أحوال:

الأول: بيان عموم كمال الله عَزَّوَجَلَّ:

وهو نفي العيوب، والنَّقائص عن الله على سَبيل العموم والشمول لكلِّ فرد من أفراد ما يضاد الكمال من النَّقائص، كقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ

(١) انظر: «التسبيح في الكتاب والسنة» (١/١٣٣، ١٤٤).
(٢) «تقريب التدمرية» لابن عثيمين (١٦).

ﭐلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فلم يقل سبحانه: ليس كمثله شيء في كذا، وكذا من صفات العيوب، بل عَمَّمَ النفي. وكقوله سبحانه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

الثاني: نفي ما ادَّعاه الكاذبون في حق الله تعالى من النَّقائص:

هذا المطلب من الأسباب المقتضية للتفصيل في النفي، من ذلك: ما ادَّعاه وافتراه أهلُ الكتاب والمشركون من الأمور العِظام، كادعائهم نسبة الولد لله تعالى، والصاحبة، والأنداد، والشريك، وأنه فقير، وأنه بخيل، وغير ذلك من الإفك العظيم، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]، وقوله سبحانه: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقوله جلَّ ثناؤه: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وغيرها من الآيات.

الثالث: دفع توهُّم النقص في كمال الله تبارك وتعالى:

وهو دفع توهم النقص في كماله سبحانه فيما يتعلَّق بهذا الأمر المعيَّن، كقوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدّخان: ٣٨]، وكقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]:

ففي الآية الأولى: نفي النقص في الإرادة، وفي الثانية: نفي النقص في الفعل.

الرابع: ذِكْرُها في سِياق تهديد الكافرين:

بنفي ما قد يتوهمونه من إفلاتهم من العقوبة التي يستحقونها، لأنهم قد

يَظنّون كذبًا وزُورًا أن الله لا يطلع على أعمالِهم، أو أنه لا يقدرُ على عُقوبتهم، مثل قوله سبحانه: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤، ٨٥، ١٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وكقوله تعالى: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠][١].

ضوابط صفات النفي:

الضابط الأول: نفي كلِّ صفة عيب، أو نقص، أو ذَمّ عنه سبحانه، مثل: النوم، والموت، والصمم.

الثاني: نفي كل نقصٍ مناقض لِكَمال أوصافه، فهو موصوف بكمال الحياة مُنَزَّه عما يُضادها من: السِّنَة، والنوم، وفي علمه: عن الجهل، والنسيان، والغفلة، وفي قدرته: عن العجز، والضعف، والتعب.

الثالث: نفي مماثلة المخلوقين عنه سبحانه، كأن يجعل علمه كعلمِ المخلوق[٢] أو وجهه كوجه المخلوق، أو جماله كجمال المخلوق... ونحو ذلك.

الآيات والأحاديث الواردة في الصفات المنفية

تقدمَ بيانُه أن الصِّفات المنفية تأتي مجملة ومفصلة، والأصل فيها الإجمال، والتفصيل لا يأتي لأسباب خاصَّة.

القسم الأول: الآيات والأحاديث الواردة على سَبيل النفي المجمل:

(١) نفي الشريك في الأُلوهية.

---

(١) انظر: «شرح القواعد المثلى» (١٣٥)، و«شرح العقيدة الواسطية» (١٤١/٢)، و«تقريب التدمرية» (٢١) لابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) انظر: التدمرية (١١٦)، و«الحق الواضح» (١٣)، و«الكافية الشافية» (١١٥).

(٢) نفي اتخاذ الشريك في الرُّبوبية.

(٣) نفي اتخاذ الشريك في الأسماء والصفات[١].

القسم الثاني: الآيات والأحاديث الواردة على سَبيل النفي المفصل:

وهو نفي كل صِفة نقص مخصوصة بعينها.

سبق أنْ ذَكَرْنا أن صِفات الله تعالى المنفية تنقسم إلى نوعين: نفي متصل، ونفي منفصل:

فالأول ضابطه: «نفي كل نقص، وكل ما يناقض، صفة من صفات كمال رَبِّنا تعالى القائمة بذاتِه تعالى، غير منفصلة عن ذاتِه العلية».

❊ ❊ ❊

(١) انظر تفصيل الأدلة في: كتابنا «صفات الله المنفية في الكتاب والسنة النبوية» (١٦٠ ـ ١٦٩).

الصفات المنفية المتصلة بالتفصيل

(١) نفي (الموت) عن الله سبحانه

القُرْآنُ الحَكِيم

قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

كان ﷺ يقول: **«اللَّهُمَّ لكَ أسلمْتُ، وبكَ آمنتُ... أنت الحيُّ الذي لا يموتُ، والإنسُ والجِنُّ يموتون»**(١).

تضمَّن النفي على الصفات العلا:

تضمن نفي هذه الصفة النقيصة: على كمال (حياة الله)، فهو سبحانه الحي الذي ليس لِحَياته ابتداء، وليس لها انتهاء. وعلى كمال (قيوميَّتِه)، فهو القائم بنفسِه مطلقًا، لا بغيره سبحانه، فلا يزول، ولا يحول، الذي به قامت جميعُ الموجودات، فلا بَقاء لها إلا بِه.

ويلزم منها كمال (أخريته) بالبقاء بِلا نهاية، قال ﷺ: **«وأنت الآخر فليس بعدَك شيءٌ»**(٢).

ويلزم منها كذلك كمال (الصمدية)(٣)، وكمال (الوراثة)(٤).

---

(١) مسلم (٢٧١٧) واللفظ له، والبخاري مختصرًا (٧٣٨٣).

(٢) مسلم (٢٧١٣).

(٣) لأن الصمد هو الباقي الدائم، لأنَّ من معانيه: أنه «لم يلد ولم يولَد»؛ أي: هو الذي لا يموت ولا يورث، لأنه ليس شيء يولد إلّا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، والله تعالى لا يموت، ولا يورث.

(٤) لأنه تعالى (الوارث) أي: هو الباقي بعد فَناء كل الخليقة: ناطقة، وصامتة، وبهيمة.

(٢) نفي (السِّنَة) ـ النُّعاس ـ عن الله تعالى

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

تضمَّن النفي على الصفات العلا:

تضمن هذا النفي على كمال (حياة الله)، وجمع في الآية في النفي بين السِّنَة والنوم، لأنه لا يلزم من نفي أحدِهما نفي الآخر، إذ يتصور مجيء النوم دفعة واحدة، من غير مبادئ النُّعاس، ومجيء النُّعاس دون النوم.

وتضمن النفي كذلك كمال (قيومِيَّته).

(٣) أ ـ نفي (النوم) ب ـ و(استحالة النوم) عن الله سبحانه

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(استحالة النوم)(١): قال ﷺ: «**إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا ينامُ، ولا ينبغي له أنْ ينامَ**»(٢).

---

(١) استحالة النوم صفة أخرى غير انتفاء النوم، لأنه ليس كل من انتفى عنه النوم ينتفي عنه استحالة النوم، فمثلًا: أهل الجنة لا ينامون، ولكن لا يستحيل عليهم النوم، ففي الأول: نفي وقوع الصفة، والثاني: نفي الصِّحَة، فالعطف تأسيس لا تأكيد، إذ لا يلزم من نفي الوقوع نفي الصحة.

(٢) مسلم (٤٤٤).

❁ تضمَّن النفي على الصفات العُلا:

تضمَّنَ نفي هذه النقائص على كمال (حياة الله)، وعلى كمال (قيوميته)[(١)].

(٤) نفي (الجهل، وخفاء الأمور) عن الله تعالى

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال ﷺ: «إِنَّ الله لا يَخْفَى عليكم»[(٢)].

❁ تضمَّن النفي على الصفات العُلا:

تضمن النفي لكمال (عِلْمه)[(٣)]، و(خبرته)[(٤)]، وشمول (رقابَتِه)[(٥)]، وسعة (إحاطتِه)[(٦)]، وعلى كمال (سمعه) و(بصره)، وعلى تمام (بطونه)[(٧)].

---

(١) لأن النوم أخو الموت، ومَنْ تأخذه سنة ونوم لا يكون قيومًا، قائمًا بنفسه، مقيمًا لِغيره، فإن السِّنَة والنوم يناقضان ذلك.

(٢) البخاري (٧٤٠٧)، ومسلم (٢٩٣٢).

(٣) لأنَّ الجهل يُضاد علمه تعالى، فهو تعالى العالم بِما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لم يكن، لو كان كيف كان يكون؟! قد أحاط علمُه بالواجبات، والمستحيلات، والممتنعات، والممكنات، وبالماضيات، والمستقبلات، وبالمحسوسات، والمتنعات، فأنى يخفى عليه شيء؟!

(٤) لأنه تعالى الخبير: هو العالم بكنه الشيء، المطلع على حَقيقته، فهو سبحانه الذي انتهى علمُه إلى الإحاطة بِبَواطن الأشياء وخَفاياها، كما أحاط بِظَواهرها، لا تخفى عليه عواقبُ الأمور وبَواديها.

(٥) الرقيب: هو الحافظ، الموكل بحفظ الشيء، المتحرز عن الغفلة فيه، لا يَغيب عنه شيء.

(٦) المحيط: هو الذي أحاط علمُه بالظواهر والبَواطن، والخفيات والجليات، فلا يحجبه عن خلقِه شيء، ولا يشذ عن سلطانه وملكه شيء.

(٧) لأنه سبحانه هو الباطن لجميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيء منه، العليم ببَواطن الأمور وظَواهرها، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السموات العُلا.

(٥) نفي (الضلال)[١] عن رَبِّ العالمين

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال سبحانه: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَـٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]

۞ تضمَّن النفي على الصفات العُلا:

تضمن النفي على كمال (علمه)، و(حكمته)، و(لطفه)[٢].

(٦) نفي (التعب، والإعياء) عن الله ﷻ

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

(٢) وقال سبحانه: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ [ق: ١٥].

۞ تضمَّن النفي على الصفات العُلا:

تضمن نفي التعب والإعياء كمال (عظمتِه)[٣]، وكمال (قوته)[٤]، و(متانته)[٥]، وتمام (القدرة)[٦]، ونفوذ (الإرادة)، وسعة (المشيئة).

---

(١) الضلال يقع على: الخطأ، والضياع، والهَلاك، والغياب.

(٢) لأنه تعالى لطف علمه حتى أدرك الخَفايا والخبايا، وما احتوت عليه الصدور، وما في الأرض من خبايا البذور.

(٣) لأن العظيم هو الذي لا يمتنع عليه شيء بالإطلاق، مهما جل الأمر في الأرض أو في السماء.

(٤) لأنه تعالى له القوة المطلَقة التي لا تتخلف في أي حال، ولا لحظة، فلا يعتريها ضعف، ولا وهن، ولا قصور في أي أمر يكون.

(٥) فهو سبحانه المَتين، الشديد في قوته، الذي لا تنقطع قوته، ولا يلحقه في أفعاله مشقة، ولا تعب، ولا كلفة.

(٦) فهو المتناهي في القدرة والاقتدار، لا يمتنع عليه شيء في كل الأقطار، فهو سبحانه قادر على إيجاد المعدوم، وإعدام الموجود، فكيف يلحقه تعب أو إعياء؟!

(٧) نفي (الإثقال) عن الله عَزَّوَجَلَّ

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال رب العالمين: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

تضمَّن النفي على الصفات العُلا:

تضمن نفي الإثقال كمال (عظمته) تعالى، و(حفظه)، وتمام (عزته)[١]، و(قوته)، وسعة (حكمته في أحكامه).

(٨) نفي (العبث، واللعب، والباطل) عن الله تعالى

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

(١) قال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٠].

(٢) وقال ل ثناؤه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦]

(٣) وقال عز شأنه: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ [آل عمران: ١٩١].

تضمَّن النفي على الصفات العُلا:

تضمن هذا النفي على صفات كمال تضاد هذه النقائص، والتي منها: كمال (حكمته)[٢]، و(حمده)[٣]، و(أحقيته)[٤]، وسعة (علمه)، و(ملكه)، و(ألوهيته).

---

(١) لأن العزيز هو المنيع، الذي لا يمتنع عليه شيء، فهو تعالى الذي ذَلَّت لِعزته الصعاب، ولانَتْ لقوته الشدائد الصلاب.

(٢) لأن الحكمة تنافي السفه.

(٣) فهو المحمود على الإطلاق من كل وجه واعتبار، والمحمود لا يفعل العبث، ولا يقع في اللعب.

(٤) لأن الحق نقيض الباطل، فهو الحق سبحانه على الإطلاق في أفعاله، وأقواله، وصفاته، وملكه، وسلطانه، وقضائه، وحكمه.

(٩) نفي (النسيان) عن الله تبارك وتعالى

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال ﷺ: «ما أحلَّ الله في كتابِه فهو حلالٌ، وما حرَّم فهو حرامٌ، ما سكتَ عنه فهو عافية، فاقبلُوا من الله العافية، فإنَّ الله لم يكن نَسِيًّا» ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[1].

۞ تضمن النفي صفات الله العُلا:

تضمن النفي على كمال (علمه)، وتمام (حفظه)، وسعة (حكمته)، و(شهادته)[2]، و(لطفه).

(١٠) نفي (العجز) عن الله جلَّ ثناؤه

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٤].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: كَذَّبَنِي ابنُ آدم، ولم يكن له ذلك، وشَتَمَني، ولم يكن له ذلك، فأمّا تكذيبُه إياي: فزعم أني لا أقدر أن

(١) رواه الحاكم (٤٠٦/٢) وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٥٦).

(٢) لأنه تعالى هو المطلع الذي لا يغيب عنه شيء، بحيث لا يعزب عنه وجه من وجوه تفاصيله، ولا ذرة من ذراته، فشهادته أصل الشهادات، وأعظمها، لأنها تشمل: العلم، والرؤية، والتدبير، والقدرة، فكيف يغفل أو ينسى شيئًا؟!

أعيدَه كما كان...»[(١)].

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن نفي هذه الصفة النقيصة، على كمال (علمه)، و(قدرته)، ونفوذ (إرادته)، و(مشيئته)[(٢)] سبحانه.

(١١) نفي (الفقر) عن الله تبارك وتعالى

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي إثبات كمال (غناه)[(٣)] سبحانه، وسعة (ملكه)، و(سلطانه)، وعلى (جوده) العالي، و(عزته) الرامية.

(١٢) نفي (الخوف) عن الله سبحانه

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال سبحانه: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس: ١٤].

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن نفي هذه الصفة النقيصة على أنه هو (الملك) الأعلى، وعلى كمال

(١) البخاري (٤٤٨٢) (٤٩٧٤).

(٢) لأن النفي للعجز إنما ينشأ إما من ضعف عن القيام بما يُريده الفاعل، وهذا ينافي القدرة، ونفوذ الإرادة، والمشيئة، وإما من عدم علمه به، وهذا خلاف العلم.

(٣) لأنه تعالى له الغنى المطلق التام، فغناه من لوازم ذاته العلية، الذي لا ينفك عنه بأي حال، ومع ذلك فهو مغني جميع خلقه: إنسهم، وجنهم، برهم وفاجرهم، وبهائمهم، فأنى يكون فقيرًا؟.

(قهره)[١]، و(عزته)، وسعة (قدرته)، وعلى كمال (علمه)[٢]، وتمكن في مُراده.

(١٣ ـ ١٤ ـ ١٥) نفي (إخلاف الوعد والعهد) و(تبديل القول) عن رَبِّ العالمين

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

(١) قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩١].

(٢) وقال تعالى: ﴿فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ﴾ [البقرة: ٨٠].

(٣) وقال جلَّ ثناؤه: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٩].

تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن على كمال (صدقه)[٤]، وكمال (قدرته)[٥]، وتمام (عدله)[٦].

(١٦) نفي (الظلم) عن الله سبحانه

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ [النساء: ٤٠].

---

(١) لأنه سبحانه قهر كل الخليقة، فقهر أهلَ السموات بالتسخير، وأهل الأرض بالذُّلِّ والتعبيد، لا يقدر أحد أن يخرجَ عن تقديره، أو تدبيره.

(٢) لأن الخوف يكون إما عن الضعف، والخور، المنافي للقدرة، والمشيئة في دفع ما يخافه، وإما عن منافاة علمه عن مآله، وعاقبته، وصيرورته.

(٣) لأن فاقد الإرادة يحصل له الخوف بدون مشيئته، واختياره، وأنى يكون ذلك في حقِّ رَبِّ العالمين؟!

(٤) لأنه سبحانه لا أصدق منه حديثًا، ولا قولًا، فكل ما أخبر أو وعد به، أتى لا محالة، فلا يتخلف ولا يتغير.

(٥) لأن إخلاف الوعد إما أن يكون بكذب الواعد، وإما أن يكون لِعجز الواعد، والله تعالى قد انتفى عنه الأمران، فهو لِكمال صدقِه في خبره، وكمال قدرته في تنفيذ وعده، وعهده، وعدم تغير قوله سبحانه.

(٦) لأن كل أوامره، ونواهيه، ووعده، ووعيده مرتبط بالعدل، لأنه لا يأمر إلّا بما فيه مصلحة ومنفعة، ولا ينهى إلّا عن شر، ومفسدة.

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن النفي على كمال (عدله)، ومنتهى (قسطه) سبحانه، وتمام (غناه)[1]، وغاية (حكمته)، و(حمده)[2].

(١٧) نفي (الغفلة) عن الله عزَّ شأنُه

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤، ٨٥، ١٤٠، ١٤٩].

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على كمال (علمه)، و(شهادته)[3]، و(مراقبته)، و(حفظه)، و(إحاطته) لكل شيء.

(١٨) نفي (البخل والغلول)[4] عن الله سبحانه

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن نفي هذه الصفة النقيصة على كمال (غِناه)، وسعة (كرمه)،

---

(١) لأن الظلم لا يفعله إلّا مَن هو محتاج إليه، أو موصوف بالجور، أو لجهله، والله تعالى الغني عن كلِّ شيء، فما له وظلم العباد.

(٢) لأن الحميد هو المحمود على أفعالِه، وأوصافه، وملكه، وأسمائه، وآلائه، والظلم يُنافي الحمد من كل وُجوهه.

(٣) لأنه تعالى هو الشهيد: المطلع على كل العَبيد، لا تخفى عليه ذرَّة، ولا حركة، ولا سكنة، في أرضه، أو في سماواته، عالم بحقائقها، علم المشاهد لها في كل آن، ولحظة.

(٤) الغل: كناية عن البخل، يقال: غلت يد فلان، وفلان مغلول اليد: كناية عن بخله، وإمساكه عن الإنفاق.

(وعطائه)، و(إحسانه)[1]، وتمام (فضله)، وسبغ (إنعامه) لِسائر مخلوقاته.

(١٩) نفي (الرزق) عن الله تعالى

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧].

۞ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي لكمال ضده من كمال (غِناه)، وكمال (صمديته)[2]، وتمام (العزة)، و(الكبر)[3]، (والكبرياء).

(٢٠) نفي (الاستحياء من الحَقّ) عن الله تعالى

القُرْآنُ الحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦].

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله:

---

(١) لأن الإحسان وصف لازم له، فلا يخلو موجود في هذا الوجود عن إحسانِه طرفة عين، فكيف يقع منه خلافه؟!

(٢) لأن الصمد: هو الذي لا جوف له، فلا يأكل، ولا يشرب.

(٣) الكبر: الامتناع، فهو المنيع سبحانه عن كل نقص متصف به الخلق.

إنَّ الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غسلٍ إلى احتلمتْ؟ قال: «نعم...»(١).

❁ تضمن النفي على صِفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي نفي ما يناقض كماله في أوصافه، والتي منها: (حياؤه)(٢)، وعلى كمال (أحقيته)، وتمام (بيانه)(٣)، وعلى كمال (حكمته)، و(علمه)، و(عدله)، و(قدرته)(٤).

(٢١) نفي (رؤية الله في الدنيا بالأبصار)

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن النفي على كمال (عظمة)(٥) الله تعالى التي لا يقوم لها الخلق، وعلى

---

(١) مسلم (٣١٠).

(٢) لأن حياءه تعالى علي ليس له مثيل، ومن ذلك: أنه لا يرد من سأله ورفع يديه إليه ومع ذلك لا يستحيي أن يبين ويرشد ويدعو إلى الحق والهُدى، خلاف الورى، فحياؤهم يمنعهم من كثير من المنافع والهدى.

(٣) إذ إن حياءه تعالى يُنافي أن لا يبين الحق والهدى، والرشاد، وبيانه للعباد، بخلاف العباد فإن حياءهم يمنعهم من إظهار الحق، وبيانه للناس، كما تقدم.

(٤) على كمال القدرة: لأن العاجز يمنعه من القيام في بيان الحق وإعلامه ونشره وتبليغه.

(٥) لأنه سبحانه هو العظيم الذي جاوز قدره وجل فيها عن حدود العقول، حتى لا تتصور الإحاطة بكنهه وحقيقته، فمن عظمته العظيمة كما في الصحيح أنه «يضع السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملِك». البخاري (٧٤١٧)، ومسلم (٢٧٨٦).

(كبريائه)، و(جلاله)، و(عليائه)، وعلى كمال (لطفه)[(١)]، و(رأفته)[(٢)].

(٢٢) نفي (أن يُظلم) سبحانه

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧].

تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن نفي هذه الصفة على كمال (عزة) الله وتمامها، وعلى (جبروته)[(٣)]، و(كبريائه)، و(غناه)، و(تعاليه في عليائه).

(٢٣) نفي (تضييع الله تعالى أجور أحد من العباد)

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٤٣].

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧١].

تضمن النفي على صِفات الله العُلا:

تضمن على كمال (رأفته)، و(رحمته)[(٤)]، وكمال (عدله)، و(حفظه) سبحانه،

---

(١) اللطف هو: البر، والحفاوة، والرفق، والتكريم، فمن لطفه بهم أنه علم سبحانه أنه لا يقوى أحد على رؤيته في هذه الدار، فلطف بهم فحجبَ رؤيتَه فيها.

(٢) الرأفة أشد الرحمة، فمن كمالِها: أنه تعالى لم يُحَمِّل خلقَه ما لا يُطيعون، ولا يحتملون، ومن ذلك: لأنه لا أحد يقوى على رؤية الله تعالى بالأبصار في الدنيا، حتى أعظم الجمادات، ولهذا حينما أخرج سبحانه «طرف أنملته» ساخ الجبل على شدَّته، وقوته، فكيف بخلقِه؟!

(٣) الجبار: هو العالي الذي لا يُنال، المتَعاظم المتكبر، الذي تقدَّس عن أن تَناله النقائص، والمَذامّ، من أحد من الأنام.

(٤) كما ختم بها سبحانه آية البقرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ إذ إن من رحمته ورأفته أنه تعالى يُثيب على العمل، فلا يضيع لِعامل عملًا، ولا يهدر لِساعٍ سعيًا، وينال برحمة الله وفضله من الثواب أضعاف عملِه.

وسعة (علمه)، و(خبرته)[1]، وشمول (رقابته)، و(صدقه)، و(هيمنته)[2]،

(٢٤) نفي (الإطعام) عن الله ﷻ

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ﴾ [الأنعام: ١٤].

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن نفي الإطعام كمال (صمديته) تعالى، وشمول (إقاتته)[3]، وسعة (رزقه)، وتمام (غِناه).

(٢٥) نفي (إدراك الخلق لله تعالى بالأبصار في الآخرة)

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على غاية (عظمته)، وكمال (كبريائه)، وتمام (سعته)[4]، و(إحاطته) بما سواه سبحانه، وعلى (لطفِه)[5]، و(خبرته).

---

(١) إذ إن الخبرة، والعلم، والحفظ يُنافي التضييع والغفلة، والصون للأشياء.

(٢) لأن المهيمن هو: الأمين، الذي لا يضيع شيئًا، فكأنه سبحانه جعل أعمال العباد في أمانِه، وحفظه.

(٣) فهو المقيت الذي خلق الأقوات، وتكفل بإيصالها بفضلِه إلى كل المخلوقات، فالكل يأكل من قوته.

(٤) لأنه هو الواسع المطلق في ذاتِه، وصفاته، وسلطانه، وملكوته، وأسمائه، وأفعاله، ومتعلقاتها، فأنى يُدرَكُ ويُحاط به سبحانه من أحدٍ من عباده ؟!

(٥) فإذا عجزت الأفهام عن إدراك صنعته وحكمته وما فيها من لطف ودقة، فكيف يُدرك هو سبحانه بالأبصار؟

(٢٦) نفي (الضُّر) عن الله عزَّ شأنُه

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا﴾ [آل عمران: ١٧٧].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال ﷺ فيما يَحكيه عن ربِّه تعالى، وفيه: «... يا عبادي إنَّكم لنْ تَبْلُغوا ضُرِّي فتضُرُّوني...»(١).

تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن النفي على كمال (العزَّة)، وتمام (الغِنى)، و(العُلا)، و(الجبروت)(٢)، وتناهي (الجلال)، و(الكبرياء)، وعلى غاية (مجده)(٣).

(٢٧) نفي (المُبالاة)(٤) عن الله سبحانه

القُرْآنُ الكَرِيمُ

قال تعالى: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ﴾ [الفرقان: ٧٧].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «قال الله عَزَّوَجَلَّ: يا ابن آدمَ إنَّكَ ما دعوتَني ورَجَوْتَني غفرتُ لكَ على ما كان منكَ ولا أُبالي، يا ابن آدم لو بلغَتْ ذُنوبُكَ عنانَ السَّماء

---

(١) مسلم (٢٥٧٧).

(٢) لأن الجبار هو العظيم العالي، الذي فات يدَ المتناول، ومنه قولهم: نخلة جبارة: إذا فاتت اليدَ من التناول، فكيف يقع عليه سوء أو ضرّ؟!

(٣) المجيد: هو المنيع الذي لا يُرام، ولا يُوصل إلى جَنابه، فلا يلحقه ضر أو شر.

(٤) المبالاة: الاهتمام والاكتراث.

ثم استغفرْتَني غفرتُ لكَ ولا أُبالي...»[1].

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على كمال (سلطانِه) تعالى، و(فضله)، و(إحسانه)، و(غِناه) العالي سبحانه.

(٢٨) نفي (امتناع عن الله تعالى فعل ما أرادَ) سبحانه

القُرْآنُ الكَرِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ[2]﴾ [فاطر: ١٦ ـ ١٧].

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

(٣) وقال جلَّ ثناؤه: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سئل رسولُ الله ﷺ عن العَزْل؟ فقال: «ما مِنْ كُلِّ الماء يكونُ الولد، وإذا أرادَ اللهُ خلقَ شيءٍ لم يَمنعْه شيءٌ».

(٢) وقال ﷺ: «.... وإنَّ رَبِّي قال: يا محمَّد! إنِّي إذا قضيتُ قضاءً، فإنَّه لا يُرَدّ»[3].

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٤٠)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/١٩٩) (١٢٧).

(٢) أي: بممتنع.

(٣) مسلم (١٤٣٨).

۞ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن النفي على إثبات كمال ضِدِّه، وهو: (سهولة الأمر) على الله تعالى في كُلِّ ما أرادَ، وشاء، فهو سبحانه (يفعل ما يَشاء)، وأنه تعالى (فَعّال لِمَا يُريد)[(١)].

وتضمن على كمال (قوته)، وعلى شُمول (قدرته)، ونفوذ (إرادته).

(٢٩) نفي (النفع) عن الله سبحانه

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال ﷺ فيما يَرويه عن رَبِّه عَزَّوَجَلَّ: «... **يا عبادي إنَّكم لن تبلُغوا ضُرِّي فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**...»[(٢)].

۞ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على كمال (غِناه)، ورفعة (سلطانه)، وعزِّ (كبريائه)، وعلى (مجدِه)[(٣)]، و(حمده).

(٣٠) نفي (الكذب) عن الله تعالى

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: كذَّبَني ابنُ آدم ولم يكن له ذلك، وشتمَني ولم يكن له ذلك، فأمّا تكذيبه إياي، فزعم أنِّي لا أقدر أن أعيدَه**...»[(٤)].

---

(١) فكل أمرٍ يُريده فعله، لا يتعاصى عليه شيء، ولا يُعارضه أحد، وليس له ظَهير، ولا عَوين، ولا مُساعد، على أي أمرٍ يكون، بل إذا أرادَ أمرًا قال له: كن فيكون.

(٢) مسلم (١٤٣٨).

(٣) لأن المجيد كما تقدم هو: المنيع المحمود، لأنه لا يوصل إلى حضرته، ورفعة مكانه، ومكانتِه أحد من خلقه.

(٤) البخاري (٤٤٨٢) (٤٩٧٥).

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على كمال (صدق) الله سبحانه، و(قدرته)[(١)]، و(قوته)[(٢)]، و(عظمته)[(٣)].

(٣١ـ٣٢) نفي (الصمم) ونفي (الغيْبة)[(٤)] عن الله سبحانه

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال ﷺ: «أربعوا على أنفسكم، فإنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائِبًا، إنَّكم تدعون سَميعًا، بصيرًا، قريبًا، وهو معكم»[(٥)].

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن نفيُهما على كَمال (سمعه) تعالى، ولِكَمال (بصره)، و(علمه)، و(قربه)، فهو تعالى: أقرب من النفس، من نفس الشَّخْص.

(٣٣) نفي (العَوَر) عن الله جلَّ شأنُه

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله لا يخفى عليكم، إنَّ الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه...»[(٦)].

---

(١) لأن الكاذب لا يكذب إلّا عند عجزِه، والعجز ضد القدرة.

(٢) وإما عن ضعفه وهوانه، وهذا منافٍ للقوة.

(٣) لأن العظيم لا يمتنع عليه شيء، ولا يُكره على أمر، فكيف يقع منه الكذب؟

(٤) الغَيْبة: خلاف الحُضور، والمُشاهدة.

(٥) البخاري (٢٩٩٢) (٤٢٠٢) (٧٣٨٦)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٦) البخاري (٧٤٠٧)، ومسلم (٢٩٣٢).

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على كمال (بصره) سبحانه، وعلى إثبات كمال عينيه[(١)]، السالمتين من كل نقصٍ، وعيب، وآفة.

(٣٤) نفي (أن يكون لله مكره) تبارك وتعالى

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعوتُم الله فاعزِمُوا في الدعاء، ولا يقولن أحدُكم: إنْ شئتَ فأعطِني، فإنَّ الله لا مستكره له**».

وفي رواية: «**إنَّه يفعلُ ما يَشاء، لا مكره له**»[(٢)].

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على كمال (فعل) الله تعالى، فهو الفَعّال لِما يُريد، وكيف يُريد، ومتى يُريد سبحانه، وتضمَّن على كمال (قدرته)[(٣)]، وشمول (إرادته)، وتمام (قوته).

(٣٥) نفي (الشَّرّ) عن الله ﷻ

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنَّه كان إذا قام من الصَّلاة قال: «**وجَّهْتُ وجهي...**» إلى أنْ قال: «**والشَّرُّ ليسَ إليك**»[(٤)].

---

(١) نفي العور يتضمن إثبات العينين، لأنَّ الأعور من فقد إحدى عينيه.

(٢) البخاري (٦٣٣٨) (٦٣٣٩) (٧٤٦٤) (٧٤٧٧)، ومسلم (٢٦٧٨).

(٣) لأن له كمال القدرة التامَّة، التي لا تتخلف في أي حالٍ، ولا لحظة، لا يعترضه عجز، ولا فُتور، ولا يفوته مطلوب، فأنى يصيبه أو يلحقه مكروه؟.

(٤) مسلم (٧٧١).

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن النفي على كمالِه تعالى على الإطلاق من جَميع الوُجوه والاعتِبارات، فهو الكامل في (ذاتِه)، و(أسمائه)، و(صفاته)، و(أفعاله)، وفي (أقواله، وكلماته)، و(سلطانه)، و(ملكه)، وتضمنَ على (غِناه)، و(حمدِه)[(١)].

(٣٦ ـ ٣٧) نفي (تبديل) أو (تحويل سُنَّة الله[(٢)]) سبحانه

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن النفي على كمال (حكمة)[(٣)] الله تعالى، وتمام (عدله)، و(سلطانه)، وشمول (إرادته)، و(قدرته).

(٣٨) نفي (الإحاطة بالله) تبارك وتعالى

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [البقرة: ٢٥٥].

---

(١) تضمن على غِناه، وحمده: لأن فاعل الشَّرّ لا يفعله إلا لِحاجته المُنافية لِغناه، أو لنقصه وعيبه المُنافي لِحمده.

(٢) الفرق بين التبديل والتحويل: أن التبديل: رفعُ، والتحويل: تغير، فالله تعالى لا تتبدل سنته فترفع على من أراد عليهم العذاب فتبدل بنعيم، ولا تحول إلى قومٍ آخرين فيسلم من استحقَّها، ولهذا جاء تخصيص كل صفةٍ بعينها.

(٣) لأن صاحبَ الحكمة مَنْ له سعة العلم، والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبِها، الذي يضع الأشياء في أحسن مواضعها، فلا يقول، ولا يفعل، ولا يرسل، ولا يقضي إلّا بالحكمة العليا.

۞ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي إثبات كمال ضده لله سبحانه، من ذلك: كمال (علم) الله تعالى، وكمال (عظمته)، و(كبريائه)، و(جلاله)، و(إحاطته)، و(لطفه)، وأنه أكبر، وأعلى، وأجل من كلِّ شيء سبحانه.

(٣٩) نفي (تعاظم شيء) على الله جل شأنه

السُّنَّة النَّبوِيَّة

قال رسول الله ﷺ: «إذا دَعا أحدُكم، فليعظم الرغبة، فإنَّه لا يتَعاظم على الله شيءٌ»[(١)].

۞ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن النفي على كمال (عظمته) سبحانه، وجَلال (سلطانه)، و(قهره)[(٢)]، (وجبروته)، وأنه (الفعال لِما يُريد).

(٤٠) نفي (الخِيانَة) عن الله عَزَّوَجَلَّ

القُرآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾[(٣)] [الأنفال: ٧١].

---

(١) «صحيح أبي داود» (١٣٣٣)، و«صحيح موارد الظمآن» (٢٣٧)، ومسلم (٢٦٧٩).

(٢) القهار: هو الذي ذَلَّت له جميع المخلوقات، ودانت لِقدرته، ومشيئته، موادّ وعناصر العالم العلوي والسفلي، لا يخرج شيء عن سيطرته، وغلبته، وكل شيء خاضع لأمره، في حركته، وسكونه، فكيف يتعاظم عليه شيءٌ؟!

(٣) ولم يقل (فخانهم)، كما قال في (المكر)، و(الخداع)، و(الاستهزاء)، و(الكيد)، لأن الخيانة صفة ذَمٍّ على الإطلاق، حتى على جهة المُقابَلَة، لأنها: خديعة في مقام الائتمان.

۞ تضمن النفي على الصفات العُلا:

تضمن على كمال (عدل) الله سبحانه، وتمام (حكمته)، و(حمده)، و(طيبته)[(١)]

(٤١) نفي (تبديل خلق الله[(٢)]) سبحانه وتعالى

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

هذه الآية فيها بيان أن ما يقدره الله عَزَّوَجَلَّ لا يمكن أن يغير، وقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ إمّا بمعنى: النهي؛ أي: لا تبدلوا خلقَ الله، بمعنى: لا تُغيروا فطرةَ الناس. وإما بمعنى: الخبر، بمعنى: أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة[(٣)]؛ أي: لا يولَد أحد إلّا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك، والقاعدة في التفسير كما تقدم: (أن الآية إذا احتملت معاني عدة، ولم يمتنع إرادة الجميع، حُمِلَ عليها)[(٤)]، والآية صالحة للمعنيَيْن جميعًا، (بمعنى الخبر عن الله تعالى أنه) لا أحد يستطيع أن يغيرَ ما خلق الله تعالى، ولا يجوز لنا نحن أن نغيرَ هذه الفطرة التي خلقنا عليها من الإخلاص إلى الشرك)[(٥)].

---

(١) هو الطيب سبحانه الذي لا أطيب منه، لأنه مطهر عن كل النقائص والمَذامّ، ومنزه عن كل وصف خال عن كمال، الطيب في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فلا يصدر منه إلّا الطيب، ولا يفعل، ولا يقول، ولا يقوم به إلا الطيب الكامل.

(٢) لم أورد هذه الصفة المنفية والتي تليها في كتابي «الصفات المنفية»، فناسب هنا أن أتعرض لها بشيء من الشرح.

(٣) كما ثبت عن مجاهد أنه قال ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: «دينه». «التفسير الصحيح» (٨٤/٤).

(٤) قواعد التفسير (٨٠٧/٢)، و«تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (٣٢٠/١).

(٥) «تفسر ابن كثير» (٥٨٥/٣)، و«تفسير سورة الروم» لابن عثيمين (٩٠/٧).

۞ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على كمال (خلقه)، و(قدرته)، و(مشيئته)، ونفوذ (إرادته)، وعلى كمال (حكمته)، و(رأفته)، و(رحمته) بخلقه، وأنه (المحمود) في خلقه، وفعله، كما هو محمود في شرعِه، وحكمه، وأمره[(١)]، ونهيه[(٢)].

(٤٢) نفي (الباطل عن كتاب) الله عَزَّوَجَلَّ

القُرْآنُ الحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [الكهف: ١].

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤١ ـ ٤٢].

العوج: العطف عن حالة الانتصاب، ويقال فيما يدرك بالفِكْر والبصيرة[(٣)]

الباطل: الشيء الزائل، وهو نقيض الحق، وقد يقال ذلك بالاعتبار إلى المَقال، والفعال[(٤)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

نفى الله سبحانه عن القرآن الذي هو كلامه الاعوجاجَ، والزيغ، والميل، بل جعله معتدلًا، مستقيمًا، ونفى عنه كذلك الباطل من جميع الوجوه، فوصفه بأنه (عزيز) أي: منيع، غالب، ليس لِلبُطلان إليه سَبيل، فلا يستطيع أن يناله

---

(١) فأوامره كلها حِكَم، ومنافع، ورحمة، وصلاح.
(٢) نواهيه فيها دفع المَفاسد، والشرور، والمساوئ.
(٣) «المفردات» (٥٩٢).
(٤) «عمدة الحفاظ» (٢٠١/١).

بسوء، من الإنس، أو الجنّ، لا بإدخال ما ليس منه به، ولا بِزيادة، ولا بنقصان، إلا فضحه الله سبحانه[(١)]، كما هو معلوم ومُشاهد في كل زَمان، ومكان.

۞ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

«تضمن النفي على أنه سبحانه (حَقًّا) من كل وجه»[(٢)]، وعلى كمال (حفظه) تعالى «فهو محفوظ في تنزيله، محفوظ بألفاظِه، ومَعانيه، قد تكفَّلَ من أنزله سبحانه بحفظه»[(٣)]، وعلى كمال (صدقه)، وعلو (حكمته)، وكمال (كلامه)، و(أمره)، ونهيه)، فـ«ليس في أخباره كذب، ولا في أوامره، ونواهيه ظلم ولا عبث...»[(٤)]

(٤٣) نفي (النقص في ملك الله تعالى

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّة

(١) قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تبارك وتَعالى يقول: يا عبادي! إنِّي حرمتُ الظلم على نفسي، فلا تظالموا.....، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحدٍ منكم، ما نقصَ من ذلك من ملكي شيء، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجِنَّكم، قاموا في صعيد واحدٍ فسألوني، فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مسألتَه، ما نقص ذلك مِمّا عندي، إلّا كما ينقص المخيط إذا أدخلَ البحر»[(٥)].

(٢) وقال ﷺ: «يد الله ملآى لا يَغيضها[(٦)] نفقة، سَحَّاء الليل والنَّهار،

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/١٠٢)(٤/١٣٢) و«تفسير السعدي» (٤٦٩) (٧٥٠)و«تفسير سورة فصلت»لابن عثيمين (٩/٥٠١)

(٢) انظر: «تفسير سورة فصلت» لابن عثيمين (٩/٥٠٣).

(٣) «تفسير السعدي» (٧٥٠).

(٤) المصدر السابق (٤٦٩).

(٥) مسلم (٢٥٧٧).

(٦) أي: لا ينقصها شيء.

أرأيتم ما أنفقَ منذ خلق السموات والأرضَ، فإنه لم يغض ما في يدِه...»[1].

۞ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على غاية (ملك) الله سبحانه، وسمو (سلطانه)، وعلى كمال (كرمِه)، و(جودِه)، و(عطائه)، وتمام (عِزَّتِه)، وعلى كمال (يديه) المبسوطتان بالعَطاء، والخيرات، في الليل والنَّهار.

(٤٤) نفي (نفاد كلام الله) عَزَّوَجَلَّ

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

(١) قال تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

(٢) وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

أخبر اللهُ سبحانه عن عظمته، وسعة صِفاته (والتي منها): سعة كلامه، وعظمة قوله، وأنّها لا يُحيط العباد بشيءٍ منها، بشرح يبلغ من القلوب كل مبلغ، وتنتهي له العقول، وتحير فيه الأفئدة، وتسبح في معرفته أولوا الألباب، والبصائر، بأن الأبحر الموجودة في العالم، وأشجار الدنيا من أولها إلى آخرها، من أشجار البلدان، والبَراري، والبحار أقلام يكتب بها، لتكسرت تلك الأقلام، ولفني ذلك المِداد، ولم تنفد كلماتُ الله تعالى.

وهذ التمثيل من باب التقريب إلى المعنى، الذي لا يُطاق الوصول إليه

---

(١) البخاري (٧٤١١)، ومسلم (٢٣٠٦).

بالأفهام والأذهان، لأنَّ هذه الأشياء التي ذكرت مخلوقة، وجميع المخلوقات منقضية منتهية، وأمّا كلام الله فإنه من جملةِ صِفاته، وصفاته غير مخلوقة، ولا لها حدّ، ولا منتهى[1]، وكلمات الله تعالى كونية وشرعية، أما الشرعية: فهو ما أوحاه إلى رسلِه، وأما الكونية: فهي ما قَضا به قدره[2].

۞ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على كمال (عظمة) الله سبحانه[3]، و(سعته)[4] المطلقة التي ليس لها حد، ولا عد، ولا ند.

ومن ذلك: «سعة (كلامه)، وعظمة قوله»[5]، إذ إن (كلام) الله تعالى من جملة صفاته، وصفاتُه سبحانه ليس لها حدّ، ولا منتهى[6].

(٤٥) نفي (تضييع شيء من الأشياء[7]) عن الله عَزَّوَجَلَّ

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) حديث في قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع زوجته هاجر عندما تركها في مكة، وفيه: «... **فقال لها الملك: لا تَخافي الضيعة، فإنَّ هاهنا بيت الله، يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يُضيع أهلَه**»[8].

(٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ودعني رسول الله ﷺ فقال: «**أستودِعُك**

---

(١) «تفسير السعدي» (٤٨٩) (٦٥١).
(٢) «تفسير سورة الكهف» لابن عثيمين (١٥٠).
(٣) فهو العظيم الذي ليس لِعَظمته بداية، وليس لها نهاية، والكلام من جملة عظمته، لأنه صفة من صفاته العُلا.
(٤) فهو الواسع المطلق في ذاتِه، وصِفاته، وأفعاله، وأقواله التي لا ساحلَ لها.
(٥) «تفسير السعدي» (٦٥١).
(٦) المصدر السابق (٤٨٩).
(٧) هذه الصفة المنفية أعم من صفة «نفي تضييع أجور العِباد» رقم (٢٣).
(٨) صحيح البخاري (٣٣٦٤).

اللَّه الذي لا تضيع ودائعُه»[1].

(٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا أشخص السَّرايا يقول للشاخص: «أستودعُ اللهَ دِينَك، وأمانتَك، وخواتيمَ عملِك»[2].

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على كمال (حفظِه)، وشمول (هيمنته)، وتمام (عدله)، و(صدقه)، و(اقتداره)، و(علمه) سبحانه.

(٤٦) نفي (التفريط في الكتاب)

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٣٨].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

فرط: التفريط: التقصير، والإهمال، والتضييع، والعجز في الشيء، مع القدرة على ترك التقصير[4].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

نفى ربنا العظيم عن كل ما ينافي كماله الأعلى المقدَّس، وعن كل نقص وذمٍّ يتَّصف به الخلق من الجن والإنس، من ذلك: التفريط، والإهمال في الكتاب، أي: في اللوح المحفوظ، كما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

(١) «صحيح ابن ماجه» (٢٨٢٥).
(٢) المصدر السابق (٢٨٢٦).
(٣) هذه الصفة المنفية أخص من صفة (نفي الإحاطة) رقم (٣٨).
(٤) «عمدة الحفاظ» (٣/٢١٨)، والمحرر الوجيز (٢/٢٩٠).

«ما تركنا شيئًا إلا قد كتبناه في أم الكتاب»[(١)].

والمعنى: ما تركنا، ولا أهملنا، ولا أغفلنا شيئًا من الأشياء، إلا وقد كتبناه في اللوح المحفوظ، بل جميع الأشياء صغيرها وكبيرها، مثبتة في اللوح المحفوظ على ما هي عليه، فتقع جميع الحوادث طبق ما جرى به القلم، لأن الله تعالى أمر القلم[(٢)] أن يكتب ما هو كائن[(٣)].

۞ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على «(القدرة) الكاملة، و(العلم) الشامل»[(٤)] و(الحفظ) التام، و(الإرادة) الكاملة.

(٤٧) نفي (العلم بما في نفس[(٥)]) الله تبارك وتعالى

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

النفس: الذّات[(٦)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

جاء النفيُ بما في نَفْسِ الله تعالى على لِسان عيسى عليه السلام، والمقصود بنفسِه

(١) «التفسير الصحيح» (٢/٢٣٧).
(٢) كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»، وفي لفظ: «اكتب القدر، وما هو كائن إلى الأبد» صحيح الجامع (٢٠١٧) (٢٠١٨).
(٣) «تفسير السعدي» (٢٥٥)، و«تفسير سورة الأنعام» لابن عثيمين (٤/٦٢٢).
(٤) «نظم الدرر» (٢/٦٣٢).
(٥) هذه الصفة المنفية أخص من صلة (نفي الإحاطة) رقم (٣٨).
(٦) «المفردات» (٨١٨).

تعالى: «هي ذاته المقدسة، المتصفة بصِفاته العُلا»[(١)]، والمعنى: تعلم ما في نَفْسي من خَطَرات، ومرادات، ومقاصد، وخبايا، ولا أعلم ما في نفسك؛ أي: لا أعلم ما في ذاتِك بوجهٍ من الوُجوه، والمقصود: «أننا لا نعلم ما عندَ الله عَزَّوَجَلَّ، فلا نعلم ما في نفسِه مِمّا يقدره جلَّ وعلا، ويريده سبحانه، ولا نعلم عن إرادة الله إلّا بوقوع المُراد، يعني: نحن لا نعلم أنَّ الله أراد أن تُمطِرَ حتى ينزل المطر، ولا نعلم أنَّ الله تعالى كتب حروبًا تقع بين الناس، إلّا إذا وقعت هذه الحروب، فإذا وقعَتْ علمْنا أنَّ الله أرادَها، إذْ لا يكون في ملكِه إلّا ما يُريد»[(٢)].

۞ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على كمال (كبرياء) الله سبحانه، و(عظَمته العظيمة)، و(جَلاله)، و(تعاليه)، و(عِزَّته)، و(لطفه)، و(بطونه)[(٣)].

(٤٨ـ٤٩) نفي (تعجيل) و(تأخير شيء عن مُراد) الله تعالى

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

حديث أم حبيبة زوج النبي ﷺ حينَما سألت الله تعالى: اللّٰهُمَّ أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ ... فردَّ عليها ﷺ، وفيه: «... **لن يعجل الله شيئًا قبل حلّه، أو يؤخر شيئًا عن حله**»[(٤)].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٤/١٩٦)، (٩/٢٩٢).

(٢) «تفسير سورة المائدة» لابن عثيمين (٤/٥٣٤).

(٣) لأنه سبحانه هو الباطن: الذي احتجب عن ذَوي الألباب كنه ذاتِه العليَّة.

(٤) مسلم (٢٦٦٣).

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

حله: أي: وجوبه، وحينه[١].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

نفى رَبُّنا عز شأنُه في كتابه، وعلى لِسان نبيه أن يعجل شيئًا قدرَه، أو يؤخره عن وقته، فدلَّ على أن «الآجال، والأرزاق، مقدرة لا تتغير عَمّا قدره الله تعالى، وعلمه في الأزل، فيستحيل زيادتها، ونقصها حقيقة عن ذلك»[٢].

تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن على كمال (أفعال الله)، فهو (الفعّال لِما يُريد) كما يُريد، لا يتعاصى عليه شيء، وليس له ظهير، ولا عوين، وعلى كمال (القدرة) و(الاقتدار)، وتمام (الحكمة)، ونفوذ (المشيئة)، و(الاختيار) في السِّرِّ والجهار، وفي الليل والنهار.

(٥٠) نفي (اللوم) عن الله جلَّ ثناؤه

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يقول: يا ابن آدم! إنَّك إن تبذُل الفضل فهو خيرٌ لَكَ، وإنْ تمسكه شَرّ لك، وابدأ بِمَنْ تعول، ولا يلومُ اللهُ على الكفاف...**»[٣].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

لامَه لومًا من باب قال: عذلَه، فهو ملوم على النقص[٤].

---

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٨/٤٦٦).
(٢) المصدر السابق.
(٣) رواه أحمد (٢/٣٦٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٣٤٣)، وفي «السلسلة الصحيحة» (٢٤٧٣).
(٤) «المصباح المنير» (٣٢٣).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

أخبر المصطفى ﷺ أنَّ الله تعالى لا يلومُ على الكفاف وهو: من الرزق، والقوت، وهو ما كف عن النّاس وأغنى عنهم، والمعنى: لا تذم على حفظِه وإمساكه أو تحصيله أو كسبه، وبالجملة: إنَّك لا تُلام على كفاف على قدر الحاجة(١).

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على كمال (عدل) الله سبحانه، وكمال (رأفته)، وتمام (حمدِه)، و(أحقيته)، وسمُّو (حكمته)، و(لطفه).

(٥١) نفي (الغدر والفوت) عن الله جل جلاله

القُرْآنُ الحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ:٥١]

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الغدر: الإخلال بالشيء وتركه، ومنه قولهم: غدر فلانٌ عهد فلانٍ، أي ترك حفظه، ومراعاته(٢).

والفوت: بُعد الشيء عن الإنسان بحيث يتعذَّر إدراكه، وهو من فوت الرمح، أي: حيث لا يدركه الرمح(٣).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

جاءت هذا الصفة المنفية عن ربنا الجليل في سياق الإخبار عن مشاهد

---

(١) انظر: «تحفة الأحوذي» بشرح جامع الترمذي (٦/٢١٤).

(٢) «عمدة الحفاظ» (٣/١٥٣).

(٣) «المفردات» (٦٤٦).

يوم القيامة وما فيها من الأهوال المقلقة، والشدائد المزعجة، فيحشر ربنا الخلائق كلهم على تلك الأرض، فلم يغادر منهم أحدًا، أي: فلم يترك منهم أحدًا، لا صغيرًا ولا كبيرًا، بل إنه سبحانه يجمع الأولين والآخرين من بطون الفلوات، وقعور البحار، ويجمعهم بعدما تفرَّقوا، ويعيدهم بعدما تمزَّقوا، خلقًا جديدًا، فيعرضون عليه، فيقومون بين يدي الله تعالى صفًّا واحدًا(١).

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على كمال (القدرة) و(الإرادة)، وسعة (العلم) و(الخبرة)، وتمام (الإحاطة)، و(الشهادة).

(٥٢) نفي (أن يأتي أحد بمثل كلام) الله سبحانه

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال رَبُّ العالمين: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

نفى الله سبحانه أن يأتي أحد بمثلِ هذا القرآن العَظيم، الذي هو كلامه، وجاء هذا النفي في سِياق التحدِّي فأخبر أنه لو اجتمعت الإنس والجن كلهم، واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله الله على رسوله، لَمَا أطاقوا ذلك، ولَما استطاعوه، ولو تَعاونوا، وتساعدوا، وتَظافَروا، لم يقدروا عليه، ووقع كما أخبر الله تعالى، فإنَّ دواعي أعدائه المكذبين به، متوفرة على رَدّ ما جاء به بأي وجه كان، وهم أهل اللسان والفَصاحة.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/١٢٤)، و«تفسير السعدي» (٤٧٩)، و«تفسير النسفي» (٦٥٤).

وكيف يقدر المخلوقُ من التُّراب، الناقص من جميع الوجوه، أن يُعارضَ رَبَّ الأرض والسماء، الذي لا نَظير له، ولا عديل، ولا مِثال؟![1]

۞ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على كمال (كلام) الله تعالى، «فكما أنه ليس أحدٌ من المخلوقين مماثلًا لله تعالى في أوصافه، فكلامُه من أوصافِه، التي لا يُماثله فيها أحد، فليس كمثله شيء في ذاتِه، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله تبارك وتعالى»[2].

وتضمن كذلك على كمال (حفظه)، و(اقتداره).

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) «تفسر ابن كثير» (٣/٩٠)، و«تفسير السعدي» (٤٦٦).

(٢) «تفسير السعدي» (٤٦٦).

الصفات المنفية المنفصلة بالتفصيل

هذا النوعُ الثاني من صِفات رَبِّنا الجَليل المنفية، وقد تقدم بيان معناه: أن المقصود منه نفي ما افْتَراه الجاهِلون ونَسَبوه إلى الله تعالى من الأشياء المنفصلة عنه تعالى من النَّقائص، الغير القائمة بِذاته العليَّة.

وضابط هذا النوع: تنزيهُ رَبِّ العالَمين عن أنْ يُشاركه أحدٌ من خلقِه في شيء من خَصائصه التي لا تنبغي إلّا له، من التوحد، والتفرد بالكمال على الإطلاق.

(١)(٥٣) نفي (أن يكون لله والد) سبحانه

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

كما في الحديث القدسي: «**كَذَّبَني ابنُ آدم ولم يكن له ذلك، وشتَمَني ولم يكن له ذلك، أما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحدُ الصَّمَدُ الذي لم ألد، ولم أولد، ولم يكن لي كُفُوًا أحد**»[١].

۞ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي لإثبات كمال ضِدِّه، وهو: كمال وتمام (الغِنَى)، وعلى كمال (صمديته)، و(أحديته)، و(وحدانيته)[٢]، وكمال (أوليته)[٣].

---

(١) البخاري (٣١٩٣) (٤٩٧٤).

(٢) لأن من أحديته ووحدانيته أنه لم يتفرع عنه شيء، ولا تفرع هو عن شيءٍ.

(٣) هو الأول الذي ليس له ابتداء، فهو تعالى قبل كل شيء، فهو سابق للأشياء كلها بأوقات لا نهاية لها في الوجود، ولا ابتداء.

(٢)(٥٤) نفي (اتخاذ الصاحبة) عن الله تعالى

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجِنّ: ٣].

السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ

كما في حديث رؤية الله تعالى يوم القيامة، وفيه: «**فيدعى اليهود فيُقال لهم: مَنْ كنتم تعبدون؟ قالوا: كُنّا نعبد عزيرًا ابن الله، فيُقال لهم: كذبتم! ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد...**»(١).

۞ تضمن النفي على صِفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على (جَلال) الله تعالى، و(عظمته)، وعلى تفرُّدِه (بِخَلقِه)(٢)، وفي (أمره)، و(وحدانيته)، و(أحديته)(٣).

(٣) (٥٥) نفي (اتخاذ الولد) عن الله سبحانه

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [البقرة: ١١٦].

السُّنَّةُ النَّبوِيَّةُ

تقدم الحديث في الصفتين السابقتين.

---

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (٤٥٣).

(٢) فهو سبحانه الذي خلق الأشياء وأبدعَها وأوجدَها من العدم، فأنى يتخذ مخلوقًا هو موجده؟! تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

(٣) لأنه تعالى هو المتفرد لا مثيلَ له، ولا عديل، ولا شبيه له، فكيف يكون له صاحبة مثل خلقه؟!

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن نفي هذا النقص على كمال (الغِنى) لله تعالى من كل وجه، وعلى كمال (العِزَّة)، و(الأحدية)، و(الصمدية).

(٤) (٥٦) نفي (الظهير)[١] عن الله تعالى

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾ [سبأ: ٢٢]

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن النفي على كمال (ولايته)[٢] سبحانه العامة والخاصّة، وعلى كمال (الملك)[٣]، و(الغنى)، و(عظمة السلطان)، وسعة (القدرة)، وتمام (القوة).

(٥) (٥٧) نفي (اتخاذ ولي من الذُّلِّ) عن الله سبحانه

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال وتعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن على كمال (غِناه)، و(عظمته)[٤]، و(عِزَّته)، و(اقتداره)، و(كبريائه).

---

(١) الظهير: المُعين، والمعتمد.

(٢) لأنه هو ولي العالمين، في التصريف، وتقدير المَقادير، وجلب المَنافع، ودفع المَضارّ، والمساوئ، فأنَّى يكون له مساعد أو عوين؟!

(٣) لأنه أقامَ ملكه وحده، لم يُشاركه فيه أحد، وصرف أمورَه فيه بالحكمة، والعدل، والحَقّ، قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

(٤) لأنه العَظيم في أفعاله، فمن عظمتها: أنها متعالية عن الشريك، والمُعين، والنصير، والظَّهير.

(٦) (٥٨) نفي (الإجارة[١]) عن الله عَزَّوَجَلَّ

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن النفي على كمال (سِيادته) تعالى، وكمال (ملكه)، و(سلطانه)، و(حكمته)، و(عدله)، و(قهره)، و(كبريائه).

(٧) (٥٩) نفي (سؤال الله عما يفعل) سبحانه

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن على كمال (عظمته)[٢]، وتفرده (بالألوهية)، و(السلطة الذّاتيَّة)[٣]، وعلى كمال (الحكمة)، و(دَقائق اللطف)[٤]، و(العدل).

(٨) (٦٠) نفي (القول على الله تعالى بلا علم)

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

---

(١) الإجارة: الحماية، والاستغاثة.

(٢) لأن عظيم القوم لا يقدر على مخالفة أمره، لأنه يملك أمرهم فلا يقدرون على مُقاومته، فأنى يسأل عما يفعل؟.

(٣) لأنه هو المتفرد بالملك والسلطنة في كل من فيهما، فتصرفه فيهما دائر بين العدل، والإحسان، والمصلحة، والرحمة، فكيف يسأل عما يفعله؟!

(٤) لأنه تعالى لطف عن أن يدرك بالكيفية، في ذاته، وصفاته، وأفعاله، فيكف يتوجه إليه سؤال؟!

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: «**من ذا الذي يتألى**[(١)] **عليّ أن لا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك**»[(٢)].

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن على كمال (سلطانه) تعالى، و(كبريائه)، و(جلاله)، و(علیائه).

(٩) (٦١) نفي (الشفاعة إلّا بإذنه) سبحانه

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن على كمال (توحيده) سبحانه، و(غِناه) عن خلقه، وكمال (ملكه)، و(ربوبيته)، و(هيمنته)[(٣)]، و(عظمته)، و(جَلاله).

(١٠) (٦٢) نفي (التعقيب على حكم الله) سبحانه

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

دعاء الوتر الذي علّمه النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما: «... فإنّك تقضي

---

(١) أي: يحلف.

(٢) مسلم (٢٦٢١).

(٣) فهو المهيمن المسيطر على كل المملكة، فلا يكون شيء فيه إلا بأمره، وإذنه، ومشيئته.

ولا يُقْضَى عليكَ»[١].

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن على كمال (ملك) الله تعالى، و(سلطانه)، وتمام (عزته)، و(عظمته)، وشمول (حكمه) وسعة (حكمته)، و(عدله).

(١١) (٦٣) نفي (أن يكون للخلق ولي من دون الله) تعالى

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٠٧].

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن على كمال (السلطان)، و(الملك)، وتمام (السيادة)[٢] لله سبحانه، وكمال (الولاية العامَّة والخاصَّة)، و(القهر)، وشمول (الإرادة).

(١٢) (٦٤) نفي (أن يظن بالله تعالى ظن السوء) سبحانه

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

قال رسول الله ﷺ: «... لا تتهم الله على شيءٍ قَضاهُ عليكَ»[٣].

---

(١) «صحيح أبي داود» (١٢٨١).

(٢) فهو سيد الخلق ومالكهم، يتولى أمورهم، ويسوسهم إلى صلاحهم، ليس لأحدٍ عنه غنى طرفة عين في جميع أمورهم المعاشية، والشرعية، والأخروية.

(٣) رواه أحمد (٥/٣١٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٠٧) (٢/١٠٥).

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على كمال (حمده) سبحانه، و(طيبته)، و(قدسيته)، و(سلامته) على الإطلاق، عن كل نقص، ومن ذلك: الظن والخيال الباطل.

(١٣) (٦٥) نفي (اختيار غيره على اختياره) سبحانه

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

❁ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن النفي على كمال (حكمه) سبحانه، و(حكمته)، وكمال (سيادته)، و(عزته)، و(كبريائه)، وعلى سعة (مشيئته)، ونفوذ (إرادته) في كل البريات.

(١٤) (٦٦) نفي (أن يجعل الله تعالى للكافرين على المؤمنين سبيلًا)(١)

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

السبيل: الحجة(٢). وتكون شرعية، وعقلية(٣).

---

(١) هذه أول الصفات المنفية المنفصلة التي لم أوردها في كتابي.
(٢) «المفردات» (٣٩٥).
(٣) «تفسير القرطبي» (٣/٣٦٤).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

نفى الله سبحانه أن يجعلَ للكافرين تسلُّطًا، وسبيلًا، وحجةً، وغلبة على أوليائه، في الدارَيْن، ففي الدنيا: أن الله تعالى لا يجعل لهم سبيلًا يمحو به دولةَ المؤمنين، ويذهب آثارهم، ويستبيح بيضتهم، والمعنى: أنه لا يمكنُهم بأن يتسلَّطوا عليهم استيلاءً واستئصالًا بالكليَّة، وإنْ حصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس، فإنَّ العاقبة للمتقين في الدارين.

ويدخل كذلك: أن الله تعالى لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلًا؛ أي: حجة عقلية، ولا شرعية، يستظهرون بها إلّا أبطلَها الله سبحانه، ودحضها.

وفي الآخرة: فيُجازي المؤمنين ظاهرًا وباطنًا بالجنة، ويعذب المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات(١).

تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على كمال (رحمته)، و(رأفته) تعالى بأوليائه، وأصفيائه، وعلى غاية (نصره) و(تأييده) لهم، وعلى كمال (حمده)، و(عزته)، و(حسن فعاله)، وسموّ (حكمته)، وتمام (حكمه).

(١٥) (٦٧) نفي (أن يبتلي الله تعالى أصفياءه بالأمور الشنيعة)

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

(١) «تفسير ابن كثير» (٧٧٩/١)، و«تفسير القرطبي» (٣٦٣/٣)، و«تفسير السعدي» (٢١٠).

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

جاءت هذه الصفة المنفية في أمره تعالى لأوليائه وإرشادهم، وتعليمهم لهم أن يسبحوا الله تعالى عند سَماعهم لأي قول منكر في مؤمن أو مؤمنة، كما رميت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فأمرهم أن يقولوا (سبحانك)؛ أي: «سبحان أن يقال هذا الكلام على زوجة رسوله، وخليلة خليله»[1].

وتوجيه ذلك أن ما قاله أهل الإفك منكر عظيم، فيشرع التسبيح عند سَماعه تنزيهًا لله تعالى أن يحصل لِقَرابة رسوله ﷺ تدنيس[2]، وعن أن يبتلي أصفيائه بالأمور الشَّنيعَة[3].

تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن النفي على كمال (معيته) والتي منها (المعية الخاصَّة)[4]، و(فضله)، و(رحمته)، و(إحسانه)، و(عنايته) بأوليائه، و(تمجده وحمده بفعاله)، وعلى كمال (العدل)، و(الحكمة).

(١٦) (٦٨) نفي (التَّبيع) عن الله جل جلاله

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ [الإسراء: ٦٩].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

التبيع: الاتباع: اقتفاء الأثر، يقال: تبعه، وأتبعه. والتبيع: الطالب

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/٣٧٧).

(٢) «فتح الباري» (٨/٤٨).

(٣) «تفسير السعدي» (٥٦٣).

(٤) المعية الخاصة تكون لأوليائه فقط التي من مقتضاها التأييد، والرعاية، والعناية في جميع أمورهم العامَّة، والخاصَّة.

بحق، أو ثأر، فكل من طلب بثأر أو غيره، يقال له: تبيع، وتابع[(١)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

نفي ربنا جل ثناؤه عن ما يُناقض كماله في عظمتِه، وعزته، وكبريائه، وهو الثأر والأخذ منه سبحانه، وقد جاء هذا النفي في سياق إخبار الله تعالى على عَظيم رحمته ونعمه بعباده في إنجائهم من الشدائد، والتي منها: الضُّرّ في البحر، فلمّا كشف عنهم الضر في البحر، ونجاهم إلى البر، نسُوا ما كانوا يدعون إليه من قبل، فذكرهم أنه سبحانه قادرٌ على أن يرجعهم إلى البحر ثانية، فيرسل عليهم ريحًا شديدة جدًّا تقصف الفلك، ومَنْ فيها، فيغرقهم بسبب كفرهم، وإعراضهم عن الله تعالى، ثم لا يجدوا «نصيرًا[(٢)] ثائرًا»[(٣)]؛ أي: لأحدٍ يطالبنا فيأخذ بثأركم بعدكم[(٤)]، فينتصر لكم؛ أي: «ولا نخاف أحدًا يتبعنا بشيء من ذلك»[(٥)].

تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على كمال (العِزَّة)[(٦)]، وكمال (العلو)، و(التعالي)[(٧)]، و(الكبرياء) له سبحانه، وتضمن كذلك على إحاطة (العلم)، وتمام (القدرة)، ونفوذ (الإرادة)، و(المشيئة) الذي نفذت مشيئته، وقدرته بجميع الموجودات، فلا يكون شيء إلّا بإذنه، وأمره في الأرض وفي السموات.

❊ ❊ ❊

(١) «عمدة الحفاظ» (١/٢٥٥).
(٢) ثبت عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. «التفسير الصحيح» (٣/٢٧٢).
(٣) ثبت عن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ. «التفسير الصحيح» (٣/٢٧٣).
(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/٧٤)، و«تفسير السعدي» (٤٦٣).
(٥) ثبت عن قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ. «التفسير الصحيح» (٣/٢٧٣).
(٦) فهو تعالى المنيع الذي لا يوصل إلى جنابه، ومقامه.
(٧) الذي علا فوق السموات العُلا، على العرش استوى، فأنى يصل إليه أحدٌ من الوَرَى؟!

(١٧) (٦٩) نفي (خروج أحدٍ من سلطان) الله تعالى

القُرْآنُ الحَكِيمُ

قال تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ [الرحمن: ٣٣].

المَعْنَى اللُّغَوِي

السلطان: الحجة[١] والبرهان، والملك والولاية، والتمكن من القهر، ومنه: السلطان، لأنه يتمكن من قهر رعيته[٢].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

نفى رَبُّنا العظيم أن يخرج أو يهرب أحد من الخلائق من سلطانه[٣]، «وأمره، وقدره، بل هو محيطٌ بهم، لا يقدرون على التخلص من حكمه، ولا النفوذ عن حكمه فيهم، أينما ذهبتم أحيط بكم، وهذا في مقام المحشر[٤]، إذا جمعهم الله تعالى في موقف القيامة، أخبرهم تعالى بعجزهم، وضعفهم[٥].

تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على «كمال (سلطانه) سبحانه، ونفوذ (مشيئته)، و(قدرته)»[٦]، وشمول (إحاطته)[٧] لكل ما سِواه، وعلى سعة وتمام (حكمه) الذي

---

(١) ثبت عن مجاهد. «التفسير الصحيح» (٤/٤٢٥).

(٢) «عمدة الحفاظ» (٢/٢١١)، و«المصباح المنير» (١٦٦).

(٣) ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (لا تخرجون إلا بسلطان)، «يقول: لا تخرجون من سلطاني». «التفسير الصحيح» (٤/٤٢٥).

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/٣٥٧).

(٥) «تفسير السعدي» (٨٣٠).

(٦) المصدر السابق.

(٧) فهو الذي أحاط بكل شيء قدرة، وعلمًا، وقهرًا، فلا يقدر أحد على الفرار منه.

لا يعتريه زَلَل، ولا خلل.

(١٨) (٧٠) نفي (الحرج في شرع الله) سبحانه

القُرْآنُ الحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦].

(٢) وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

(٣) وقال عز شأنه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الحرج: المشقة، والشدَّة، والضيق[(١)].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

أخبر الله سبحانه أن ما شرعه لنا من الأحكام، أنه لم يجعل فيه أي مشقة، ولا كلفة، ولا عسر، بل يَسَّرَه غاية التيسير، وسهله بغاية السهولة، فكل ما أمر وألزم به سبحانه هو سهل على النفوس، لا يثقلها، ولا يؤودها[(٢)].

تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن على كمال (رأفته)[(٣)] بأوليائه، وعلى غاية (الرفق)[(٤)] بهم، و(لطفه)،

(١) انظر: «المفردات» (٢٢٦).
(٢) «تفسير السعدي» (٢٢٤) (٥٤٧).
(٣) لأن الرؤوف هو: المساهل عباده؛ أي: أنه سبحانه لم يُحمل عباده ما لا يُطيقون، بل حملهم أقل مِمّا يُطيقون بدرجات كثيرة، فغلظ فرائضه في حال الشدة، والقوة، وخففها في حال الضعف، ونقصان القوة.
(٤) الرفق هو: التلطف واللين، والله تعالى رفيق بعباده أنه شرع لهم من الرخص والأسباب الشرعية التي تدفع عنهم الحرجَ، وترفق بهم في حياتهم.

و(منّه)[١] عليهم، وعلى تمام (عفوه)[٢]، وسعة (حكمته)، و(خبرته) ﷻ.

(١٩) (٧١) نفي (أن يكون للخلق ملتحدًا «أي: ملجأً» من دون الله) تعالى

القُرْآنُ الْحَكِيمُ

(١) قال تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

(٢) وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الجِنّ: ٢٢].

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

(١) دعاء عند النوم، وفيه: «... لا ملجأ، ولا مَنْجَى منك إلّا إليكَ»[٣].

(٢) دعاء الوتر، وفيه: «... [لا مَنْجَى إلّا إليكَ]»[٤].

المَعْنَى فِي اللُّغَةِ

الملتحَد: الالتجاء، أو موضع التجاء[٥].

المَعْنَى فِي الشَّرْعِ

نفى رَبُّنا سبحانه أن يكون للخلق «ملجأ تلجأ إليه، ولا معاذًا تعوذ به»[٦]، من دونه تعالى، ولهذا جاء بـ(لن) والتي تُفيد تأكيد النفي المطلق المحقق

---

(١) لأن من عَظيم مننه تعالى أن أنعم عليهم بهذا الدِّين العظيم الذي لم يشدد عليهم فيه، كما في الأمم السابقة، كقص الثوب إذا أصابته نجاسة.

(٢) العفو هو: ما يسهل قصده، وتناوله، والله تعالى يقبل العفوَ من عباده؛ أي: السهل، والتيسير في الواجبات وترك المحرَّمات.

(٣) البخاري (٧٤٨٨)، ومسلم (٢٧١٠).

(٤) «صحيح أبي داود» (١٤٢٧)، وما بين المعكوفين صححه الألباني في «أصل صفة صلاة النبي» (٣/٩٧٣).

(٥) «المفردات» (٧٣٧).

(٦) «تفسير السعدي» (٤٧٥).

في الحال، وفي الاستقبال.

«يعني: لو أرادَك أحد بِسُوء، ما وجدت أحدًا يمنعك من دونِ الله عَزَّوَجَلَّ»[1].

۞ تضمن النفي على صفات الله العُلا:

تضمن هذا النفي على كمال واختصاص (الألوهية) لله سبحانه، لأنه «إذا تعيَّن أنه وحده الملجأ في كل الأمور، تعين أن يكون هو المألوه المعبود، المرغوب إليه، في السَّرّاء، والضَّرّاء، المفتقر إليه في جَميع الأحوال، المسؤول في جميع المَطالِب»[2].

وتضمن كذلك على كمال (الوِلاية) والتي منها: (الولاية الخاصَّة) لأوليائه سبحانه، وتضمن على كمال (السِّيادَة)[3]، و(الملك)، وعلى تمام (الوكالة)[4]، و(الآخرية)[5].

❊❊ ❊❊ ❊❊

---

(١) «تفسير سورة الكهف» (٥٧) لابن عثيمين

(٢) «تفسير السعدي» (٤٧٥).

(٣) فهو السيد على الإطلاق، فهو سيد الخلق ومالكهم، ومالك أمرهم، الذي إليه يُرجَعون، وبأمره يعملون، نواصيهم بيده، يتولَّى أمرَهم، ويسوسهم إلى صَلاحهم، ليس لهم غِنًى عنه طرفة عين. انظر: «الوسيط» أسماء الله جلالها ولطائف اقترانها (٢٥٧).

(٤) فهو تعالى وكيل العالمين، خلقًا، وإيجادًا، وإمدادًا، وتدبيرًا، وعونًا، فأنى يكون للخلق ملجأ أو مرجعًا لغيره سبحانه.

(٥) فهو الآخر: الذي تنتهي إليه أمور كل البرية، فإليه المرجع والمصير في جميع أمورهم الدينية، والدنيوية، والمآلية.

تم بحمد الله

الفهرس

مقدمة الشيخ شعيب الأرنؤوط ٥
مقدمة الأستاذ الدكتور بسام الشطي .. ٧
المقدمة.......................... ٩
أهمية الموضوع، وسَبَبُ اختيارِه: .. ١٣
خطة البحث: ١٥
منهجي في تصنيف هذا الكتاب: .. ١٦
معنى الصفات لغة واصطلاحًا..... ١٩
القواعد والأصول العامَّة في صِفات
الله سبحانه ١٩
«ذاتُ الله» سبحانه العَلِيَّة ٤١
العلاقة بين الصفات والذّات....... ٤٢
الصفات الثبوتية ٤٤
القسم الأول: الصفات الذاتية ٤٧
القواعد........................ ٤٥
(١) (الوَجْهُ) ذو الجلال والإكرام.. ٤٧
حجاب وجهه ـ.................. ٤٩
(٢) (اليَدان) الكريمتان العظيمتان . ٥١
الأشياء التي خلقها الله بيده ٥٣
(٣) صفة (اليمين).............. ٥٤
(٤) (الكَفّ) ٥٧
(٥) (الأصابع) ٥٨
(٦) (الأنامل) ٦١
(٧) (الإبهام والخِنْصر).......... ٦٢
(٨) (القَدَم والرِّجْل)........... ٦٤
(٩) (السّاق).................. ٦٦
(١٠) (العينين)................ ٦٨
(١١ ـ ١٢) (الحُجْزة) و(الحَقْوُ).... ٧٠
(١٣) (المَنْكِبُ)................ ٧٣
(١٤) (الصُّورة)................ ٧٤
(١٥) (الإحاطة)............... ٧٥
(١٦) (البقاء)................. ٧٧
(١٧) (الجَلال)................ ٧٨
(١٨) (الفَوْقِيَّة)................ ٨٠
(١٩) (رؤية الله)............... ٨١
(٢٠) (السُّلْطان)............... ٨٤
(٢١) (السَّاعد)................ ٨٥
القسم الثاني: الصفات الفعلية
المقيدة..................... ٨٨
القواعد....................... ٨٦
(١) (المَكْر).................. ٩٥
(٢) (الكَيْد).................. ٩٦
(٣) (الزَّيغ).................. ٩٩

(٥) (الخِدَاع) ١٠١
(٥) (الاستهزاء) ١٠٣
(٦) (الإعراض) ١٠٦
(٧) (الخِزي) ١٠٩
(٨) (العَدَاوة) ١١١
(٩) (الانتقام) ١١٤
(١٠ ـ ١١ ـ ١٢) (الخَتْم)
و(الطَّبْع) و(الغِشَاوة) ١١٥
(١٣) (الوَعْي) ١١٧
(١٤ ـ ١٥) (الوَصْل) و(القَطْع) .. ١١٩
(١٦) (الاستِدْرَاج) ١٢٠
(١٧) (النِّسْيان) «بمعنى الترك» .. ١٢٢
(١٨) (السُّخرِية) ١٢٤
(١٩) (الإهْلاك) ١٢٦
(٢٠) (الإهانة) ١٢٩
(٢١) (شديد المِحال) ١٣١
(٢٢) (المُوهِن) ١٣٢
(٢٣) (البطش) ١٣٣
(٢٤) (الاحتجاب) ١٣٥
(٢٥) (الخذل) ١٣٧
(٢٦) (الشَّاقّ) ١٣٩
(٢٧) (الفاضح) ١٤١
(٢٨ـ ٢٩) (الإسماع) و(المُراءاة) ١٤٢
(٣٠) (المُشدِّد) ١٤٤
(٣١) (الإتلاف) ١٤٥
(٣٢) (التخويف) ١٤٧
(٣٣) (الضَّارّ) ١٤٨
(٣٤) (التفريق) ١٤٩
(٣٥) (المُصْرِف) ١٥٠
الصفات الفعلية المطلقة ١٥٢
القواعد ١٥٠
(١) (الاستواء على العرش) ١٥٥
عظم العرش وحملته ١٥٨
(٢) (النزول، والهبوط، والتدلِّي)
إلى السماء الدنيا ١٥٩
أنواع النزول الإلهي ١٦٢
صفات الكمال ١٦٧
(٣) (المحبة) ١٦٨
(٤) (الخُلَّة) ١٧١
(٥) (الرِّضا) ١٧٢
رضى الرب من أعظم ما يُدركه
المؤمنون في جنات النعيم ١٧٤
(٦) (الفرح) ١٧٥
(٧) (الضحك) ١٧٧
(٨) (العجب) ١٨١
(٩) (البَشَاشَة) ١٨٥
(الغَضَب، والأَسَف، والسُّخْط،
والكُرْه، والمَقْتُ) ١٨٦

(١٠) (الغضب) ١٨٧
(١١) (الأسف) ١٩١
(١٢) (السُّخط) ١٩٣
(الكره، والبغض، والمقت، العتب)........................ ١٩٥
(١٣) (الكره) ١٩٦
(١٤) (البُغض) ١٩٧
(١٥) (المقت) ١٩٩
(١٦) (العتب)................ ٢٠١
(١٧) (الغَيْرة)................ ٢٠٢
(١٨ ـ ١٩) (الإتيان) و(المجيء). ٢٠٦
(٢٠) (العدل)................. ٢١٠
(٢١) (الغَلَبَةُ) ٢١٢
(٢٢) (استطابة الرَّوائح) ٢١٣
(٢٣) (الصَّبْر)................ ٢١٥
(٢٤) (الحَثْو)................ ٢١٧
(٢٥ ـ ٢٦) (الإرادة) و(المشيئة) ٢١٨
(٢٧) (الرُّشْدُ)................ ٢٢١
(٢٨) (الطيّ)................ ٢٢٣
(٢٩) (الحَنان)............... ٢٢٥
(٣٠) (السُّرْعَة)............... ٢٢٦
(٣١) (الوِقَاية)................ ٢٢٩
(٣٢ ـ ٣٣) (الرَّفع) و(الخَفْض) . ٢٣١
(٣٤) (المَسْح)............... ٢٣٤
(٣٥) (الأَذَنُ) «بمعنى الاستماع» ٢٣٦
(٣٦) (الدّفع) ٢٣٨
(٣٧) (الصَّلاة) «بمعنى الثناء».. ٢٤٣
(٣٨) (الزَّكي) ٢٤٥
(٣٩) (المُعَافِي).............. ٢٤٧
(٤٠) (الهادي) ٢٤٨
(٤١) (المُغيث)............... ٢٥١
(٤٢) (الفَطْرُ) ٢٥٣
(٤٣) (الكتابة والخط)........ ٢٥٥
(٤٤) (التَّشْريعُ)............. ٢٥٧
(٤٥) (الفعل، والعمل)....... ٢٥٩
(٤٦) (ذو الفَضْل)............ ٢٦١
(٤٧) (المنع) ٢٦٤
(٤٨) (الصُّنْع)............... ٢٦٧
(٤٩) (المُسْتَعان)............ ٢٦٩
(٥٠) (المُسَخِّر) ٢٧١
(٥١) (النَّافع) ٢٧٤
(٥٢) (المُؤلِّف) ٢٧٦
(٥٣) (الاطِّلاع) ٢٧٩
(٥٤) (المُقَلِّب)............... ٢٨١
(٥٥) (بديع السموات والأرض) ٢٨٤
(٥٦) (المُطهِّر) ٢٨٥
(٥٧ ـ ٥٨) (المُعِز) (المُذِل) ... ٢٨٨
(٥٩) (الباعِث) ٢٩٠

(٦٠) (الجَعْل) ٢٩٣
(٦١ ـ ٦٢) (المُحْيي) و(المُميت) ٢٩٦
(٦٣) (المُباهي) ٢٩٨
(٦٤) (الكَفيل) ٣٠٠
(٦٥) (الرَّوْح) ٣٠٢
(٦٦) (اللَّعْن) ٣٠٤
(٦٧) (الكَنَفُ) ٣٠٦
(٦٨) (الأَمْر) ٣٠٨
(٦٩) (المُثَبِّت) ٣١١
(٧٠) (الكافي) ٣١٤
(٧١) (الزّارِع) ٣١٦
(٧٢) (النَّفَس والتَّنْفيس) ٣١٨
(٧٣) (التَّرْك) ٣٢١
(٧٤) (الجامع) ٣٢٤
(٧٥) (التَّجَلِّي) ٣٢٧
(٧٦) (التَّأييد) ٣٣٠
(٧٧) (المُحْدِث) ٣٣٢
(٧٨) (الذِّمَّة) ٣٣٤
(٧٩) (الفراغ من الشيء) ٣٣٥
(٨٠) (الوَفِيّ) ٣٣٧
(٨١) (العَزْم) ٣٣٩
(٨٢) (المُخرج) ٣٤١
القسم الثالث: الصفات المتضمنة
لنوعي الصفات الثبوتية ٣٤٦
(١) (رفيع الدَّرجات) ٣٤٧
(٢) (البركة والتبارك) ٣٤٩
(٣) (النور، ونور السموات
والأرض) ٣٥٢
(٤) (المَعِيَّة) ٣٥٤
(٥) (الشِّدَّة) ٣٥٧
(٦) (الصِّدق) ٣٥٩
(٧) (ذو المَعارج) ٣٦١
(٨) (الطبيب) ٣٦٣
القسم الرابع: الصفات المنفية ... ٣٦٦
القواعد ٣٦٤
الألفاظ الدالَّة على النفي ٣٧٠
الأدوات الدالة على النفي ٣٧١
الأحوال التي تذكر فيها الصفات
المنفيَّة ٣٧٢
الآيات والأحاديث الواردة في
الصفات المنفية ٣٧٤
الصفات المنفية المتصلة بالتفصيل ٣٧٦
(١) نفي (الموت) ٣٧٦
(٢) نفي (السِّنَة) ـ النُّعاس ـ ٣٧٧
(٣) أ ـ نفي (النوم) ب ـ و(استحالة
النوم) ٣٧٧
(٤) نفي (الجهل، وخفاء الأمور) ٣٧٧
(٥) نفي (الضلال) ٣٧٧

(٦) نفي (التعب، والإعياء) ٣٧٩
(٧) نفي (الإثقال) ٣٨٠
(٨) نفي (العبث، واللعب، والباطل) ٣٨٠
(٩) نفي (النسيان) ٣٨١
(١٠) نفي (العجز) ٣٨١
(١١) نفي (الفقر) ٣٨٢
(١٢) نفي (الخوف) ٣٨٢
(١٣ ـ ١٤ ـ ١٥) نفي (إخلاف الوعد والعهد) و(تبديل القول) . ٣٨٣
(١٦) نفي (الظلم) ٣٨٣
(١٧) نفي (الغفلة) ٣٨٤
(١٨) نفي (البخل والغلول) ٣٨٤
(١٩) نفي (الرزق) ٣٨٥
(٢٠) نفي (الاستحياء من الحَقّ) ٣٨٥
(٢١) نفي (رؤية الله في الدنيا بالأبصار) ٣٨٦
(٢٢) نفي (أن يُظلم) سبحانه ٣٨٧
(٢٣) نفي (تضييع الله تعالى أجور أحد من العباد) ٣٨٧
(٢٤) نفي (الإطعام) ٣٨٨
(٢٥) نفي (إدراك الخلق لله تعالى بالأبصار في الآخرة) ٣٨٨
(٢٦) نفي (الضُّر) ٣٨٩
(٢٧) نفي (المُبالاة) ٣٨٩
(٢٨) نفي (امتناع عن الله تعالى فعل ما أرادَ) ٣٩٠
(٢٩) نفي (النفع) ٣٩١
(٣٠) نفي (الكذب) ٣٩١
(٣١ ـ ٣٢) نفي (الصمم) ونفي (الغيْبة) ٣٩٢
(٣٣) نفي (العور) ٣٩٢
(٣٤) نفي (أن يكون لله مكره) .. ٣٩٣
(٣٥) نفي (الشَّرّ) ٣٩٣
(٣٦ ـ ٣٧) نفي (تبديل) (أو تحويل سُنَّة الله) ٣٩٤
(٣٨) نفي (الإحاطة بالله) ٣٩٤
(٣٩) نفي (تعاظم شيء) ٣٩٥
(٤٠) نفي (الخِيانَة) ٣٩٥
(٤١) نفي (تبديل خلقِ الله) ـ ... ٣٧٧
(٤٢) نفي (الباطل عن كتاب) .. ٣٩٧
(٤٣) نفي (النقص في ملك الله تعالى) ٣٩٨
(٤٤) نفي (نفاد كلام الله) ٣٩٩
(٤٥) نفي (تضييع شيء من الأشياء) ٤٠٠
(٤٦) نفي (التفريط في الكتاب) ٤٠١

(٤٧) نفي (العلم بما في نفس)
الله........................ ٣٧٧
(٤٨ ـ ٤٩) نفي (تعجيل) و(تأخير
شيء عن مُراد) الله............ ٣٧٧
(٥٠) نفي (اللوم).............. ٣٧٧
(٥١) نفي (الغدر والفوت)...... ٣٧٧
(٥٢) نفي (أن يأتي أحد بمثل
كلام)........................ ٣٧٧
(١)(٥٣) نفي (أن يكون لله والد) ٣٧٧
(٢)(٥٤) نفي (اتخاذ الصاحبة) . ٣٧٧
(٣) (٥٥) نفي (اتخاذ الولد) ... ٣٧٧
(٤) (٥٦) نفي (الظهير)........ ٣٧٧
(٥) (٥٧) نفي (اتخاذ ولي من
الذُّلِّ)........................ ٣٧٧
(٦) (٥٨) نفي (الإجارة)....... ٣٧٧
(٧) (٥٩) نفي (سؤال الله عما
يفعل)........................ ٣٧٧
(٨) (٦٠) نفي (القول على الله
تعالى بلا علم)................ ٣٧٧
(٩) (٦١) نفي (الشفاعة إلّا بإذنه) ٣٧٧
(١٠) (٦٢) نفي (التعقيب على
حكم الله).................... ٣٧٧
(١١) (٦٣) نفي (أن يكون للخلق
ولي من دون الله)............. ٣٧٧
(١٢) (٦٤) نفي (أن يظن بالله
تعالى ظن السوء)............. ٣٧٧
(١٣) (٦٥) نفي (اختيار غيره
على اختياره)................. ٣٧٧
(١٤) (٦٦) نفي (أن يجعل الله
تعالى للكافرين على المؤمنين
سبيلًا)....................... ٣٧٧
(١٥) (٦٧) نفي (أن يبتلي الله
تعالى أصفياءه بالأمور الشنيعة)... ٣٧٧
(١٦) (٦٨) نفي (التَّبِيع)....... ٣٧٧
(١٧) (٦٩) نفي (خروج أحدٍ من
سلطان) الله.................. ٣٧٧
(١٨) (٧٠) نفي (الحرج في شرع
الله)......................... ٣٧٧
(١٩) (٧١) نفي (أن يكون للخلق
ملتحدًا «أي: ملجأً» من دون الله) ٣٧٧
الفهرس...................... ٤٢٠